وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كليّة الآداب والفنون
قسم اللّغة العربيّة

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه

الشّعبة : دراسات لغويّة
التّخصص: الدّلالة في المستويات اللّسانيّة

العنـــــوان

الدَّلالَة النّحويَّة في تفسيرِ البيضاوي (ت 691هـ)
أنوار التّنزيلِ وأسرار التّأويل أنموذجا

من إعداد
فاطمة الزهرة قورين

المناقشة بتاريخ ..... من قبل اللّجنة المكوّنة من:

نورالدين دريم	أستاذ محاضر أ	جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف-	رئيسا
مختار درقاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف-	مشرفا ومقررا
بخولة بن الدين	أستاذ محاضر أ	جامعة الشلف	مناقشا
أمحمد سحواج	أستاذ محاضر أ	جامعة الشلف	مناقشا
أحمد بالول	أستاذ محاضر أ	جامعة تيارت	مناقشا
عبد الله بوقصة	أستاذ محاضر أ	المركز الجامعي غليزان	مناقشا

قال الله تعالى:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

المجادلة: الآية 11

شكر وعرفان

أشكر الله سبحانه وتعالى الذي يسَّر لي إتمام هذا العمل والذي لولاه ماكان ليتم شيء، فله الحمد من قبل و من بعد.

أتقدم بأسمى عبارات الشّكر والامتنان، إلى الدكتور" مختار درقاوي" الذي شرَّفني – وأفتخر بذلك كل الافتخار –بقبول الإشراف على هذا العمل، والذي كانت له البصمة الأولى والأخيرة في إنجازه، وقد كان لي خير موجّه ومرشد، وما توفيقي إلا بالله.

والحمد لله أولا وأخيرا.

مقدّمة

مقدمة

الحمد لله الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، الذي له ملك السموات والأرض وخلق كلَّ شيء فقدره تقديرا، خلق الإنسان من نطفة أمشاج يبتليه فجعله سميعا بصيرا، ثم هداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد :

فإنَّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، وهو أحسن الحديث، فقد حوى من البيان والبلاغة العجب العجاب، وبلغ الرّفعة في الفصاحة وغاية النّهاية في الإعجاز، فأدهش العقول والألباب، وحيَّر النّفوس، حتى قال قائل الجنّ عند سماعه: { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا } الجن : 1، وقد تعدّدت وجوه إعجازه أهمها نظمه.

ومما لاشكّ فيه أنَّ الله تعالى أنزل القرآن على رسوله الكريم محمد بن عبد الله متحديّا العرب،كونهم أهل فصاحة وبيان ، على أن يأتوا بمثله ، فعجزوا : { قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ } الإسراء : 88 ، ويقول تعالى أيضا : { وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ } البقرة : 23 ، لما اشتمل عليه من بلاغة تفوق بلاغة العرب.

ومن هنا أقبل عليه الدارسون والمفسرّون والبلاغيّون والنّحويون، باحثين في دلائل إعجازه ومنقّبين عن أسرار بلاغته، وألّفوا بالحديث عنه الكتب والمصنّفات والتّفاسير الكثيرة، بحيث توافقت توجيهاتهم في كثير من الآيات، وتباينت في بعضها.

ومما لاشكّ فيه أنَّ هناك علاقة وثيقة بين علمي النحو والدلالة، ذلك أنَّ الوظيفة التركيبيَّة لها أثر كبير في أداء المعنى، فأيّ تغيير في عناصر الجملة – سواء أكان التغيير تقديما أم تأخيرا، حذفا

أم ذكرا ، تعريفا أم تنكيرا – يصاحبه تغيير في المعنى ، بحيث ترتبط المفردات بعضها ببعض، وفقا لقوانين لغوية خاصة بالنظام النحويّ، وفيه تؤدي كل لفظة وظيفة معينة، فالدّلالة اللغويَّة هي نتاج العلاقات القائمة بين الكلمات داخل الجملة أو النص.

ويعدّ النَّحو أحد الأبنية الهامّة التي يعتمد عليها في استنباط المعاني، وقد عنى علماء العربيَّة منذ القديم بالمعاني الدقيقة، واللّطائف البليغة للتّراكيب وأبواب النّحو، وهذه المعاني النحويَّة واللّغويَّة كانت من بين أدوات المفسر التي كشف عنها للوصول إلى مقاصد كتاب الله العزيز وفهم أسراره.

ويعدّ تفسير البيضاوي (ت 685) المسمى ب"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" من أحسن التفاسير اللغويَّة، وأعظمها نفعا، توجهت إليه جهود العلماء بالتّعليق والتّحشية والشّرح والدّراسة وكان له ذلك بفضل دقّة ألفاظه، وإيجاز عباراته، ورصانة أسلوبه، وبديع لطائفه، فالبيضاوي كان كثيرا ما يستطرد في تبيان المعاني النحويَّة واللغويَّة والصرفيَّة، ويخوض في وجوه الإعراب ، ويفصّل القول في الدّلالات المجازيَّة التي تخرج إليها أساليب الكلام ، ومن هنا انتخب موضوع الدلالة النّحويَّة في تفسير البيضاوي مجالا للبحث في الإشكالات الآتية :

ما العلاقة بين التركيب النحويّ والمعنى ؟ وما العلاقة بين المفردة في التركيب ودلالتها ؟ وما أثر دلالة النحو في تفسير البيضاوي للقرآن الكريم ؟

يحاول البحث الإجابة عن هذه الإشكالات من خلال رسم خطة تجلت في خمسة فصول سبقتها مقدمة ومدخل، وتلتها خاتمة وهي كالآتي :

مدخل عام إلى التفكير الدلالي لدى العرب ، فقد كان للعرب اهتمام واضح بمبحث الدلالة، وقد أسهموا فيه أيَّما إسهام وأحرزوا فيها نضجا مبكرا، انتفع به العرب المحدثون فيما بعد لبناء مناهجهم ونظرياتهم، وتجلت هذه الجهود عند علماء الصوت، والصرف والنحو والمعجم، وفي كتب معاني القرآن كما تطرق المدخل إلى الدلالة النحويَّة وملامحها لدى القدماء، والدلالة النحويَّة عند المحدثين، وبحث في أثر القرائن في تحديد الدلالة النحويَّة.

وجاء الفصل الأول بعنوان دلالة التقديم والتأخير في تفسير البيضاوي، وفيه بيان للعناصر الآتية :

- دلالات التقديم والتأخير عند النحويين والبلاغيين.
- المسائل النحوية التي تلتزم رتبة واحدة.

- دلالات التقديم والتأخير في تفسير البيضاوي.

بينما عنوان الفصل الثاني دلالة الحذف في تفسير البيضاوي، وفي هذا الفصل تم التعرض إلى أدلة الحذف، وشروطه، وأنواعه من حذف للمفردة، وحذف للجملة، وحذف للحرف ليختتم بتبيان دلالات التقديم في تفسير البيضاوي.

وقد تعرض الفصل الثالث الذي عنوانه " دلالة بعض الظواهر النحويَّة في تفسير البيضاوي" إلى دلالة التعريف والتنكير، ودلالة الاعتراض .

أما الفصل الرابع فهو معنون بدلالة الأساليب الإنشائية الطلبية في تفسير البيضاوي وعناصره كالآتي :

أولا : دلالة الاستفهام.

ثانيا : دلالة الأمر.

ثالثا : دلالة النهي.

رابعا : دلالة النداء.

خامسا : دلالة التمني.

لتختتم فصول البحث بفصل خامس معنون بدلالة الأساليب الخبريّة في تفسير البيضاوي وقد جاءت عناصره كالآتي :

أ/ أضرب الخبر.

ب/ مؤكداته.

ج/ دلالة الجملة الفعلية والجملة الاسمية.

د/ أغراض الجمل الخبرية في تفسير البيضاوي.

وقد ذيل البحث بخاتمة رصدت فيها أهم النتائج المتوصل إليها من فصول وعناصر البحث.

ويغلب على البحث المنهج الوصفيّ القائم على آليات التحليل والاستقراء والذي يدرس الظاهرة المعرفيَّة في بيئة بعينها، والظاهرة المعرفيَّة في هذا البحث هي الدلالة النحويَّة، كما استفاد البحث من المنهج التاريخي في تتبع مسار حركة التأليف الدّلالي عند العرب.

وككل بحث تعترضه صعوبات وعوائق، كان من أهمها في هذا البحث ذلك البعد البيني بين العلوم، كون الدلالة النحويَّة تحتاج في بحثها ودراستها إلى ميادين معرفيَّة أخرى كعلم الصوت والصرف

والنحو، والفقه والتفسير، وهذا التداخل بين العلوم بقدر ما هو نافع إلا أنه من الصعوبات التي تلاقي الباحث وتواجهه، كونه يضطر إلى الانفتاح على هذه الأسيقة في دراسة الظاهرة اللغويَّة.

ومن جملة المصادر والمراجع التي درست موضوع البحث من قبل :

- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ، تح : محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 2007.
- الكتاب ، سيبويه (ت180هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر ، ط 1988.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، طبع – نشر – توزيع ، الإسكندرية ، مصر ، ص 1998.
- معاني النحو ، السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 2003.
- الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مصطفى عبد السلام ، أبو شادي ، مكتبة القرآن للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1991.
- الدلالة النحوية في كتاب المقتضب (ت 285هـ) ، سامي الماضي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2009.
- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي ، محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2000.

اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، دار الثقافة الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1994.

_ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، عمر عبد الهادي عتيق، عالم الكتب الحديثة، لبنان، ط 1، 2000.

_دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 2، 1987

-أساليب بلاغية: الفصاحة –البلاغة -المعاني، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات -الكويت، ط1980،1.

-الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمّد الكوّاز، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، ج1 ، 1426هـ.

واعترافا بالفضل أتقدَّم بالشكر الجزيل للدكتور "مختار درقاوي " المشرف على هذه الرسالة الذي رعى هذا البحث من بدايته إلى نهايته، ولم يبخل عليّ بتوجيهاته القيمة ونصائحه السّديدة والذي منحني من وقته الثّمين، وأفاض عليَّ من علمه الجمّ، وحرص على هذا البحث إلى أن خرج بهذا الشّكل.

ولا أنسى في هذا المقام أن أشكر أساتذتي أعضاء اللَّجنة الذين تكبَّدوا وتحمَّلوا مشاق السفر،وعملوا على تنقيح هذا البحث، ووقفوا على نقائصه موجهين ومرشدين، فحفظكم الله وجزاكم الخير كله، وما توفيقي إلَّا بالله العليّ السميع.

الطالبة : فاطمة الزهرة قورين.

مدخل : التّفكير الدّلاليّ لدى العرب

1-التفكير الدلاليّ لدى العرب

أ-عند علماء الصّوت

ب-عند علماء الصّرف

ج-عند المعجميين

د-البحث الدّلالي في كتب معاني القرآن

2-الدّلالة النّحويّة.

أ-ملامح الدّلالة النّحويّة لدى القدماء

ب-الدلالة النّحويّة لدى المحدثين

ج-القرائن و وظيفتها في تحديد الدّلالة النّحويّة

.القرائن المعنويّة

.القرائن اللّفظيّة

3-البيضاويّ و منهجه في أنوار التّنزيل و أسرار التّأويل

أ-ترجمة البيضاوي

ب-منهج البيضاوي في التّفسير.

يعدّ علم الدّلالة فرعًا من فروع علم اللّغة، و مبحثا مهمّا من مباحثه، ذلك أنّ موضوعَ بحثه و دراسته هو المعنى، و عوامل تطوّره و مظاهره، كما ينظر في طبيعة العلاقة الكائنة بين الدّال والمدلول وقد كانت الدّلالة محلّ بحث و اِهتمام و نقاش بين العلماء قديما قدم البحوث اللّغوية،لتتأصّل و تتعمق المفاهيم- في هذا الحقل- بظهور المناهج و النظريات الحديثة.

عرّف الشريف الجرجاني (ت816) الدّلالة بقوله:« هي كون الشّيء بحالَةٍ يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، و الشيء الأوّل هو الدال، و الثّاني هو المدلول».[1]

فمن خلال قول الجرجاني يتبيّن أن الدّلالة هي تلازم حَاصل بين شيئين الأول هو الدّال والثاني هو المدلول فلا بد من تحقق و تضافر هذين العنصرين الأسَاسَيْن لتتمّ العملية الإبلاغيّة. و قَدْ أَوْرَدَ الجَاحِظ تَعْرِيفًا خَاصّا بالدّلالة التي أطلق عليها لفظ البيان في قوله:« البيان اِسمٌ جامعٌ لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، و هتك الحجاب دون ضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان و من أيّ جنس كان الدليل، لانّ مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام، فبأيّ شيء بلغْتَ الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع».[2]

و لما كانت اللّغة الكلاميّة أكثر الوسائل استعمالاً لتحقيق التواصل بين الأفراد و إفهامهم ما استغلق عليهم راح علم الدلالة يركز على أهمية البحث في علاقة الدال بالمدلول نظرًا لاستحالة الفصل بينها في العمليّة التواصلية.ولا أحد ينكر أنّ اللّغة كائن جسده اللفظ و روحه المعنى، و مع مطلع العصر الحديث بدأت الدراسات اللّغويّة المتشبعة المناهج تقف على اللّغة تشرّحها لفظا و معنى اِستنادًا إلى مقاييس علميّة دقيقة منها مناهج علم الدلالة الباحثه في عمق المعنى، و التي لا يمكن للدرس اللّغويّ القفز عليه نظرًا لأهميّتها البالغة.

و يعد هذا العلم «قمّة الدراسات اللّغويّة، و لكنه مع ذلك أحدثها ظهورًا، فقد تأخر اهتمام المحدثين من علماء اللّغة بمشكلة المعنى اهتمامًا علميّا، يضيف إلى ما كان يتداوله قدماء اللّغويين في

[1]: التعريفات، الجرجاني،تح:محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر و التوزيع و التصدير القاهرة، مصر،دط،2004،ص:91

[2] : البيان و التبيين، الجاحظ،تح:عبد السلام محمّد هارون،دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1،ص:76

هذا في هذا الشأن» [1] و قد شقّ طريقه إلى الانتشار و التطور على أساس تاريخيّ و وصفيّ، فكان منه علم الدّلالة التاريخيّ الذي يرصد المعنى و يتتبعه من زمن إلى آخر، و ويظهر ما حدث له من تغيّر، و كان منه علم الدلالة الوصفيّ الذي يدرس المعنَى في مرحلة زمنيّة معيّنة من مراحل التاريخ اللّغوي و يسمّى هذا العلم في الغرب السيمانتيك" Sémantique"[2] و في العربية بعلم الدلاله بالفتح أو الكسر.

و قد عرّف أحمد مختار و علم الدّلالة بعدّة تعريفات منها[3]:

-أنّه العلم الذي يدرس المعنى.

-هو ذلك الفرع من علم اللّغة الذي يتناول نظرية المعنى.

-هو ذلك الفرع الذي يدرس الشّروط الواجب توفرها في الرّمز حتّى يكون قادرًا على حمل المعنى.

إذا علم الدّلالة ضرب من ضروب العلوم اللغويّة يدرس دلالة الكلمة و تطور معانيها، فالكلمة يتغيّر معناها لأنّ « الوصول إلى البنية العميقة للاختيار اللّغوي للفظة ما لا يتم بملاحظة الانسجام الدلالي بين معاني المادة اللّغوية و السياق فحسب و إنما يحتاج إلى تأمل خاصّ يفضي إلى استغراق القارئ بالجزئيات الدلالية، إذ إنّ من المعاني المعبر عنها بالعبارات الحسنة ما تدرك مع تلك العبارة حسنا لا تدركه له في غيرها من العبارات، و لا تقدر أن تعبّر عن الوجه الذي من أجله حسن إيراد ذلك المعنى في تلك العبارة دون غيرها، و لا تعرب عن كنه حقيقته».[4]

الجليّ من التعريفات السابقة أن موضوع علم الدلالة هو دراسة المعنى من خلال علاقة الدال بالمدلول، أي يتناول المعنى تناولا علميّا، مما لا يختلف فيه أنّ إرادة المعنى و تحصيل الدلالة هو مقصود الكلام و منتهاه.

---

[1] :علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، مكتبة الآنجلو المصرية، دت،دط،ص: 161

[2] :ينظر: دراسات في الدلالة و المعجم، رجب عبد الجواد، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،دت،دط،ص11

[3] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر،ط5، 1998،ص:11

[4] :ظواهر أسلوبيّة في القرآن الكريم، عمر عبد الهادي عتيق،عالم الكتب الحديث،إربد، لبنان ط 1،2010م،ص 39

1 التفكير الدلالي لدى العرب:

مما لا يشوبه أدنى شك أنه قبل بروز علم الدلالة و تطور مناهجه في العصر الحديث كان للعرب القدامى اهتمام كبير بمبحث الدلالة و قد أسْهَموا فيهِ إسهاما فعالاً و أحرزوا نضْجًا مبكرا، استفاد منه المحدثون- فيما بعد- لبناء مناهجهم على الدقة للبحث في دلالات الكلمات، و ما تأليف المعاجم اللّغوية و المتخصصة و ضبط المصحف الشريف بالشكل و تصنيفات الأصوليين و رسائلهم إلا دليل على ذلك و شاهد على أهمية البحث الدلالي و حضوره في التراث اللغوي العربي.

فقضية المعنى و مشكلاته موضوع تدارسه و ناقشه العلماء و المفكرون من ميادينَ مختلفة كل من وجهة نظره و في مجال تخصصّه كعلماء الصوت و علماء الصرف و المعجميين.

أ-عند علماء الصّوت:

قد حظيت الأصوات اللغوية، بِحَظٍّ وافر من الدراسات في كثير من اللّغات، فلم يغفل الباحثون يومًا الاهتمام بها فعكفوا على دراستها من حيث مخارجها و صفاتها، و كذا دلالاتها، ذلك أنّ الصّوت اللّغوي هو العنصر الأول في تشكيل اللّغة، ذلك بضمّ الأصوات بعضها بعض بشكل منتظم يضمن الوصول إلى الدلالة المقصودة.

أما عند العرب فالأبحاث الصّوتية كانت من الأبحَاث الأكثر اِكتمالاً و نضجًا، ذلك لأنَّ الأصل البحث فيها كَانَ القرآن الكريم:« فالدراسات القرآنية التي تَناولت وجوهَ الإعجاز في الكتاب المقدس إنّما اِنطلقت بادئ بدءٍ من الظاهرة الصّوتية التي تزخر بها الآيات القرآنيّة الكريمة» [1] حيث لاَحَظَ العرب ظَواهر صوتيّةَ مختلفة جرّاء سماعهم لآي القرآن، و إدراكهم لوجوه الاختلاف في التراكيب الصّوتية فيها، إذ «تبدأ الدّراسة العلميّة للّغة العربيّة- أو غيرها من اللّغات- بدراسة أصواته، و تتوقف صحة نطق كلمتها و معرفة دلالتها على مدى المعرفة و الدّراسة لأصواتها الّتي أصبحت المبحث الأول من مباحث الألسنيّة»[2] و ذلك لقيمتها الدلاليّة و جماليتها الفنيّة.

---

[1] : الصوت اللّغوي و دلالاته في القرآن الكريم، محمّد فريد عبد الله، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان،ط 1 ، 2008م ص:71-72

[2] : علم الأصوات اللّغويّة، أحمد عزوز، ديوان المطبوعات الجامعيّة، وهران الجزائر، دط،دت،ص:09

قد تفطّن العلماء العرب منذ أمد بعيد إلى أنّ النعمات التي تصدرها بعض الحروف تحمل دلالة على المعنى، و من ذلك ما أشار إليه الخليل حين قال: «صَرَّ الجندب صَريرًا و صرصر الأخطب صرصرة، فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدّا و توهموا في صوت الأخطب ترجيعًا و نحو ذلك كثير في العربيّة»[1] و هذا ما يؤكد أنّ العرب اِهتموا بدلالة الأصوات و أن هناك تقاربًا بين نطق الكلمة ومعناها و واقعها.

كما قد تتفق لفظتان في جلّ أصواتهما، و تختلفان في صوت واحد، و هذا يؤدّي إلى اتفاق و اِشتراك بينهما في المعنى العام لهما و اختلافهما في دلالة اللّفظ بحسب ما يمليه جرس الصوت المختلف بينهما، و قد ذهب إلى ذلك ابن جني في باب أسماه ب:إمساس الألفاظ أشباه المعاني "ذاكرًا عديدَ الأمثلة على ذلك في قوله: «خضم، و قضم، فالخضم لأكل الرّطب، كالبطيخ و القثاء و ما كان نحوهما من المأكول الرطب، و القضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدّابة شعيرها، و نحو ذلك... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، و القاف لصلابتها لليابس، حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث»[2] و من ذلك أيضا: قولهم: « النضح للماء و نحوه، و النضخ أقوى من النضح، قال سبحانه :﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾[3] فجعلوا الحاء- لرقتها- للماء الضعيفة، و الخاء- لغلَظتها- لما هو أقوى منه»[4]

وَ لقَد عقد ابن جني بابًا آخَرَ سماه ب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) أي اقتراب الألفاظ لاقتراب المعاني و من ذلك قوله سبحانه و تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ ﴾[5] أي:« تزعجهم و تقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزّا، و الهمزة أخت

[1] :العين، الفراهيدي ،تح: مهدي المخزومي و ابرهيم السّامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج1،ص:56.

[2] : الخصائص، ابن جني،تح: محمّد علي النّجاة، دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر ط 2، دت،ج2،ص:156-157

[3] : سورة الرحمن، الآية: 66

[4] :الخصائص، ابن جنيّ، الصفحة نفسها.

[5] : سورة مريم، الآية:83

الهاء، فتقاربَ اللّفظان لتقارب المعنيين و كأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، و هذا المعنى أعظم في النّفوس من الهز، لأنك قد تهزّ مال بال له، كالجذع و ساق الشجرة و نحو ذلك» [1] فجاءت الهمزة هنا بدل الهاء لقوتها ممّا يعطي قوةً في المعنى،فالأز أقوى من الهزّ، ممّا يؤكد أنّ كلّ صوتٍ له دلالته التي توحي بجوهره و مقصدِه.

و ممّا تقدّم ذكره يتبيّن أنّ الدلالة الصّوتية هي التي تستمدّ من طبيعة بعض الأصوات، حيث تختلف الأصوات في قدرتها الإيحائية وذلك نظرا لاختلافها في المخرج و الصّفة ممّا جعلها تستعمل كل منها حسب الموقف الذي يقتضيها[2].

أضف إلى هذا عناصر أخرى تشملها الدلالة الصّوتية كالنّبر و التّنغيم:

1-النّبر:(stress)

لغة:« النبر بالكلام: الهمز. قال: و كلّ شيء رفع شيئا، فقد نبره، و النبر مصدر نبر الحرف بنبره نبرًا هَمَزْه» [3] و« و انتبر الجرح تورم و ارتفع مكانه،، و نبرت الشيء رَفعته، و نبر فلان نبرَة: نطق نطقة بصوت رفيع».[4] فالنبر في اللّغة يعني، الهمزة و الرّفع .

أمّا اِصطلاحا: فقد عرف تمام حسان بأنّه«وضوحٌ نبريٌّ لصوت أو مقطع إذا قورن بقيّة الأصوات و المقاطع في الكلام» [5] ذلك أنّ الأصوات في الكلمة ليست بنفس القوة بل تختلف في درجة قوتها و ضعفها. «فعند النطق بمقطع منبور نلحظ أنّ جميع أعضاء النّطق تنشط غاية النشاط، إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطًا كبيرًا، كما تقوى حركات الوترين الصوتيين و يقتربان أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات، و يترتب عليه أن يصبحَ الصّوت عَاليًا واضحًا في السمع» فالنبر يقتضي طاقةً زائدة و يستوجب جهدًا عضليا إضافيا ، يجعل المقطع المنبور مرتَفِعًا و حادًّا و بارزًا عَنِ المقاطع المجاورة له.

---

[1] :الخصائص،ابن جني،ج2،ص:146

[2] :ينظر: الدلالة الصّوتية في اللّغة العربيّة، سليم الفاخري، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية مصر،دط،دت،ص:49

[3] :لسان العرب، ابن منظور،دار صادر بيروت، لبنان،دط،دت،م5،ص:189

[4] :أساس البلاغة، الزمخشري،ج2،ص:242

[5] :مناهج البحث في اللّغة، تمام حسّان، مكتبة الآنجلو المصرية، القاهرة،مصر،ط1990،ص:160

و ما يلفت النظر أنّ النبر سمة صوتية يؤدي وظيفة دلالية إذا وقع على كلمة بعينها بغرض توكيدها أو التعجب منها أو أغراض أخرى تتحقق بفعل الاعتماد عليه في السياق الكلامي. وهذا ما أكده كمال بشر من خلال المثال التوضيحي الذي ساقه: أنا لا آكل في الصباح عادَة، قائلا: « فقد يقع النبر على الضمير "أنا"، عند إرادة التوكيد أو بيان أن المتكلم يعني نفسه بالذات لا غيره، و قد يقع النبر كذلك على أداة النفي " لا" بقصد إزالة الشك مثلا عند السامع أو لتأكيد المعنى أو توضيحه، و ربما يستوجب الأمر كذلك بنبر كلمة "عادة" لبيان أنّ هذا السلوك من المتكلم يمثل عادة عنده، إذ قد يحدث أحيانا، أن يأكل في الصباح على غير عادته».[1]

فمن خلال هذا المثال يتجلى دور النبر –بوضوح– في الوصول إلى الغرض المقصود وإظهاره.

التّنغيم:

لغةً: جاء في لسان العرب: النّغمة: جرس الكلمة و حسن الصوت في القراءة و غيرها، و هو حسن النّغمَه، و الجمع: نَغْمٌ، و قد تنغّم بالغناء و نحوه، و إنّه ليتنغّم بشيء و يتنسّم بشيء و ينسم بشيء أي يتكلّم به، و النّغم: الكلام الخفيّ، و النّغمة: الكلام الحسن[2].

أما اِصطلاحًا فقد تعرض عديد الباحثين إلى مفهومه فقد عرفه كمال بشر بأنه موسيقى الكلام، فالكلام عند إلقائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن الموسيقى التي تظهر في صورة ارتفاعات و انخفاضات أو تنوعات صوتية و هي ما تعرف بنغمات الكلام، إذ الكلام– مهما كان نوعه– لا يلقى على مستوى واحد بحال من الأحوال[3].

و يعني التنغيم عند رمضان عبد التواب « رفع الصوت و خفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني للجملة الواحدة »[4] فهو يظهر من خلال تغيير طبقة الصوت و هو حاصل على مستوى

---

[1] :علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر،ط2000،ص:520

[2] :ينظر: لسان العرب،ابن منظور، م12،ص:590

[3]: ينظر، علم الأصوات، كمال بشر،ص:533

[4] :المدخل إلى علم اللّغة و مناهج البحث اللّغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط 3، 1997، ص:106.

الجملة حيث يتغيّر التنغيم في العلو و الانخفاض حيث يكون ثابتا في الجملة الطلبيّة، و مرتفعًا بالنسبة للجملة التعجبيّة، و هذا يحصل بالنسبة للكلام المنطوق الملحوظ[1].

فالتنغيم إذن ظاهرة لغوية راقية و تنوع صوتيّ حاصلٌ على مستوى أداء العبارة الواحدة، و قد أكدت كتب الصوتيات على أهميته، وأيقن العلماء وظيفته الدلاليّة كونه عنصرًا بارزًا يجلّى المعنى ويوضحه.

و كان ابن جنيّ أحد الذين التفتوا إلى ذلك حين يقول: «و ذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان و الله رجلا! فتزيد في قوّة اللّفظ ب (الله) هذه الكلمة، و لتمكن في تمطيط اللام و إطالة الصّوت بها و عليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك و كذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا! و تمكن الصّوت بإنسان و تفخّمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك» [2] هذا في مقام المدح و الثناء أمّا في مقام الذم فيقول:«سألناه و كان إنسانًا، و تزوي وجهك و تقطبّه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا آو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك»[3] فإشارة ابن جني إلى دور التنغيم في إيصال المعنى المراد إشارة واضحة و تساعده على ذلك قرائن غير لغوية و إشارات أخرى من مثل تقطيب الوجه.

و المعنى ذاته نبّه إليه الجاحظ في البيان و التبيين في قوله «الصوت آلة اللّفظ، و الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف و لن تكون حركات اللسان لفظًا و لا كلامًا موزونًا و لا منثورًا إلا بظهور الصّوت، و لا تكون الحروف كلامًا إلا بالتقطيع و التّأليف و حسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدّال و الشّكل و التقتّل و التثنّي»[4]

كما تجدر الإشارة أن الجملة العربيّة تحمل عدّة معانٍ كمعنى الاستفهام و التعجب و غيرها من المعاني فيحدّد التنغيم « الغرض القصدي للمتكلم و هذا ما يلاحظ في السورة الآتيه لقوله تعالى:

---

[1] :ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الابراهيمي،دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر ط 2، 2006،ص:79.

[2] : الخصائص، ابن جني، ج2،ص:371.

[3] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] : البيان و التبيين، الجاحظ،تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،ط 7، 1998، ج1،ص:79

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥ ﴾[1] فتقرأ الآية بصورتين تنغيميتين الأولى (قالوا جزاؤه، بتنغيم الاستفهام، وامن وجد في رحله فهو جزاؤه، بتنغيم التقرير و كذلك في قوله المولى-جل ثناؤه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾[2] فحذف حرف الاستفهام واستعيض عنه بالتنغيم و الأصل (أتبتغي)».[3]

و ممّا تقدّم ذكره يتبين و يتأكد أن التنغيم من الملامح التمييزيّه و التنوعات الصوتيّة التي لها وظيفة دلاليّة و قيمة معنويّة في السياق اللّغوي فهو الّذي يجعل الكلامَ اِستفهامًا أو تعجبا أو طلبا وغيرها من الأغراض فلا يمكن إنكار و تجاهل دوره الفعال في دلالة الكلام و ارتباطه الوثيق بالمعنى المراد فهو أحد المظاهر الصّوتية التي تؤكد وثوق العلاقة بين الصّوت و الدّلالة.

ب/ عند علماء الصّرف:

إضافة إلى علماء الصوت و اهتمامهم بدلالته، كان لعلماء الصّرف و عيٌ عميق بدلالة صيغ الكلمات و أبنيتها، فكل صيغة صرفية توجّه لدلالة معينة، و أيّ تغيير حاصل على مستواها يؤدي إلى تغيير في المعنى.

الصرف لغة يعني التغيير و التحويل فقد ورد في لسان العرب: الصرف ردّ الشيء عن وجهه صرفه صرفًا فانصَرَف، و صَرَف الله قلوبهم أي أضلّهم الله مجازةً على فعلهم. و صرفت الرّجل عني فانصرف، وصرفت الصّبيان: فلبتهم و الصَّرْف التقلب و الحيله [4] أمّا التّصريف فهو مصدر "صرّف" بتضعيف حرف الرّاء و « صرّف الشيء: أعمله في غير وجه كأنّه يصرفه عن وجه إلى وجه، وتصرّف

[1] :سورة يوسف، الآية:75

[2] :سورة التحريم،الآية:01

[3] : التنغيم و أثره في اِختلاف المعنى دلالة السياق،سهل ليلى،مجلّة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، ع:07، 2010،ص:13

[4] : ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (صرف)،م9، ص:189-192

هو، و تصاريف الأمور: تخاليفها»[1] و «تصريف الرّياح: تحويلها من وجه إلى وجه»[2] و ذلك في قول المولى عز و جلّ:﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤ ﴾[3].

يعني علم الصّرف ببناء الكلمات المفردة و الحروف الّتي يمكن زيادتها في بنية الكلمة الأصليّة والتي من خلالها يمكن توليد عدد كبير من الصيّغ بدلالاتٍ مختلفة كون الكلمة « أصل الدّقة في التّعبير، و الوضوح في المعنى، و الصّدق في الدّلالة لأنّ الكلمة إذا تمكنت في موضعها الأصل دلّت على المعنى كلّه، فإذا حشرت حشرًا أو قسرت قسرًا دلت على بعض المعنى أو لجأت إلى غيره، و في إختيار الكلمة الخاصّة بالمعنى إبداع، و الكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وضعت في موضعها على الصّورة اللاّزمة و النظام المطلوب تحرّكت الآلة و إلاّ ظلّت جامدة».

إذ يعدّ علم الصّرف "لغة التغيير" و هو « علم له أصوله تعرف بها أبنية الكلمات المتصرّفة» ممّا جعل علماء العرب القدامى و المحدثين يؤكدون على إحتياج جميع المشتغلين بالعربيّة إليه، لأنّه يضع القوانين و الأقيسة التي تستطيع بواسطتها التعرّف على بنية الكلمة و حروفها الأصليّة و الزّائدة، و ما أصابها من تغيير و غي ذلك»[4] فعلم الصرف إذا هو العلم الذي يهتم بداسة المفردة و ما يطرأ عليها من زيادة أو نقصان.

---

[1] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (صرف)،م9، ص:189-192

[2] : القاموس المحيط، الفيروز آبادي،م3،ص:219

[3]: سورة البقرة، الآية: 164 و تمامها قوله عز و جلّ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤ ﴾ .

[4] : الصرف التعليمي و التطبيقي في القران الكريم, محمود سليمان ياقوت,مكتبة المنار الإسلامية,الكويت،ط1,ص:56 ،

لا يختلف اِثنان في أنّ اللغة العربيّة لغة اِشتقاقيّة تولّد فيها الألفاظ عن طريق تقلباتها واشتقاقاتها من الجذر الواحد وفقًا لأوزان معيّنة، فالاِشتقاق يعدّ من الأدوات الضروريّة لإثراء لغة الضّاد في صيغها و مفرداتها و كذا دلالاتها « فتأتي مثلا إلى "الضّرب" الّذي هو الأصل فتصرفه على ما تريد من الوجوه المختلفة، فتبنى منه الماضي " ضَرَب" و للحاضر "يضْرِب" و للمستقبل "سيضرب" و للأمر "اِضرَبْ" و للنهي" لاتضربْ" و للفاعل "ضارب" و للمفعول "مضروبٌ" و للموضع "المضرِب" و و للآلة "المضرب، و المضراب" و لتهيؤ الفعل من ذات نفسه "اِضطَرَب" و للتكثير "ضرّب" و للتكلّف " تضرَّب"»[1]

و من دلالات أبنية الأفعال مثلا "أفعل" « فالأغلب على همزته النقل و التعدديّة كقولك ذهب و أذهبته، و قد يجئ بمعنى الصّيرورة نحو: أنبت المكان إذا صار ذات نبات» [2] و« فَعِلَ يكثر فيه العلل و الأحزان و أضداد كسقِم و مرض و برئ و حزن و فرح» [3] كما تزاد النّون في الفعل لغرض المطاوعة في " انفعل" كقولك: كسرته فانكسر، و حسرته فانحسر فذلك لأن النون تناسب هذا المعنى كون النون حرف خفيف فيه سهولة و اِمتداد إلى الخيشوم فكانت حالته مناسبة لمعنى السهولة و المطاوعة[4].

و للمصادر أيضا دلالة محددة تأتي ذلك اِستنادًا إلى صيغها و أوزانها «كفعَال لما كان داءً نحو: السّكات، و العطاس و الثاني لما فتّتَ نحو: الحطام و الفتات و الفضاض و الثّالث لما كان صوتًا كالصّراخ و البكاء» [5] و « فعَالَةٌ مما كان جزاءً لما عملت نحو: العمالة و الخياسة و الظلامه و الثاني

---

[1] :الأصول في النّحو، اِبن السّراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط 3، 1996، ج3،ص:84

[2] :التّتمة في التّصريف، ابن القبيصي،تح: محسن بن سالم العميري،مطبوعات نادي مكة الثقافي في الأدبي، السّعودية،ط1، 1993

[3] :الشافية في علم التصريف، ابن الحاجب، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكيّة السعوديّة،ط1995،1،ص:19

[4] :ينظر: شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش،تح، فخر الدين قباوه، المكتبة العربية حلب، سوريا، ط 1، 1973، ص:174

[5] : الأصول في النّحو، اِبن السّراج، ص:89

من فعالة ما كان معناه الفضالة نحو القلامة و القوارة» [1] و تأتي فعالة للقيام بالشيء و عليه نحو: الإمارة و الخلافة و السياسة[2] و من المصادر ما جاء لتكثير الفعل و المبالغة نحو: ما جاء على تَفْعَال سماعًا مثل: التّرحال بمعنى الرّحيل [3] و « لا يكون فعلان إلا حيث يراد المبالغة فالغضبان يدل شدّة الغضب و على ذلك جاء في صفة الله تعالى " الرحمن" على المبالغة فهو أبلغ من الرّحيم» [4] فلكلّ حرفٍ من حروف الزيادة دلالة تضاف على المعنى الأصلي للكلمة.

و ما يستنتج ممّا سبق أن التّركيب الصّرفي لأيّ مفردة يفضي إلى دلالتها و يحدّدها، و قد تفطن إلى هذا العلماء العرب واهتموا بهذا الصّنف من الدلالة و توسعوا في بابه.

ج/عند المعجمين:

يؤدي المعجم دورًا وظيفيًّا في اللّغة كونه يكشف عن غوامض ألفاظها و معانيها، و يتولّى تفسيرها وتوضيحها، و يميّز أصيلها من دخيلها، فقد حرص العلماء منذ الأزل على الحفاظ على اللّغة بتأليف معاجمَ حفظت لها أصولها و فروعها، وجمعت شتاتها، وأبعدتها عن الضّياع و الإِندثار. فمن وظائف المعجم إيجاد المعنى أو المعاني المختلفة للكلمة من الكلمات معزولةً عن سياقاتها و منه فإنّ المعنى المعجمي للّغة هو أساس فهم اللّغة و منطلق لمعرفة أنواع المعنى الأخرى فالدلالة المعجميّة « هي عبارَةٌ عن المعنى الّذي يستقلّ به اللّفظ في المعاجم اللّغوية أو أثناء التخاطب، و هذا غير دلالته الصّرفية، فلفظ غفور مثلا يدلّ على شخص متصّف بالغفران غير أنّ هذه الصّيغة الصّرفية تزيد معنى أزيد و هو الكثرة و المبالغة»[5].

---

[1] : الأصول في النّحو، إبن السّراج ،ص:90

[2] :ينظر: المصدر نفسه، ص:91

[3] :ينظر: الكناش في النّحو و الصّرف لإبن الأفضل علي الأيوبي، تح: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج1،ص:324

[4] : العمد " كتاب التّصريف"، عبد القادر الجرجاني،تح: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، 1995، ص:106

[5] : معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة و الأدب، مجدي وهبه و كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،ط2، 1984م، ص:160

و مِنْ أقوال إبراهيم أنيس عن الدلالة المعجميّة: «كل كلمة من كلمات اللّغة لها دلالة معجميّة أو اجتماعيّة، تستقلّ عمّا يكون أن توجيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسيّة، الّتي يطلق عليها الدلالة الاجتماعيّة» [1] فلكل وحدة معجميّة دلالة توحي بها و إن كانت مفردة غير واردة في السياق.

و مِنَ القضايا المتَّصلة بالمعنى المعجميّ قضيّة الترادف الّتي تعدّ مظهرًا من مظاهر الثراء اللّغويّ وخاصيّة تمتاز بها اللّغة و هو يعني: «ما اختلف لفظه واتفق معناه أو إطلاق عدّة كلمات على مدلول واحد» [2] و قد عدّ ابن خالويه (ت 370) للأسد زهاء خمس مائه اسما وصفة كالضّرضَم، والدّبّخْس [3]، و قد أنكر بعض الدارسين وجود هذه الخاصية كأبي هلال العسكري في كتابه الفروق اللّغوية الذي أبان من خلاله عن الفروق الدلاليّة الدّقيقة بين المترادفات مدعما آراءه بشواهد فيقول: «و كما لا يجوز أن يدلّ اللّفظ الواحد على المعنيين، فكذلك لا يجوز أن يكون اللّفظان يدلان على معنى واحد لأن في ذلك تكثيرًا للّغة كما لا فائده فيه.» [4]

و ممّا جاء به صاحب الفروق تبيان الفرق بين النّسيان و السهو فيقول: «إنّ النسيان إنّما يكون عمّا كان، و السّهو عمّا يكون فقول: نسيت ما عرفته، و لا يقال: سهوت عما عرفته» [5]. و هذا يعكس دقه النظر إلى دلالة المفردات.

إلى جانب قضية الترادف قضيّة الإِشتراك اللّفظي الذي هو: «اتحاد اللّفظ و تعدد المعاني فقط من غير قيود أو شروط» [6] و منه «" العين" الذهب، و العين: عين الماء، و العين،كثرة المطر، و

---

[1] :دلالة الألفاظ، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر،ط5، 1984، ص:48

[2] : فقه اللّغة، صالح بلعيد، دار الهومه، بوزريعة، الجزائر،دط،دت،ص:123

[3] :ينظر أسماء الأسد،ابن خالويه،تح:محمود جاسم الدّرويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1989، ص:8

[4] : الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكري، تح: محمّد ابراهيم سليم، دار العلم و الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1997،ص:23

[5] : المصدر نفسه،ص:97

[6] : الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكري ، ص:97

العين، نفس الشيء تقول: هو الرجل بعينه و العين: النّقد، و العين: العين التي يبصر بها» [1]. فاتفقت الألفاظ في مبانيها و اختلفت و تباينت في معانيها.

و ممّا ناقشه المعجميون أيضا قضية **الاشتراك** الذي هو وقوع اللّفظة على المعنيين المتضادين ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصيّة أحد المعنيين دون الآخر، و لا يراد بها في حال التكلّم و الإخبار إلا معنى واحد [2] كـ" «النِّد قع على معنيين متضادّين، يقال: فلان ندّ فلان إذا كان ضدّه، و فلان ندّه إذا كان مثَله» [3] فتجمع كلمة واحدة معنيين متضادين.

و مما تقدم ذكره يتأكد أن المعجميين اهتموا اِهتماما بالغًا بدلالة الألفاظ ومعانيها الدقيقة وقدموا بحوثا كاملة في هذا المجال.

د/ البحث الدلالي في كتب معاني في القرآن :

لعلَّ من البواكير الأولى للبحث في المعنى، الذي هو أساس علم الدلالة تلك الجوانب والمسائل الدلاليَّة الهامة التي وقف عليها المصنفون في معاني القرآن، فتعد هذه المصنفات – بذلك – مرحلة خصبة من مراحل البحث الدلالي في التراث العربي.

فقد اتسع البحث في معاني مفردات القرآن في مصنفات كثيرة، منها مجاز القرآن لأبي عبيدة بن المثنى (ت 210هـ) ، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط (ت 215هـ) ، ومعاني القرآن للفراء (ت207هـ) ، فقد تنبه هؤلاء إلى قضايا وظواهر دلالية، كالترادف والمجاز وغيرها، وإنما جاء هذا التصنيف والتفكير الدلاليّ ضرورة لفهم ما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

ومن المسائل الدلالية التي ناقشها ما يلي :

---

[1] :الاشتراك اللّفظي،في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق، محمد نور الدّين المنجد، دار الفكر،دمشق، سوريا،ط1، 1999، ص:30

[2] :ينظر: كتاب الأضداد، ابن القاسم الأنباري، تح: محمّد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، لبنان، ط1، 1987، ص:17

[3] : المصدر نفسه،23-24

-الترادف :

لا يخلو كتاب معاني الأخفش من الإشارة إلى الترادف ، ولولا الترادف لما استطاع الأخفش أن يبين دلالة بعض الألفاظ ، وقد أشار في بعض المواضع إشارة صريحة [1]، ومن أمثلة ذلك تفسيره لقوله تعالى : { أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ }[2] فقال الأخفش : « الرفث والإفضاء : واحد ، فكأنه قال : الإفضاء إلى نسائكم »[3] وهذه إشارة واضحة وصريحة إلى ظاهرة الترادف.

يقول الله – عز وجل – في كتابه : { ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ }[4] يقول الأخفش في تفسيرها : « والسلم : الإسلام »[5] ففي قوله هذا يعني أن السلم والإسلام مترادفان ، وإن لم يشر إلى ذلك صراحة ،كما فسر " السكينة " بمعنى " الوقار " ، في قوله تعالى : { وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ }[6] فقال الأخفش : « و"السكينة" هي : الوقار »[7]، فيقر – بذلك – بظاهرة الترادف في اللغة العربيّة.

ويبدو الفراء من خلال تفسيره لدلالة بعض الألفاظ أنه قد استعان بظاهرة الترادف ، من أجل الوصول إلى دلالة بعض الألفاظ ، إلا أنه فيما يبدو ليس من المغاليين بوجود هذه الظاهرة ، بدليل أنه فرق بين الألفاظ المتطابقة في دلالتها تطابقا تاما ، وبين الألفاظ المتقاربة في دلالتها ، فهو

---

[1] : ينظر : البحث الدلالي في كتب معاني القرآن لأبي عبيدة والأخفش والفراء ، عمار الددو ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 2010 ، ص : 281.

[2] : سورة البقرة ، الآية : 187.

[3] : معاني القرآن ، الأخفش ، تح : هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1990 ، ص : 171.

[4] : سورة البقرة ، الآية : 208.

[5] : معاني الأخفش ، ص : 180.

[6] : سورة البقرة ، الآية : 248.

[7] : معاني الأخفش ، ص : 195.

يشير للأولى بقوله : بمعنى واحد ، وللحالة الثانية بقوله : متقاربان في المعنى [1]، ومن أمثلة ما أشار إلى تطابق دلالته من الألفاظ ما يأتي :

فسر قوله تعالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ }[2] فقال : « " أوفوا بالعقود" يعني بالعهود ، والعقود والعهود واحد »[3]ومن أمثلة ما أشار إلى تقارب دلالة الألفاظ تفسيره لقوله تعالى : { إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ }[4]، يقول الفراء في تفسيره : « " إلا إلا أن يظنا ألا يقيما حدود الله ، والخوف والظن متقاربان في كلام العرب ، ومن ذلك أن الرجل يقول : قد خرج عبدك بغير إذنك ، فتقول أنت : قد ظننت ذاك ، وخفت ذاك ، والمعنى واحد »[5]. »[5].

–التضاد :

إن رأي الأخفش في ظاهرة التضاد يبدو أكثر وضوحا ، فقد لوحظ إذا عرضت له ألفاظ التضاد ، بين معناها على الوجهين صراحة ، من غير أن يهمل تفسيرها ، بل على العكس يحشد ألفاظا أخرى ، للتدليل على أنها من الأضداد ، وبهذا يبدو الأخفش يؤيد هذه الظاهرة في اللغة ويقر بوجودها ، ويظهر هذا جليا في تفاسيره[6].

ومنها في تفسيره لكلمة " يشري " في قوله تعالى : { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ }[7]، يقول الأخفش : « يقول : " يبيعها " ، كما تقول : " شريت هذا المتاع ، أي : بعته ، وشريته : اشتريته أيضا ؛ يجوز في المعنيين جميعا ، كما تقول : إن الجل لأفضل

---

[1] : ينظر : البحث الدلالي في كتب معاني القرآن لأبي عبيدة والأخفش والفراء ، عمار الددو ، ص : 186.

[2] : سورة المائدة ، الآية : 01.

[3] : معاني القرآن ، الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1983 ، ج1 ، ص : 298.

[4] : سورة البقرة ، الآية : 229.

[5] : معاني الفراء ، ج1 ، ص : 146.

[6] : ينظر : البحث الدلالي في كتب معاني القرآن ، عمار الددو ، ص : 202.

[7] : سورة البقرة ، الآية : 207.

المتاع ، وإن الجل لأراده ، على نحو ذلك يجوز مع كثير مثله ، وكذلك " الجلل ، يكون العظيم ، ويكون الصغير ، وكذلك " السدف " يكون : الظلمة ، والضوء »[1]، فواضح من هذا أن الأخفش متحمس لإثبات هذه الظاهرة ، ويمثل لها بعديد الأمثلة.

ورأي الأخفش في ظاهرة التضاد في اللغة العربية لا يختلف عن رأي الفراء فقد لاحظ هذا الأخير هذه الظاهرة في اللغة ، ونبه إلى دلالة بعض الألفاظ التي عرضت له ، ومن هذه الألفاظ : "شرى" و"باع" ، فقد أشار إلى دلالتها عند تفسيره لقوله تعالى : { بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ}[2]، يقول الفراء : « و" قوله بئسما اشتروا به أنفسهم " معناه – والله أعلم – باعوا به أنفسهم ، وللعرب في شروا واشتروا مذهبان، فالأكثر منهما أن يكون شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا ، وربما جعلوهما جميعا في معنى : باعوا ، وكذلك : البيع ، يقال : بعت الثوب ، على معنى أخرجته من يدي وبعته : اشتريته ، وهذه اللغة في تميم وربيعة »[3].

فإشارة الفراء إلى هذه الظاهرة إشارة واضحة ، ومن هذا كله يتأكد أن مؤلفي المعاني قد أقروا بظاهرتي الترادف والتضاد ، وقد كان لهم فضل السبق في الإشارة لهما والتنبيه إلى وجودها في كلام العرب.

الدلالة النحوية في كتب المعاني :

لم يخرج مؤلفو معاني القرآن عما قاله النحويون في مسائل كثيرة ، والمتصفح لهذه المصنفات ليلفي عددا غير قليل من الموضوعات والمباحث النحوية التي جاءت مبثوثة في ثنايا هذه الكتب من غير ترتيب ، فقد تضمنت قواعد نحوية كثيرة اعتمدت على كتاب سيبويه كما الحال في كتاب معاني الأخفش.

فكتاب الأخفش يتضمن من حيث الموضوعات النحوية الحديث عن المبني والمعرب ، وعلامات الإعراب ، وإعراب المثنى ، وجمع المذكر السالم ، وإعراب مالا ينصرف من الأعلام والصفات والجموع ، وإعراب الأفعال الخمسة ، وتحدث عن إعراب الأسماء كالمرفوعات من مبتدأ

[1] : معاني الأخفش ، ص : 178 – 179.

[2] : سورة البقرة ، الآية : 90.

[3] : معاني الفراء ، ج1 ، ص : 56.

أو خبر وفاعل ، ونائبه ، واسم كان ، وخبر إن ، والمنصوبات كالمفعول المطلق ، والمفعول به ، والمفعول فيه ، وظن وأخواتها ، والنصب على الاختصاص ، والنصب على نزع الخافض ، والتحذير ، والتمييز والمستثنى وغيرها[1].

فيتحدث الأخفش في تفسيره للآية : { الحمد لله }[2]، عن العلة في رفع المبتدأ أو الخبر يقول : « " فإنما رفع المبتدأ ابتداؤك إياه*، والابتداء هو الذي رفع الخبر في قول بعضهم ، كما كانت "إن" تنصب الاسم ، وترفع الخبر ، كذلك رفع الابتداء الاسم والخبر ، وقال بعضهم : " رفع المبتدأ خبره ، وكل حسن ، والأول أقيس ، فالأخفش ذكر أراء النحويين في قضية علة رفع المبتدأ ، فيجيز أقوال المدرستين ، ويستحسن مذهب البصريين كون أن المبتدأ رفع ابتداء »[3].

ويستطرد الأخفش حديثه في هذه الآية ، فيذكر وجوها إعرابية أخرى لها يقول : وبعض العرب يقول : " الحمد لله " ، فينصب على المصدر ، وذلك أن أصل الكلام عنده على قوله : "حمدا لله" ، يجعله بدلا من اللفظ بالفعل ، كأنه يجعله مكان " أحمد " ، حتى كأنه قال : أحمد حمدا، ثم أدخل الألف واللام على هذه ، وقد قال بعض العرب : " الحمد لله " فكسره ، وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء غير المتمكنة ، فتحرك أواخرها حركة واحدة لا تزول علتها[4].

ويقف الأخفش وقفة مع الجمع المذكر السالم من خلال كلمة " العالمين " من الآية نفسها ، يقول : « وأما فتح نون : " العالمين " ، فإنها نون جماعة ، وكذلك كل نون جماعة حد التثنية فهي مفتوحة ، وهي النون الزائدة التي لا تغير الاسم عما كان عليه ، نحو : نون : مسلمين ، وصالحين ، ومؤمنين ، فهذه النون زائدة ، لأنه يقول : مسلم وصالح ، فتذهب النون ، وكذلك " مؤمن " قد ذهبت النون الآخرة ، وهي المفتوحة ، وكذلك " بنون " ، آلا ترى إنما زدت على مؤمن واوا ونونا ، أو ياء ونونا ، وهو على حاله لم يتغير لفظه[5].

---

[1] : ينظر : البحث الدلالي في كتب معاني القرآن ، عمار الددو ، ص : 106.

[2] : سورة الفاتحة ، الآية : 01.

* هذا مذهب البصريين.

[3] : معاني الأخفش ، ص : 09.

[4] : ينظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] : ينظر : المصدر نفسه ، ص : 13 – 14.

كما لم يتغير في التثنية حين قلت : مؤمنان ، ومؤمنين ، إلا أنك زدت ألفا ونونا ، أو ياء ونونا للتثنية ، وإنما صارت هذه مفتوحة ، ليفرق بينها وبين نون الاثنين ، وذلك أن نون الاثنين مكسورة أبدا ، قال : { قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ تَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ } [1]. وقال : { أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا } [2]، والنون مكسورة[3].

ويكمل الأخفش حديثه عن جمع المذكر السالم فيتحدث عن إعرابه قائلا : « وجعلت "الياء" للنصب والجر نحو : " العالمين ، و" المتقين ، فنصبهما وجرهما سواء ، كما جعلت نصب الاثنين وجرهما سواء ، ولكن كسر ما قبل ياء الجميع ، وفتح ما قبل ياء الاثنين ، ليفرق ما بين الاثنين والجميع ، وجعل الرفع بالواو ، ليكون علامة للترفع ، وجعل رفع الاثنين بالألف ، وهذه النون تسقط في الإضافة ، كما تسقط نون الاثنين نحو قولك : بنوك ، ورأيت مسلميك[4].

ويتضمن مجاز أبي عبيدة دلالات استعان بالقرينة النحوية على إيضاحها ، على نحو ما في تفسيره لقوله تعالى : { غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ }[5]، حيث عد " لا " من الزوائد جاءت لتتميم الكلام وتأكيده حيث يقول : , " لا " من حروف الزوائد لتتميم الكلام ، والمعنى إلغاؤها ، و"لا" تأكيد لأنه نفي ، فأدخلت لا لتأكيد النفي ، تقول : جئت بلا خير ولا بركة ، وليس عندك نفع ولا دفع [6]، وهذا يعني أن " غير ، عند أبي عبيدة متضمنة معنى النفي ، أي هي بمثابة لا.

وإلى مثل هذا ذهب الفراء في تفسيره للآية ، حيث يقول : « وأما قوله تعالى : " ولا الظالين" فإن معنى " غير " معنى " لا " ، فلذلك ردت عليها ، و" لا " ، هذا كما تقول : فلان غير

---

[1] : سورة المائدة ، الآية : 23.

[2] : سورة يس ، الآية : 14.

[3] : ينظر : معاني الأخفش ، ص : 14.

[4] : معاني الأخفش، ص : 14.

[5] : سورة الفاتحة ، الآية : 07.

[6] : ينظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، تح : محمد فؤاد سركين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، د.ت ، ج1 ، ص : 25 – 26.

محسن ولا مجمل ، فإذا كانت " غير " بمعنى سوى لم يجز أن تكر عليها " لا " ، آلا ترى أنه لا يجوز : عندي سوى عبد الله ولا زيد »[1]، ومنه تبين أن أبا عبيدة والفراء لم يخرجا عما قاله النحويون ، في عد " لا " زائدة في هذا الموضع ، لأنها سبقت بـ " غير " التي تضمنت معنى النفي.

فجلي من هذا كله ، أن الدلالة قد شغلت حيزا معتبرا من اهتمام المصنفين في معاني القرآن ، لما لها من ارتباط وثيق بفهم آيات القرآن الكريم فهما صحيحا ، فقد عني هؤلاء بالدراسات اللغوية عامة ، وبالدرس الدلالي خاصة.

2/ الدّلالة النّحوية:

ممّا لا شكَّ فيه أن هناك علاقة وثيقة بين الدلالة و النّحو، ذلك أنّ الوظيفة التركيبيّة تؤثر في المعنى، و تغييرها يؤدي إلى تغيير الدّلاله، فالنحو أحد الأبنيّة الأساسيّة التي تسهم في عمليّة إنتاج الدّلاله و الوصول إليها، قد اهتم علماء العربيّة منذ القدم بالمعاني الدقيقة و البليغة للتراكيب و بأثر العلامة الإعرابية في بيان المعنى و تجليته فعلاقة النحو بالدلالة علاقة قديمة قدم النحو نفسه.

فالدّلالة النّحوية هي ثمرة الوشائج المتينة بين الدلالة و النّحوِ، و تعني «المفهومَ المستمدَّ من التّراكيب النّحويّة بعد أن تؤدّي معنًى سليما، و ليس تركيبا قاعديا فقط، لأنّها ترتبط بالبنية العميقة للجملة، و بالعلاقة بين الجملة و السّياق و التّركيب الإسناديّ و علاقته الوظيفيّة كالفعليّة و المفعوليّة و الحاليّة و النعتيّة، و الظّرفيّة و التميّز و الإضافة» [2] و غيرها من أبواب النّحو، فالمعنى النحويّ هو محصّلة العلاقات القائمة بين الكلمات في الجملة و هو ما تدل عليه الكلمة باعتبارها رموزًا للأشياء والأفكار، كما يمثلها المتحدّث باللّغة، فكلمات مثل: كرة، ولد لها معنى معجميّ و ليس لها معنى نحوي حتى توضع في تركيب معيّن بطريقة معيّنة حيث يكشف هذا التركيب عن طبيعة العلاقات النحويّة بينها[3]. و هذه العلاقة قد أولاها العلماء العرب اهتماما كثيرًا تجلّى في كتبهم و مصنّفاتهم.

---

[1] : معاني الفراء ، ج1 ، ص : 24.

[2] : الدلالة النّحويّة في كتاب المقتصب للمبرد، سامي الماضي، مكتبة الثقافه الدّينيّة، القاهرة، مصر، ط 1، 2009، ص:18

[3] :ينظر: الكلمة دراسة لغويّة معجميّة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندرية، مصر، ط 2، 1998، ص:104

أ/ ملامح الدلالة النّحويّة لدى القدماء:

1**–لدى سيبويه (ت180هـ)**: قد عقد سيبويه علاقة بين السلامة النّحوية و سلامة المعنى في "باب من كتابه أسماه ب: باب الاستقامة من الكلام و الإحالة" فالكلام منه «مستقيم حسن، و محال، ومستقيم كذب»[1]، و مستقيم قبيح و ما هو محال كذب و قد أعطى صاحب كتاب مثالا على كل ضرب من ضروب التراكيب: «فأمّا المستقيم الحسن: فقولك: أتيتك أمس و سآتيك غدا، و أمّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: آتيتك غدا، و سآتيك أمس، و أمّا المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، و شربت ماء البحر، و نحوه. و أمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللّفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيت، و كي زيد يأتيك و أشباه هذا. و أمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ما ء البحر أمس» [2] فمن ضروب الكلام ما أطلق عليه سيبويه ب " القبيح" و هو ما يخالف المقصود الدّلالي الذي هو نتيجة وضع اللّفظ في غير موضعه.

2-لدى **عبد القاهر الجرجاني** (ت 471 هـ): يعد الجرجاني من النحويين الذين تأثروا بسيبويه في ملاحظتهم العلاقة المتينة بين القوانين النحويّه و مقصود الكلام، و قد كان عبد القاهر أكثر اهتمامًا بمسألة المعنى النّحوي، مقدّما بذلك نظرة ثانية للنّحو و اتجاهًا جديدا في مفهومه، ذلك أن النحو عنده ليس ضَبْطَ أواخر الكلام و علامات الإعراب بل هو العِلْم الّذي به تكْشَف لنا المعاني ويتجلى مذهبه النحويّ في كتابيه أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز.

هذا الأخير الذي قال عنه طه حسين في مقدمّه كتاب نقد النثر:« و لا يسع من يقرأ "دلائل الإعجاز" إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق خصب، في التأليف بين قواعد النحو العربي و بين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب و الفصول، و قد وفق عبد القاهر فيما حاول توفيقًا يدعو إلى الإعجاب، و إذا كان الجاحظ هو واضع أساس البيان العربيّ حقّا، فعبد القاهر هو الّذي رَفَع قواعده و أحكم بناءه»[3]

---

[1] :الكتاب، سيبويه، ح1، ص:25

[2] :المصدر نفسه ص:25-26

[3] :نقد النّثر، قدامة بن جعفر، تح: العبادي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1980، مقدمة طه حسين، ص:30

ذلك من خلال ما أسماه بنظرية النّظم الذي تعني أن « تضع كلامك الوضع الذي يَقتضيه و تَعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجَه الّتي نهِجَت فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرّسوم الّتي رسمت لك فلا تخلَّ بشيء منها»[1] و من النظم أن تتصرّف في التعريف و التنكير، و التّقديم و التأخير في الكلام كله و في الحذف و التكرار و الإضمار و الإظهار، فتصيب بكلّ من ذلك مكانه و تستعمله على الصّحة وعلى ما ينبغي له.[2]

و يضيف « فلاَ تَرى كلاما قد وصف بصحّة نظمٍ أو فساده، أو وصِفَ بمزيّة و فضل فيه، إلا و أنت تجد مرجع تلك الصّحة و ذلك الفساد و تلك المزيّة و ذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، و وحدته يدخل في أصل من أصوله و يتصلّ بباب من أبوابه»[3] و من ذلك قول المتنبي[4]:

غَضَبَ الدَّهر و الملوكَ عَلَيْهَا.....فبنَاهَا في وجنة الدّهر خالاً

فيعلّق الجرجاني على البيت بقوله:« إنّ موضع الأعجوبة في أنْ أخرج الكلام مخرجه الّذي ترى، و أن أتى " بالخَالِ" منصوبًا على الحال من قوله " فبناها"، أفلا ترى أنك لو قلت: و هي "خال في وجنة الدّهر" لوجدت الصورة غير ما ترى» [5] فالتركيب النحوي و ترتيب الكلمات جعل الكلام يحقق مستوى كثيرًا من الانسجام و التناسب، كما كان له الأثر البالغ في الوصول إلى مقصوده.

ب/ الدلالة النّحويّ لدى المحدثين:

أ–لدى عبد اللّطيف حماسة: لقد عني اللّغويون المحدثون بقضية الدلالة النحويّة و أكدوا على وثوق الصّلة بين الدلالة و النحو و منهم عبد اللّطيف حماسة في مؤلفه " النحو و الدلالة" التي امتلأت نصوصه بدراسة المعنى النحوي الدّلالي، فحماسة يحتقر « الباحثين الّذين يحصرون أنفسهم في غاية النّحو الضّيقة من الإعراب و البناء فحسب، و لا يشغلون أنفسهم بغير القاعدة التي تحدّد ذلك من

---

[1] :دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط، دت، ص:81

[2] : ينظر:المصدر نفسه، ص:82

[3] :المصدر نفسه، ص:82-83

[4] : ديوان المتنبي، المتنبي، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص: 412

[5] :دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص:103

غير أن يحاولوا كشف تفاعلها و طاقتها في النّص اللّغويّ» [1] و يؤكد أن الوظائف النّحويّة تمدّ الجملة بالمعنى النّحويّ الأوّل، و هذا المعنى النّحويّ الأوّل له نظامه الخاصّ الذّي تختلف درجاته، و النظام النّحويّ يتكفل ببيان هذا التدرج، فهناك صيغ نحويّه مقبولة و صيغ غير مقبولة، و بعضها مسموح به في الشعر دون النثر، و بعضها مسموح به في بعض أنواع التعبير، و الجملة الّتي ينكسر فيها النّظام النّحويّ اِنكسارا غير مسموح به مطلقا في المستوى اللّغويّ المعيّن لا تعدّ جملة صحيحة مطلقا لا نحويّا و لا دلاليّا، فالصّحة الدلاليّة هنا مشروطة بالصّحة النحويّة[2].

و ما ينبغي ذكره أن حماسة قد تأثر كثيرًا بمذهب سيبويه في هذه القضية أي المعاني النّحويّة بدليل أن سيبويه يصادفنا كثيرًا في مؤلفه، و آراؤه مثبوثة في صفحاته.

ب–لدى تمام حسّان: يعدّ كتاب "اللّغة العربيّة و معناها ومبناها" لتمام حسان محصّلة لآرائه وأفكاره اللّغوية و قد تعرض فيه صاحبه لموضوع المعنى النّحوي و ما يتعلق به، مشيرًا إلى أن النّحاة في دراساتهم اللّغويّة جنحوا إلى المبنى حيث يقول:« اتسمت الدراسات اللّغويّة بسمة الاتجاه إلى المبنى أساسا، و لم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعًا و على اِستحياء» [3] و ما يؤكد هذا الحكم هو أن المعنى التحليلي الوظيفيّ الذي درسه النحاة و جعلوه حقل تخصصهم ذو ثلاث شعب:

1:دراسة الأصوات العربيّة من حيث مخارجها و صفاتها.

2:دراسة الصّرف: حيث عنوا بالأصوات و الزّوائد و بيان المشتق و الجامد و تحديد أشكال الصّيغ وغيرها من قضايا الصّرف.

3: دراسة النّحو: و قد حاولوا تقسيم الكلام و بيان علامات كل قسم ثم كشفوا عن المعرب و المبني و بيّنوا الأبواب النحويّة و بعض المعاني الوظيفيّة كالتّذكير و التعريف و الإفراد و التثنية و الجمع وهلم جرّا.[4]

---

[1] :النحو و الدلالة " مدخل لدراسة المعنى النحويّ الدّلالي"، محمد حماسة عبد اللّطيف، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص: 31

[2] :ينظر: المرجع نفسه، ص: 57-58

[3] :اللّغة العربيّة معناها و مبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ط1994، ص:12

[4] :ينظر: اللغة العربيّة معناها و مبناها، تمام حسان ، 15-16

و ممّا لاحظه تمام حسان على الدراسات النحويّة أنها كانت تحليليّة لا تركيبيّة أي أنها كانت تهتم بمكونات التركيب أي بالأجزاء التحليليّة فيه أكثر من عنايتها بالتركيب نفسه، أي أن النحاة لم يَعطوا عناية كافية للجانب الآخر من دراسة النحو و هو الجانب الذي يشمل على طائفة من المعاني التركيبيّة و المباني التي تدل عليها[1].

فالدلالة النحوية لديه دلالة عامّة تتمثل في طائفة من المعاني النحوية العامة كالمعاني في الجمل أو الأساليب، و دلالة خاصّة التي تشمل معاني الأبواب المفردة كالفعليّة و المفعوليّة و الإضافة [2] و غيرها من الأبواب التي حاول من خلالها الكشف عن الوظائف و العلاقة النحويّة التي توصلنا إلى المعنى، وهو كتاب تشع فصوله بثروة لغويّة تستدعي النَظرة المتمعنة فيها و القراءة العميقة لها.

ج –القرائن و وظيفتها في تحديد الدّلالة النّحويّة:

- **القرائن المعنويَّة:**

للقرائن المعنويّة أثرٌ في توجيه المعنى النّحويّ، إذ إنّ هناك علاقة وطيدة بينها و بين العلاقات النّحويّة، إذ تمثّل الأولى المرتكز الأساس في بنية الكلام من حيث وضعها الدّلاليّ الّذي يهيىء الغرض المراد، أو بمعنى آخرَ المعنى النّحويّ لدلالة التّراكيب النّحويّة، و هذه العلاقات المعنويّة ذات أثرٍ كبير في التّراكيب النّحويّة، لأنّا تعطى السّامع مفهوم الدلالة النّحويّة للنّص، و لها المزيّة المهمّة في التّركيب النّحويّ[3].

أ–دلالة الإسناد:

و يمكن أن يكون الإسناد إسنادًا في الجملة الاِسميّة، أو الفعْليّةِ، و تمكن أن يكون إسنادًا خبريّا أو إسنادًا إنشائيّا و هلمّ جرّا [4]، و « المسند و المسند إليه هما ما لا يستغني كل واحد عن

[1] : ينظر اللغة العربيّة معناها و مبناها، تمام حسان ، ص:16

[2] : المصدر نفسه ، ص:178

[3] ينظر: الدّلالة النّحويّة في كتاب المقتضب للمبرد، سامي الماضي، ص:170

[4] : ينظر: اللّغة العربيّة معناها ومبناها، تمّام حسان، ص:192

صاحبه»[1] و علاقة الإسناد هي علاقة المبتدأ بالخبر، و الفعل بفاعله، و الفعل بنائب فاعله، والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله[2].

ب–قرينة التّخصيص:

التّخصيص علاقة سياقيّة كبرى، أو قرينه معنويّة كبرى تتفرع عنه قرائن معنويّة أخصّ منه كالتعدّية، و الغائية، و المعيّة، و الظّرفيّة، و الملابسة و التّفسير، و المخالفة[3]

ج–قرينة النّسبة:

و هي قرينة كبرى كالتّخصيص، و تدخل ضمنها حروف الجرّ و الإضافة الّتي تكون دليلا على التّعريف، لتخرج بوظيفتها من التّنكير إلى التّعريف[4].

د–قرينة التّبعيّة:

و التبعيّة فهي أيضا قرينة معنويّة عامّة، يندرج تحتها أربع قرائن هي النّعت و التّوكيد و العطف والإبدال، و هذه القرائن المعنويّة تتضافر مع قرائن أخرى لفظيّة، أشهرها قرينة المطابقة[5].

- **القرائن اللّفظيّة:**

و هي إحدى عناصر الكلام الّتي تسهم في إدراك القرائن المعنويّة، و من ثمّة التوصّل إلى المعاني النّحوية و هي أقسام:

أ–العلامة الإعرابيّة:

قد اِهتمّ النّحاة بالعلامة الإعرابية، لما لها من تأثير في تغيير المعنى النّحويّ، فضلاً عن دلالتها على قرائن أخرى منها نظام الرّتبة ،كأن تقول: ضَرَبَ زيدٌ عمرًا، فالضمّة دالّة على الفاعل، و أمّا قولك:

---

[1] : المقتضب، المبرد،تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، القاهرة، مصر، ط 1، 1994،ج4،ص:126

[2] :اللغة العربيّة، معناها و مبناها، تمام حسان، ص: 194

[3] : المرجع نفسه ، ص: 194

[4] : ينظر: الدّلالة النّحويّة في كتاب المقتضب، سامي الماضي، ص: 181

[5] : ينظر:اللّغة العربيّة معناها و مبناها، تمام حسان، ص: 204

ضَرَب عيسى موسى، فإنَّ نظام الرّتبة هوَ الدّال على الفاعل و المفعول، لأنّ العلامة الإعرابيّة تعذّر ظهورها، لذا لم يجوِّزْ النّحاة التقديم و التأخير في مثل هذه المسائل[1].

ب–قرينة الرّتْبَةِ:

هناك رتب محفوظة لو اِختلّت لاختلّ التّركيب باختلالها، و مِن هنا تكون الرّتبة المحفوظة قرينة لفظيّة تحدّد معنى الأبواب المرتبة بحسبها[2]، فلا تتأخر الصّلة عن موصولها و الصّفة عن موصوفها.

ج–قرينة الصّيغةِ:

فمن المعروف أنّ الصّيغَ فروع على مباني التّقسيم، فللأسماء صِيَغها، و للصّفات و الأفعال صيَغها كذلك، و هكذا تكون الصّيغة قرينة لفظيّة على الباب، فلا تتوقع للفاعل و لا للمبتدأ و لا لنائب الفاعل أن يكون غير اِسم[3].

د–قرينة المطابقة:

هي من القرائن اللّفظيّة الّتي توضح العلاقة بين أجزاء الكلام، من خلال تضافر العلاقات بينها، و تكون المطابقة في العلامة الإعرابيّة، و في الشخص و العدد و النّوع و التّعيين[4].

هـ–قرينة الرّبط:

و تبنى على اتّصال أحد المترابطين بالآخر، كأن يتمّ بين الموصول وصلته، و بين المبتدأ أو خبره، و بين الحال و صاحبه، و بين المنعوت و نعته، و بين القسم و جوابه، و بين الشّرط و جوابه[5].

و–قرينه التّضامّ:

يمكن فهم التّضامّ على وجهين، الأول أنّ التّضامّ هو أحد الطّرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف طريقه منها عن الأخرى، تقديما و تأخيرًا، وفصلا و وصلا، و هلمّ جرّا، و الثّاني أنْ يستلزم أحد العنصرين التّحليلين عنصرًا آخر، فيسمّى التّضامّ هنا التّلازم[6].

---

[1] : ينظر: الدّلالة النّحويّة في كتب المقتضب، سامي الماضي،ص:187

[2] :ينظر: اللّغة العربيّة معناها و مبناها، تمّام حسان، ص:207

[3] : ينظر المرجع نفسه ، ص:210

[4] :ينظر:الدّلالة النّحويّة في كتاب المقتضب ، سامي الماضي، ص:189

[5] :ينظر: اللّغة العربيّة معناها و مبناها، تمام حسّان، ص: 123

[6] :ينظر: المرجع نفسه، ص:216-217

3- البيضاوي و منهجه و منهجه في أنوار التنزيل و أسرار التأويل:

سيتناول هذا البحث الدلالة النحوية في أنوَار التنزيل و أسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي و هذه ترجمة مختصرة لمؤلفه.

أ-ترجمة البيضاوي:

-نسبه و نسبته و ثقافته:

هو عبد الله بن عمر بن محمّد بن عليّ أبو الخير، قاضي القضاة ناصر الدّين البيضاوي، كان إماما علامّة، عارفا بالفقه و التفسير و العربيّة و المنطق، نظارًا صالحًا متعبّدا شافعيّا [1] فقيها أوليّا متكلّما، أدبيا نحويّا مفتيا قاضيا، ولد في المدينة البيضاء بفارس قرب شيراز و إليها نسب[2]، و بها وَلِيَ القضاء، و دخل تبريز و ناظر بها[3].

-مؤلفاته:

للبيضاوي مصنفات عديدة تدل على غزارة علمه و براعته في التأليف منها:

-مختصر الكشاف.

-المنهاج في الأصول و قد شرحه أيضا.

-شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول.

-شرح المنتخب في الأصول للإمام فخر الدين.

-شرح المطالع في المنطق.

-الإيضاح في أصول الدّين.

-الغاية القصوى في الفقه.

-الطوالع في الكلام.

---

[1] : ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين و النحاة، السيوطي، تح: محمّد أبُو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، سوريا، ط1، 1965، ج2،ص:50

[2] : يُنظر: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغى، القاهرة، مصر، ط1، 1947، ص:88

[3] : ينظر:طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تح: عبد الفتاح الحلو و محمود محمّد الطناحي، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، مصر، ط1، 1964،ج8، ص:158

-شرح الكافية لابن الحاجب[1].

-شرح التّنبيه في أربع مجلدات[2].

-وفاته:

توفي رحمه الله بتبريز سنة 685 على الأرجح[3].

ب-منهج البيضاوي في التفسير:

يعد التفسير من أجلّ العلوم قدرًا، و أرفعها شأنا، و أشرفها مكانةً، فهو العلم الذي به يفهم كتاب الله العظيم، و تدرك معانيه و عبراتها، و تكشف مقاصده و مراميه، و نظرًا لأهمية هذا العلم فقد ألف فيه علماء العرب المصنفات العديدة، و التفاسير المتنوعة، و من أشْهر كتب التفسير وأحسنها تفسير البيضاوي فهو تفسير عظيم مفيد « فهو جميل الأسلوب، حلو العبارة، رصين التعبير، لم يكن من التفاسير المطولة، و لم يعتمد على الحديث في تفسير الآيات وجل اعتماده على اللّغة»[4].

و يقدم له البيضاوي شارحًا منهجه فيه بقوله:« و لطالما أحدّث نفسي بأن أصنّفَ في هذا الفنّ كتابا يحتوي على صفوة مما بلغني من عظماء الصّحابة، و علماء التابعين، و من دونهم من السلف الصالحين، و ينطوي على نكت بارعة، و لطائف رائعة، استنبطتها أنا و من قبلي من أفاضل المتأخرين، و أماثل المحققين، و يعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوّة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، و الشواذ المروية عن القراءة المعتبرين إلا أنّ قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام و يمنعني

[1] : ينظر:بغية الوعاة، السيوطي، ص:51

[2] : البداية و النهاية، ابن كثير، تح: رياض عبد الحميد مراد و محمّد حسان عبيد، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط2، 2010، م15، ص:523

[3] :ينظر: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، المراغي، ص:88

[4] :مناهج المفسرين، مساعد مسلم آل جعفر و محي هلال السرحان، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط 1، 1980، ص:74

عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمّم به عزمي على الشروع فيما أردته، و الإتيان بما قصدته، ناويًا أن أسمّيه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل و أسرار التأويل».[1]

و يقول السّيوطي: (ت 911هـ): في حاشية على هذا التفسير المسماة ب: نواهد الأبكار وشوارد الأبكار:« و سيّد المختصرات منه كتاب "أنوار التنزيل و أسرار التأويل للقاضي ناصر الدين البيضاوي، لخّصه فأجاد، و أتى بكل مستجد، و ماز منه أماكن الاعتزال و طرح مواضع الدّسائس و أزال و حرّر مهمات، و استدرَك تتمات فبرز كأنّه سبيكة نضار، و اشتهر اِشتهار الشّمس في وسط النهار، و عكف عليه العاكفون، و لهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العاكفون».[2]

و منهج البيضاوي في تفسير يمكن تلخيصه فيما يلي:

-تفسير القرآن بالقرآن نفسه: فقد كان في كثير المرات يرجع إلى القرآن لبيان القرآن فيفسر و يوضح مَعْنَى آيةٍ بآيةٍ أخرى تكشف إبهامها. و مثال ما جاء في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[3] فقال: "لكبيرة" لثقيلة شاقة[4] كقوله تعالى:﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾.[5]

---

[1] :أنوار التنزيل و أسرار التأويل، البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، ج1،ص:23

[2] :نواهد الأبكار و شوارد الأفكار، السيوطي، جامعة أم القرى المملكة العربيّة السعوديّة، ط 1، 2005، ص:13

[3] : سورة البقرة، الآية: 45

[4] :ينظر: أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ج1،ص:46-47

[5] :سورة الشورى، الآية:13

-كان البيضاوي يورد الأحاديث صحيحها و ضعيفها و يستشهد بها و يدعم تفسيره و يشرح بها الآيات من ذلك تفسيره للآية:﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[1]

فيقول: " الصّلاة الوسطى" أي الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصا و هي صلاة العصر لقوله صلّى الله عليه و سلّم يوم الأحزاب « شغلونا عن الصّلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارًا أمور»[2].

-كان البيضاوي كثيرًا ما يعرض آراء الفرق الإسلاميّة في أمر من أمور العقيدة كأقوال الأشاعرة والمعتزلة و أهل السنة من ذلك تفسيره للآية:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾[3] فيقول:« حيث أطعمتموني إذ دعوتكم و لم تطيعوا ربكم لما دعاكم، واحتجّت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بأفعاله و ليس فيها ما يدل عليه. إذ يكفي لصحتها أن يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله و هو الكسب الذي يقوله أصحابنا».[4]

-إنّ البيضاوي في تفسيره اعتمد كثيرا على تفاسير سابقيه كالكشاف، و قد ضمّن تفسيره أقوال العلماء و المفسرين الذين تأثر بهم، فقد جاء في كشف الظنون:« هذا كتاب عظيم الشأن غنيّ عن

[1] :سورة البقرة،الآية:237

[2] : ينظر: أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ص:147

[3] : سورة ابراهيم، الآية:22

[4] :أنوار التنزيل و أسرار و التأويل،ج3،ص:197

البيان لخصّ فيه من الكشاف ما يتعلّق بالإعراب و المعاني و من التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام و من تفسير الرّاغب ما يتعلق بالاشتقاق و غوامض الحقائق و لطائف الإشارات».[1]

لقد اعتمد البيضاوي في تفسيره على الإعراب و وجوهه و اهتم اهتماما بالغا بالمعاني اللّغوية والنحويّة و هذا ما سيأتي بيانه في فصول هذه الرّسالة.

و ما يمكن قوله عن تفسير البيضاوي أنه تفسير عظيم النّفع عليّ الشأن، توجهت إليه جهود العلماء بالتعليق و التَّحْشية و الشرح و الدّراسة، و قد ذاع صيته و اشتهر بين كتب التفسير و نال مكانه علميّة مرموقه بفضل دقة ألفاظه، و إيجاز عباراته و رصانه أسلوبه، و بديع لطائفه.

[1] :كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، حاجي خليفة،تح:محمّد شرف الدّين بالنقابا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،دت،دط،ج1،ص:187

الفصل الأول : دلالة التقديم والتأخير في تفسير البيضاوي

أ-دلالات التّقدم و التأخير عند النحويين و البلاغيين

ب-المسائل النّحوية الّتي تلتزم رتبة ثابتة.

ج-دلالة التقديم و التأخير في تفسير البيضاوي:

1-التَّخصيص

2-العناية و الإِهتمام.

3-تَقْوِية الحكم و تقريره في نفس السّامع.

4-شرف المقدَّمِ و تعظيمه.

5-الإِنكار و التعجب.

يعدّ التّقديم و التّأخير من خصائص اللّغة العربيّة و أدقّ أبوابها البلاغيّة، و ميزة من ميزاتها الفريدة و سِمة من سمات كلامها البليغ و هو أحد أساليبها العدولية التي تؤكّد على مرونتها و حيويّتها وشجاعتها في الخروج عن المألوف.

و ما هو جدير بالقول، إنّ علماء العربية قد عنوا بهذه الظاهرة التي تقع في كثير من التّراكيب و أولوها اهتمامهم، و درسوها بكثير من الدّقة و التفصيل، ووقفوا على لطائفها و أسرارها، فكانت من أكثر الأبواب التي نالت حظّا وافرا من الدّراسة و التناول من قبل النّحويين و البلاغيين وغيرهم.

فالتقديم و التأخير« نافذةٌ مشتركةٌ بين علمي النحو و البلاغة، فتجده في كتب النحو في أبواب المسند و المسند إليه، و تجده في كتب البلاغة في موضوعات علم المعاني، فالتّقديم و التّأخير قد جمعا أكثر من تخصصّ علميّ، و أثبتا صلة العلاقة و قوّتها بين النحو و البلاغة».[1]

و تفسير ذلك أن أسلوب التقديم و التأخير تقنية إبداعيةٌ للتصرّف في الوضعيات الكلامية، أَو هو انحراف و عدول عن النمط المألوف للتركيب الجمليّ و « إنَّ تقديم شيء على شيء أو عنصر على عنصر في التركيب الواحد نظامٌ حياتيٌّ قائم منذ الأزل، فالرأس قبل الذنب، و الكبير قبل الصغير و الأهمّ قبل المهمّ، و هذا المبدأ متّبعٌ في وجوه الكلام البليغ قبل ولادة علم المعاني و بعدها، و لابدّ لنا من غاية في تقديم ما حقّه التأخير، و تأخير ما حقّه التقديم، هذه الغاية تختصر في غاية البلاغة كلّها و هي ملاءمة الكلام لمقتضى الحال»[2].

و إذا كانت البلاغة قائمة على ترتيب الألفاظ و جمال موقعها في السياق فإنّ أسلوب التقديم و التأخير له المساحة الواسِعَة في الدرس البلاغيّ ليصل منشىء الكلام إلى أقصى حدّ من التأثير في المتلقّي[3] ذلك من خلال تحويل الكلمات عن موقعها الأصليّ، وحسن التصرّف فيها تأدية لأغراض بلاغية يتطلّبها المقام، ما كانت لتؤدّيها لو حافظت على رتبتها المعهودة.

---

[1] : التقديم و التأخير في سورة البقرة، أحمد قاسم كسار، المجلة العربية لبحوث القرآن، جامعة ملايا، ماليزيا، العدد:2، 2012،ص:38

[2] :المعين في البلاغة (البيان-البديع-المعاني)، قدري مايو، عالم الكتب،بيروت،لبنان،ط 1، 2000،ص:188

[3] :ينظر: أثر الترجمة في أسلوب التقدير و التأخير في القرآن الكريم، هناء محمود شهاب، مجلّة التربية و العلم، المجلّد:17،العدد:2،2010،ص:143

أ-دلالات التقديم و التأخير عند النحويين و البلاغيين:

إنَّ الأسرار البلاغيّة و اللّطائف الدّقيقة التي يمتاز بها هذا التنظيم التركيبي العجيب في اللغة العربية،فطن إليها علماؤها في مرحلَةٍ باكرةٍ، فهذا سيبويه(ت 180 هـ) يقول:« كأنهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم، و هم ببيانه أعنى، و إن كان جميعًا يهمّانهم و يعنيانهم»[1] فسيبويه و إن لم يعقد بابًا للتقديم و التأخير، قَدْ قدّم إشارات صريحة إلى أن هذا الأسلوب لا يجيء في الكلام إلا لفائدة يؤمّها المتكلّم، و لحاجة في نفسه اقتضت الاهتمامَ بعنصر كلاميّ دون غيره من العناصر.

و إذا كان سيبويه قد اكتفى بتقديم ملاحظاتٍ و إشاراتٍ حول الدّواعي البلاغيّة للتّقديم والتأخير، فإن عبدَ القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) في دلائله قد قدّم بحثا مكتملا و متميّزًا، استفاد منه الدّارسون فيما بعد، فقد استطاع الجرجانيّ بذوقه النّاضج و فكره الثّاقب أن يستجليَ أسرارَ هذا الأسلوب، و يكشف السّتارَ عن فرائده و دقائقه.

يقول الجرجاني في فصله عن «التقديم و التأخير»: هو بابٌ كثير الفوائد، جمّ المحاسنِ، واسع التّصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعةٍ، و يفضي بك إلى لطيفةٍ، و لا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، و لَطفَ لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سببَ أن راقك و لَطفَ عندك، أن قدّم فيه شيءٌ، و حوّل فيه اللّفظ عن مكان».[2]

فعبد القاهر يؤكّد على متانة الصّلة بين الانحراف الحاصل على مستوى تركيب الجملة من خلال تبادل مواقع عنصرها، و محصولها الدّلاليّ، فأيّ تغيير يحدث في ترتيب الكلام إنما جاء لتحقيق غرض جديد، و مثال ذلك أن يقدّم ذكر الخارجيّ « فيقول: قتل الخارجيَّ زَيدٌ، و لا يقول قتل زيدٌ الخارجيَّ. لأنّه يعلم أنْ ليس للنّاس في أن يعلموا أنّ القاتلَ له زيدٌ جدوى أو فائدةٌ، فيعنيهم ذكره ويهمّهم و يتّصل بمسرتهم، و يعلم من حالهم أنّ الذي هم متوقّعون له و متطلّعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجيّ المفسد، و أنهم قد كفّوا شرّه و تخلّصوا منه»[3].

---

[1] :الكتاب،سيبويه، ص:34

[2] :دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص:143

[3] : المصدر نفسه:144

فقد قَدَّمَ الجزءَ الأهمَّ و هو المفعول به "الخارجي" و ما كان ليتقدّم إلا لعناية الناس به واهتمامهم بأمره. فكان الاهتمام و العناية من دواعي التّقدم، وقد نبّه الجرجاني إلى ضرورة البحث في أسباب هذه العناية و الاهتمام بها و تفسيرها.

يقول الجرجاني: «قدْ يَقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية و لأن ذكره أهمّ، من غير أن يذكر، من أين كانت تلك العناية و بم كان أهمّ؟ و لتخلّيهم ذلك قد صَغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، و هوّنوا الخطب فيه حتّى إنك لترى أكثرهم يرى تتبّعه و النظرَ فيه ضَرْبًا من التّكلف، و لم ترَ أزرى على صاحبه من هذا و شبّهه».[1]

و جليّ من هذا كلّه، أن عبد القاهر قد أطال الحديث في باب التقديم و التأخير الذي عدّه «عاملا مهمّا في بناء أسلوبية تركيب العبارة، خدمة لأداء الغرض في إصابة المعنى المقصود، و هو سبب أساس في تباين نظم العبارات، و إظهار المزيّة في عبارة دون أخرى، و من هنا، كان فضل البلاغة و شرفها، فالجرجاني يرى أن التقديم و التأخير هو السبب الكامن وراء تغيير المعنى في العبارة، من تركيب إلى آخر»[2] فكان بذلك ركنا ركينا في النّظرية الموسومة ب"النظم" و نموذجًا تطبيقيًّا لمرونة العربية و اتّساعها.

و من العلماء الذي كانوا على وعي عميق بفنون القول و تغيّر السياقات و مقتضيات الأحوال ابن الأثير (ت 622 هـ) الذي وقف على أسرار أسلوب التقديم و التأخير و أغراضه البلاغيّة و هو عنده ضربان:« الأول يختصّ بدلالة الألفاظ على المعاني، و لو أخّر المقدَّم أو قدِّم المؤخّر لتغيَّر المعنى، و الثاني: يختصّ بدرجة التقدّم في الذّكر، لاختصاصه مما يوجّب له ذلك، و لو أخّر لما تغيّر المعنى».[3]

و لقد ساقَ ابن الأثير عديد الأمثلة التي تنبّه إلى ارتباط مراتب القول بالمعنى المنشود، و من ذلك: «تقديم المفعول على الفعل كقولك: زيدًا ضربت، و ضربت زيدًا، فإن في قولك: " زيدًا

---

[1] : دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ،ص:145.

[2] : مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب، منصور مذكور شلش الحلفي، دار الأوائل للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1،2012،ص:176.

[3] : المثل السائر في أدب الكتاب و الشّاعر، ابن الأثير، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، مصر،دط،د ت، ج2، ص:210

ضربت" تخصيصًا له بالضرب دون غيره، و ذلك بخلاف قولك:"ضربت زيدًا" لأنّك إذا قدّمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت، بأن تقول: ضربت خالدًا، أو بكرًا أو غيرهما، و إذا أخّرته لزم الاختصاص للمفعول»[1].

و من صفوة العلماء الذين انتبهوا إلى أهمّية هذا الأسلوب، و عظيم أثره في المعنى، الزركشي (ت 794 هـ) الذي أوْلاه عناية خاصّة، و زاده تفصيلا و إيضاحًا، و لم يختلف ما جاء به عن دراسة الجرجاني له بعدّه أسلوبًا تعبيريًا في العربية، يستعمل لإبراز المعاني الباطنة داخل السياق ممّا أكسبه قيمة و مكانة في التراكيب اللغوية.

و من أسباب التقديم و التأخير لدى الزركشي، أن يكون في التأخير إخلال بالمعنى، كقول المولى –جلّ ثناؤه:﴿ وَقَالَ رَجل مّومِن مِّنَ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَكْتم إِيمَٰنَه﴾ [2]

فإنّه لو أخّر قوله: ﴿ مِّنَ اٰلِ فِرْعَوْنَ ﴾ عن قوله: ﴿ يَكْتم إِيمَٰنَه ﴾ ليتوهّم أنه من حقّه يكتم ليكون المعنى أنّ الرجل يكتم إيمانه من آل فرعون فلا يفهم أنه منهم[3].

ومن أسباب وقوع هذا الأسلوب في كلام العرب أيضا عظم المقدّم و الاهتمام به، ذلك أنّ من عادة العرب الفصحاء إذا أخبَر ما قد يشركه غيره في ذلك الحكم، أو فيما أخبِر به عنه، و قد عطفت أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب، فإنهم مع ذلك يقدّمون الأهمّ و الأولى [4]، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيموا۟ الصَّلَوٰةَ وَءَاتوا۟ الزَّكَوٰةَ﴾ [5].فقدّم أمر الصلاة عن الزكاة لأنها أهمّ، أضف إلى هذه الأسباب أخرى للتقديم و التأخير استخلصها الزركشي من وجهة نظر بلاغيّة.

و ممّا سبق ذكره، يتّضح أنّ علماء العربية الأقدمين قد قدّموا دراسات قيّمة و ناضجة حول هذه الظاهرة التعبيرية في اللّسان العربي فتحويل اللفظ من مكانه الأصيل إلى مكان آخر فيه من

---

[1] : المثل السائر في أدب الكتاب و الشّاعر، ابن الأثير ، ص:210-211

[2]: سورة غافر، الآية:28

[3]: يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: أبو الفضل الدّمياطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط،2006، ص:770-771

[4] : يُنظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[5] : سورة البقرة:الآية:42

الفوائد الجمّة و الأسرار اللّطيفة ما يسمح بتوليد المعاني الجديدة، و الوصول إلى مقاصد الكلام، وهذا الأمر لم يغفل عنه البلاغيون المعاصرون بل فطنوا إليه و أكّدوا عليه.

" ففضل حسن عبّاس أكَدَّ على أن تقديم بعض أجزاء الجملةِ تارةً، و تأخيرها تارةً، ليس رغبة في التغيير أو تفنّنًا في القول فحسب، بل ذلك ناشئ عن اختلاف المعنى الذي يريده المتكلّم، فالكلام البليغ لا يجوز أن يكونَ التقديم فيه لغرض لفظيّ فقط، بل يكون مع هذا الغرض اللفظيّ هدفٌ يتعلّق بالمعنى، كتقديم لَفظَيْ " محمد و سعاد" في هذين المثالين:" محمد نجحَ في الامتحان"، و"سعاد نالت الجائزة"[1]، فتقديمها كان تعجيلا بالمسرة، و هذا هو المقصد الدلاليّ الذي أراده المتكلّم.

و من دواعي التقديم و التأخير البلاغية أيْضًا: التشويق إلى المتأخّر إذا كان المتقدّم مشعرًا بغرابة كقول أبي العلاء المعرّي[2]:

و الَّذِي حَارَتْ البَرِيَّة فِيه -*- حَيَوانٌ مسْتحَدَثٌ من جمَاد

ففي هذا البيت هناك ما يدعو إلى العجب و يشعر بالغرابة، و هو " حارت البريّة فيه "وهذا أمْرٌ يشوّق النّفسَ، و يثير فضولها إلى معرفة الخبر المتأخّر[3] و هو " حيوان مستحدث من جماد". و إذا كان أسلوب التقديم و التأخير ظاهرة عامّة من الظواهر العربية، جرت على ألسنة ناطقيها، فهو في القرآن الكريم وجه من وجوه إعجازه، و سرّ من أسرار بلاغته، فقد أَجمع العلماء- قديما و حديثا- على أن أسلوب القرآن الكريم بلغَ الغاية في جعل لفظ في الموضع المناسب، فبِقليل من التّأمل و التدبّر ندرك أن كل تقديم و تأخير في القرآن ما كان إلا لسرّ لطيف، و غاية عجيبة، ومعنى جليل.

و هذا ما أكّده السّامرّائي حين قال : " إن القرآن دقيقٌ في وضعِ الألفاظ، و رصفِها بجنب بعضٍ، دقّةً عجيبةً، فقد تكون له خطوط عامّة في التقديم و التأخير و قد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام و الاتّساق العامّ في التعبير على أكمل

[1] : ينظر: البلاغة فنونها و أفنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر و التوزيع، الأردن ، ط2،1989،ص:211

[2] سقط الزند، ديوان العلاء المعرّي، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان،دط، 1957،ص:12

[3] :ينظر: في البلاغة العربية علم المعاني-البيان- البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1،دت،ص:133

وجه، و أبهى صورة"[1]. فتكمن أهمّية التقديم و التأخير في التعبير القرآني " من حيث إن كل تقديم و تأخير فيه، على حكمة بالغة و قدرة فائقة، ليس فيه ما يفسد المعنى، و إنما فيه الواضح الجليّ البليغ، و ليس هناك ما يقوم مقامه، فكأن المعنى يقتضي ما تقدّم، أو تأخّر اقتضاء طبيعيّا بما يؤثّر في المتلقي تأثيرًا واضحًا"[2].

و نظرا لهذه القيمة الدلالية التي يحظى بها أسلوب التقديم و التأخير في العربية، فإن المفسّرين اعتمدوا عليه في تفسيرهم و جعلوه أداة مهمَّة من أدواتهم اللغوية في محاولة الكشف عن المقاصد الربّانية، و من هؤلاء الإمام البيضاوي (ت 691 هـ) في تفسيره المسمّى " أنوار التنزيل و أسرار التأويل" الذي يعدّ من التفاسير التي اهتمّت بإظهار اللطائف البلاغية و الأسرار اللغوية في كتاب الله تعالى.

ب/ المسائل النّحوية الّتي تلتزم رتبة ثابته:

و قبل الخوض في تبيان الأغراض البلاغية للتقديم و التأخير في تفسير البيضاوي، لا بدّ الإشارة إلى أن هناك مسائل نحوية تلتزم رتبة ثابتة في الكلام و لا يجوز تقديمها، و قد أحصاها ابن السّراج (ت 316 هـ) في باب (التقديم و التأخير) في كتابه: (الأصول في النّحو) و هي:[3]

-الصلة لا تقدّم على الموصول.

-توابع الأسماء و هي: الصفة و البدل و العطف لا تتقدّم على معمولها.

-المضاف إليه لا يتقدّم على المضاف.

-الفاعل لا يتقدّم على الفعل.

-معمول الأفعال التي لا تتصرّف كـ "نِعمَ" و بِئْسَ" لا يقدّم عليها.

-التمييز لا يقدّم على ناصبه.

---

[1] : التعبير القرآني، فاضل صالح السامرّائي، دار عمار، عمان، الأردن ،ط4،2006،ص:53

[2] : الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمّد الكوّاز، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا،ط1،1426هـ،ص:309

[3]: يُنظر: الأصول في النحو، ابن السّراج، تح:عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان،ط3،1996،ج2،ص:216 و ما بعدها.

-العوامل في الأسماء و الحروف التي تدخل على الأفعال كـ " حروف الجرّ" و " إنّ و أخواتها" لا يقدّم عليها معمولها.

-الحروف التي تكون صدور الكلام عاملة أو غير عاملة لا يقدّم معمولها عليها.

-لا يفرّق بين العامل و المعمول فيه بما ليس للعامل فيه سبب و هو غريب منه نحو قولك:" كانت زيدًا الحمّى تأخذ"، هذا لا يجوز لأنك فرّقت بين " كان" و اسمها بما هو غريب منها،لأنّ "زيدًا" ليس بخبر لها و لا اسم.

-لا يقدّم المضمر على الظاهر في اللفظ و المعنى.

- التقديم إذا ألبس على السامع أنه مقدّم: و ذلك نحو قولك:" ضَرب عيسى موسى"، و إذا كان " عيسى" الفاعل لم يَجز أن يقدّم على " موسى" عليه لا ملبس لا يبين فيه إعرابٌ.

-إذا كان العامل معنى الفعل و لم يكن فعلا لا يقدّم معموله: فإذا قلت " هذا زيدٌ منطلقًا"، لا يجوز أن تقدّم "منطلقًا" غلى " هذا" لأن هنا دلّ عليه " هذا"، و هو التنبيه و ليس بفعل ظاهر.

و هذه المسائل التي لا يجوز فيها التقديم،هي من باب الرتب النحوية الثابتة، و هناك رتب يجوز فيها مخالفة ترتيبها الأصلي كرتبة المفعول به، و رتبة المبتدأ و الخبر، و رتبة شِبه الجملة، و هذه المخالفة في ترتيب عناصر الكلام، تأتي تبعًا لترتيب المعاني في ذهن المتكلّم، و لمقاصد دلاليّة تنبّه إليها البيضاوي في تفسيره.

ج/دلالة التقديم و التأخير في تفسير البيضاوي:

1/التَّخصيص:

اختلفت الأغراض البلاغيّة، و تعدّدت المقاصد الدّلالية لظاهرة التقديم و التأخير في كتاب الله العزيز، و ذلك حسب المقام اللّغوي، و الموقف الكلامي الذي يقتضيها، و من الأغراض التي أفادها التقديم في كثير من الآيات التخصيص الذي يعني نسبة الشيء و انفراده به دون غيره.

فمن التقديم الذي لغرض " التخصيص"، قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ [1] ففي هذه الآية الكريمة تقدّم المفعول به، و هو الضّمير المنفصل " إيّا"، و الأصل في الجملة الفعلية أن يَتأخَّر المفعول به على الفعل و الفاعل معًا، و ما عاد ذلك فمخالف للعرف النحويّ، يَقول

[1] :سورة الفاتحة، الآية:5

البيضاوي:" ثمّ إنه لّما ذكر الحقيق بالحمد، و وصف بصفات عظام تميّز بها عن سائر الذّوات وتعلّق العلم بمعلوم معيّن خوطب بذلك، أي: يا من هذا شأنه نخصّك بالعبادة و الاستعانة ليكون أدلّ على الاختصاص"[1].

و قريبا من كلام البيضاوي يقول الزمخشري (ت 538 هـ) في تفسيره لهذه الآية: " فقيلَ: "إيّاك" يا من هذه الصفات نخصّ بالعبادة و الاستعانة لا نعبد غيرك و لا نستعينه، لكون الخطا أدلّ على أنّ العبادة له لذلك التميّز الذي لا تحقّ العباد إلاّ به"[2]

فتقديم المفعول به إنما جيء به قصد إفادة الاختصاص، و هذا ما ذهب إليه البيضاوي و نبّه إليه الزمخشري قبله، و أما ابن الأثير فإنه رأى هذا التقديم مراعاة للفاصلة القرآنية، فيقول:" فإنه لم يقدّم المفعول فيه على الفعل للاختصاص، و إنما قدّم لمكان نظم الكلام، لأنه لو قال: نعبدك ونستعينكَ لم يكن له من الحسن ما لقوله: " إياك نعبد و إياك نستعين" ألا ترى أنه تقدم لقوله تعالى:«» وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون"[3].

و الجدير بالذكر أن هناك آيات كثيرة جاء فيها التقديم و التأخير لغرض التخصيص، كقوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [4]، يقول البيضاوي رحمة الله عليه:"إن كنتم إيّاه تعبدون" إن صحّ أنكم تخصونه بالعبادة، وتقرّون أنّه مولى نعم" [5]، فتقديم إياه في هذه الآية أفادت اختصاص الله سبحانه و تعالى بالعبادة، فلا معبود غيره.

و يفهم من كلام البيضاوي أن تقديم المفعول به على الفاعل في الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

[1] :تفسير البيضاوي، ج1،ص:28-29

[2] :تفسير الكشّاف الزمخشري، تح: خليل مأمون شيما،دار المعرفة،بيروت، لبنان، ط3،2009،ص:29

[3] :المثل السّائر في أدب الكاتب و الشاعر، ابن الأثير،ص:212

[4] :سورة البقرة،الآية:172

[5] :تفسير البيضاوي، ج1،ص:119

عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] جاء لغرض التخصيص، يقول البيضاوي: " إذ شرط الخشية معرفة المخشيّ، و العلم بصفاته و أفعاله،و من كان أعلم به كان أخشى منه، لذلك قال عليه الصلاة و السلام:" إنّي أخشاكم الله و أتقاكم له"، و لذلك أتبعه بذكر أفعاله الدّالة على كمال قدرته، و تقديم المفعول لأنّ المقصود حصر الفعاليّة و لو أخّر انعكس الأمر".[2]

و المعنى نفسه ذهب إليه الجرجاني في تبيان غرض تقديم المفعول به في هذه الآية فيقول: " تقديم اسم الله تعالى- إنما كان لأجل أنّ الغرض أن يبيّنَ الخاَشونَ مَن هم و يخبرَ بأنهم العلماء خاصّة دون غيرهم، و لو أخّر ذكر اسم الله و قدّم العلماء فقيل: إنما يخشى العلماء الله، لصار المعنى على ضدّ ما عليه الآن،و لصار الغَرَض بيانَ المخشي من هو و الإخبار بأنه الله تعالى دون غيره، ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله-تعالى- مقصورة على العلماء و أن يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض في الآية، بل كان يكون المعنى أنّ غير العلماء يخشون الله تعالى أيضا إلا أنهم مع خشيتهم الله-تعالى- يخشون معه غيره، و العلماء لا يخشون غيرَ الله تعالى"[3].

و هذا المعنى و إن كان قد جاء في التنزيه في غير هذه الآية كقوله تعالى:﴿ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾[4]، فليس هو الغرض في الآية و لا اللفظ بمحتمل له البتَّة. و من أجازَ حملها عليه، كان قد أبطل فائدة التقديم، و سوّى بين قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾، و بين أن يقال: " إنّما يخشى العلماء الله" و إذا سوّى بينهما، لزمَه أن يسوّى بين قولنا: " ما ضَرَبَ زيدًا إلاّ عمرو" وبين: " ما ضربَ عمرو إلاّ زيدًا"، و ذلك ما لا شبهة في امتناعه".[5]

و إذا كان المفعول به أفاد التخصيص فإنَّ تقديم شبه الجملة، -و هو من متعلقات الفعل- في مواضع كثيرة في القرآن الكريم كان غرضه أيضا التخصيص، و منه قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ

[1]:سورة فاطر،الآية:28

[2] :تفسير البيضاوي، ج4،ص:256

[3] :دلائل الإعجاز، الجرجاني،ص:336

[4] : الأحزاب، الآية:39

[5] : دلائل الإعجاز، الجرجاني،ص:337

مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1]، يقول البيضاوي:"أي فليتوكلوا عليه على غيره، لينصركم كما نصركم ببدر [2]" أي إنَّ التوكّل لا يكون إلا على الله وحده- سبحانه و تعالى- و منه قوله أيضا-جلّ ثناؤه :﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ ﴾[3]، يقول البيضاوي في تفسير الآية :" و تقديم الظرف للاختصاص، فإن ذلك لا يتيسر إلا على العالم القادر لذاته، الذي لا يشغله عن شأن."[4]

و يقول الله سبحانه و تعالى: ﴿ يسَبِّح لِلهِ مَا فِے اِلسَّمٰوٰتِ وَمَا فِے الأرض لَه الْمُلْك وَلَه الْحَمْد وَهوَ عَلَيٰ كلِّ شَ ےء قَدِيرٌ ١﴾[5]، ففي هذه الآية تقديم الظرفين جاء للدلالة على اختصاص الأمرين به من حيث الحقيقة[6] و هذان الأمران هما: الملك و الحمد.

-و من مواضع تقديم الظرف التي أفادت التخصيص قول المولى عزّ و جل في محكم بيانه:
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ اَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً اٰمِنا وَيتَخَطَّف النَّاس مِنْ حَوْلِهِم أَفَبِالْبٰطِلِ يومِنونَ وَبِنِعْمَةِ اِللَّهِ يَكْفرونَ ﴾، يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية:" و تقديم الصّلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة"، و الظرفان المقدّمان هنا هما: " بالباطل"، و "بنعمة الله".

و معنى هذه الآية أن العرب كانت حول مكّة يغزو بعضهم بعضًا، و يتغاورون و يتناهبون، وأهل مكّة قارّون آمنون بالباطل الذي هم عليه، و مثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة الخاصّة بهم، ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه، و مثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة و غيرها من النّعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورةٌ عندهم افتراؤهم على الله كذبًا و زعمهم أن لله شريكًا".[7]

---

[1] :آل عمران،الآية:122

[2] :ق،الآية:44

[3] :سورة ق، الآية:44.

[4] : تفسير البيضاوي ،ج5،ص:144

[5] : التغابن،الآية:01

[6] :يُنظر: تفسير البيضاوي،ج5،ص:217

[7] :ينظر: الكشاف، الزمخشري،ص:824

و قد جاء تقديم الظرف أيضا للتخصيص في هذه الآية:﴿ لَا يَسْمَعونَ حَسِيسَهَا وَهمْ فِے مَا اَشْتَهَتَ أنفسهم خَٰلِدونَ ﴾ [1]يقول البيضاوي في معرض تفسيره لهذه الآية: " لا يسمعون حَسيسَها" و هو بدلٌ من " مبعَدون" أو حال من ضميره سِيق للمبالغة في إبعادهم عنها، و التحسيس صوتٌ يحسّ به، ﴿و وَهمْ فِے مَا اَشْتَهَتَ أنفسهم خَٰلِدونَ﴾ دائمون في غاية التنعم، و تقديم الظرف للاختصاص و الاهتمام به".[2]

2/ العناية و الاهتمام:

من الأغراض الدلالية لظاهرة التقديم و التأخير العناية و الاهتمام، فمِن سنَنِ العَربِ في كلامها تقديم الجزء الأهمّ في لكلام، و تأخير ما دون ذلك، و هذا ما أشار إليه سيبويه حين قال: " كأنهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ، و هم ببيانه أعِنى، و إن كان جميعا يهمّانهم و يعنيانهم".[3]

و شرح الجرجاني هذا الغرض في قوله:" فإن كان رجلٌ ليس له بأسٌ، و لا يقدر فيه أن يقتل رجلاً، و أراد المخبر أن يخبر بذلك، فإنه يقدّم ذكر القاتل فيقول: قتلَ زيدٌ رجلاً: ذلك لأن الذي يعنيه و يعني النّاس من شأن هذا القتل طرافته و موضع النّدرة فيه و بعد كان الظّنّ، و معلوم أنه لم يكن نادرًا و بعيدًا، من حيث كان واقعا بالذي وقع به، و لكن من حيث كان واقعًا من الذي وقع منه، فهذا جيّد بالغٌ"[4].

و من الآيات التي جاء فيها التقديم و التأخير،و فسّره البيضاوي بأنّه إنما جاء لغرض الاهتمام و العناية قوله تعالى:﴿ وَالذِينَ يؤمِنونَ بِمَا أنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أنزِلَ مِن قَبْلِكَ وبالآخرة هم يوقِنونَ ٣ ﴾ ففي هذه الآية قدّم المفعول به و هو الاسم الموصول (ما) على الفعل و الفاعل (ينفقون)، " و الأصل في الجمل التي تحتوي مفعولاً به أن يؤتى بالفعل، فالفاعل، فالمفعول به".[5]

و إذا تعدّى الفعل إلى مفعولين، فالأصل تقديم ما هو فاعل في المعنى، نحو:" أعطيت زيْدًا درهمًا"، فالأصل تقديم زيد على "درهم"، لأنه فاعل في المعنى، لأن زيدا هو الآخذ للدرهم، و كذا

---

[1] :الأنبياء، الآية:101

[2] :تفسير البيضاوي،ج4،ص:61

[3] :الكتاب،سيبويه،ج1،ص:24

[4] :دلائل الإعجاز، الجرجاني،ج1،ص:24

[5] :سورة البقرة، الآية:03

"كَسوْت زيدا جبّةً" و "أَلْبِسَنْ مَنْ زارَكم نَسْجَ اليمَنِ" فـ"مَنْ": مفعول أو و "نَسْجَ" مفعول ثانٍ، والأصل تقديم "مَنْ" على "نسج اليمَن" لأنّه اللابس، و يجوز تقديم ما ليس فاعلاً معنًى لكنّه خلاف الأصل[1].

و من أمثلة تقديم المفعول به الثاني على الأول ما ورد في الآية الكريمة على لسان النبي موسى عليه السلام:﴿قَالَ رَبِّ اِشْرَحْ لِ ے صَدْرِے ٢٤ وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِ ے ٢٥ وَاحْلُلْ عقْدَة مِّن لِّسَانِے ٢٦ يَفْقَهواْ قَوْلِے ٢٧ وَاجْعَل لِّے وَزِيرا مِّنَ اَهْلِے ٢٨ هُرونَ أَخِےۖ ٢٩ ﴾.[2]

وجّه البيضاوي التقديم في هذه الآية: بقوله" و مفعولا اجعل": وزيرًا" و "هارون" قدّم ثانيهما للعناية به"[3] و هذا ما ذهب إليه الزمخشري في قوله:" وزيرًا و هارون مفعولا قوله:اجعل، قدّم ثانيهما على أوّلهما عناية بأمر الوزارة[4]".

و قد قدّم المفعول به الثاني على المفعول به الأول كذلك في قول الله عزّ وجلّ:﴿ قَالَ رَبّنَا اَلذِے أَعْطيٰ كلَّ شَ ےءٍ خَلْقَه ثمَّ هَديٰ ﴾ [5] يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية:" قال ربّنا الذي أعطى كل شيء" من الأنواع "خَلْقَه" صورته و شكله الذي يطابق كمال الممكن له، أو أعطى خليقَته كلّ شيء يحتاجون إليه و يرتفعون به، فقدّم المفعول الثاني لأنه المقصود بيانه" [6]، و أصل ترتيب الجملة: قال ربّنا الذي أعطى خَلْقَه كلَّ شيءٍ ثمّ هدى.

و يذهب ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية إلى أَن إعراب " كلّ شيء" يجوز فيه وجهان، مفعول أول للفعل "أعطى"، " و خلْقَه" مفعول ثانٍ فقد يكون الخلق بمعنى الجعل، أي الذي أعطى كلّ شيء من الموجودات شكله المختصّ به، فكوّنت بذلك الأجناس و الأنواع و الأصناف، و يجوز

---

[1] :ينظر:شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محي الدين عبد الحميد،دار التراث، القاهرة، مصر، ط 02 ،1982.

[2] :سورة طه،الآية من:25-29

[3] :تفسير البيضاوي،ج4،ص:24

[4] :الكشّاف، الزمخشري،ص:655

[5] :سورة طه، الآية:50

[6] :تفسير البيضاوي،ج4،ص:29

أن يكون " كلّ شيء" مفعول ثانيًا لـ" أعطى"، و مفعوله الأول " خلْقَه"، أي أعطى خلقه ما يحتاجونه، فتركيب الجملة صالحٌ للمعنيين[1].

كما كان الغرض من تقديم المفعول به الثاني " إلَهه" الاهتمام و العنايةَ به أيضًا في الآية: ﴿ اَرَءَيْتَ مَنِ اِتَّخَذَ إِلَٰهَه هَوىٰه أَفَأَنتَ تَكون عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [2] قال البيضاوي- حمه الله: "بأن أطاعه و بنى عليه دينَه، لا يسمع حجّة، و لايبصر دليلا، و إنما قدّم المفعول الثاني للعناية به" [3]،على المفعول الأول المؤخّر "هواه"، و هذا ما سبقه إليه الزمخشري في تفسيره لهذه الآية الكريمة.

يشير صاحب الكشّاف إلى أنّه من كان في طاعة الهوى في دينه، يتبعه في كل ما يأتي و يذر، فهو عَابدٌ هواه، و جاعله إلهه، و لا يرى معبودا غيره، كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى، أفتتوكّل عليه، و تجبره على الإسلام، فإن قلت لِمَ أخّر هَواه؟ و الأصل قولك: اتّخذ الهوى إلهًا، قلت ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول، للعناية كما تقول: علمت منطلقا زيدًا، لفضل عنايتك بالمنطلق[4]. بالمنطلق[4].

و من التقديم و التأخير الذي جاء لغرض الاهتمام و العناية قوله عزّ و جلّ على لسان النبي إبراهيم-عليه السلام- الذي أنكر عبادة قومه غيرَ الله:﴿ أَئِفْكاً اٰلِهَة دونَ اَللَّهِ تريدون﴾ [5] قال البيضاوي-رحمه الله-: " أ تريدون آلهة دون الله إفكًا، مقدّما المفعول للعناية ثم المفعول له، لأَن الأهمّ أن يقرّر أنهم على الباطل و مبنى أمرهم على الإفك."[6]

و قد حكى الله جلّ ثناؤه- دعاء النبي سليمان عليه السلام- في قوله:﴿قَالَ رَبِّ اغفر لِي وَهَبْ لِي ملْكًا لاَّ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ إِنَّكَ أَنتَ ألْوَهَّاب﴾ قال البيضاوي: لا يتسهّل له و لا يكون، ليكون معجزة لي مناسبة لحالي، أو لا ينبغي لأحد أن يسلبه منّي بعد هذه السّلبة، أو لا يصحّ

[1] :ينظر: تفسير التحرير و التنوير، ابن عاشور، الدّار التونسية للنشر، تونس،ط1984،1،ج16،ص:232

[2] : سورة الفرقان، الآية:43.

[3] :تفسير البيضاوي،ج4،ص:125

[4] :ينظر:الكشّاف، الزمخشري،ص:747

[5] :الصافّات، الآية:35

[6] :تفسير البيضاوي،ج5،ص:30

لأحد من بعدي لعظمته، و تقديم الاستغفار على الاستيهاب، لمزيد اهتمامه بأمر الدين، و وجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الإجابة.[1]

3/تقوية الحكم و تقريره في نفس السّامع:

من الأغراض التي تستفاد من تقديم كلمة تقوية الحكم و تقريره في نفس السامع، و هذا الغرض أطال فيه الجرجاني الحديث حين أكّد على أن القصد في تقديم الفاعل على الفعل في الجملة المثبّتة ينقسم إلى قسمين:

أولهما يفيد الاختصاص و الانفراد بالأمر، يقول الجرجاني رحمه الله ((أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنصّ فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنّه فاعله دون واحد آخر أو دون كلّ أحد، ومثال ذلك أن تقول: أنا كتبت في معنى فلان و أنا شَفِعْت في بابه، تريد أن تدّعي الانفراد بذلك والاستبداد به، و تزيل الاشتباه فيه، و تردّ على من زعم أنّ ذلك كان من غيرك و أنّ غيرك قد كتبت فيه ما كتبت)).

و القسم الثاني يفيد تقوية الحكم و تأكيده لدى السامع، و في هذا يقول رحمه الله ((أن لا يكون القصد إلى الفاعل، و لكن على أنّك أردتَ أن تحقّقَ على السامع أنه قد فعل و تمنعه من الشّكّ، فأنت لذلك تبدأ بذكره، و توقعه أولا و من قبل أن تذكر الفعل في نفسه، لكي تباعده بذلك من الشّبه و تمنعه من الإنكار، أو من أن يظنّ بك الغلط أو التزيّد)).[2]

و من أمثلة هذا القسم التي ذكرها الجرجاني في شرحها: ((هو يعطي الجَزيل، و هو يحبّ الثّناءَ: لا تريد أن تزعم أنّه ليس ههنا من يعطي الجزيل، و يحبّ الثّناء غيره، و لا أن تعرّضَ بإنسان و تحطّه عنه، و تجعله لا يعطي و لا يرغب كما يرغب، و كذلك أن تحقّق على السّامع أنّ إعطاء الجزيل و حبّ الثّناء دأبه، و أن تمكّن ذلك في نفسه))[3].

و مثاله من الشعر العربي قول عروة بن أذنية:[4]

سلَيْمَى أزمعتْ بَيْنَا فأين تقولها أينَا

---

[1] :ينظر: تفسير البيضاوي، ج5،ص:30

[2] : دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص160

[3] : دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص160.

[4] : شعر عروة بن أُذينية، يحي الجبوري،دار القلم ، الكويت،ط2،1981،ص:398

يشرح الجرجاني قصد التقديم في هذا البيت بقوله:((و ذلك أنه ظاهر و معلوم أن يجعل الإزماعَ خاصّةً، و يجعلها من جماعة لم يزمعْ البِينَ منهم أحدٌ سواها، هذا محالٌ، و لكنه أراد أن يحقّق الأمرَ و يؤكّدَه، فأوقع ذكرها في سمع الذي كلّم ابتداءً، و من أوّل الأمر ليعلم قبل هذا الحديث أنّه أرادها بالحديث، فيكون ذلك أبعد له من الشّكّ)).[1]

و من التقديم و التأخير في كتاب الله الذي جاء لغرض تقرير الحكم و تأكيده قوله- تعالى-: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ متَبَّر مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِل مَّا كَانواْ يَعْمَلونَ﴾ [2] قال البيضاوي رحمه الله: « "إنّ هؤلاء" إشارة على القوم،" متبّر" مكسّر مدبّر، " ما هم فيه" عني أن يهدّم دينهم الذي هم عليه، و يحطّم أصنامهم و يجعلها رضاضًا، و باطل مضمحلّ،" ما كانوا يعملون" من عبادتها وإن قصدوا بها التقرّب من الله تعالى، و إنّما بالغ في هذا الكلام بإيقاع " هؤلاء" اسم "إنَّ"، و الإخبار عمّا هو فيه بالتّبار، و عمّا فعلوا بالبطلان».[3]

و يضيف البيضاوي في تفسيره لهذه الآية:« و تقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرًا لأنّ، للتنبيه على أن الدمار لاحقٌ لما هم فيه لا محالةَ، و إن الإحباطَ الكلّي لازبٌ لما مضى عنهم تنفيرًا وتحذيرًا عمّا طلبوا»[4]، و أصل الجملتين قبل التقديم:" ما هم فيه متبَّرٌ" و "ما كانوا يعملون باطلٌ"، فيستنتج من قول البيضاوي:" على أن الدمار لاحقٌ لما هم فيه"، أن التقديم كان غرضه تقوية الحكم و تأكيده.

و من التقديم الذي أفاد هذا الغرض أيضًا تقديم المفعول به "الله" في هذه الآية:﴿ قلِ اللَّهَ أَعْبد مخْلِصا لَّه دِينِى﴾[5]، يقول البيضاوي- رحمه الله-: «أمر بالإخبار عن إخلاص، و أن يكون مخلصًا له دينه، بعد الأمر بالإخبار عن كونه مأمورًا بالعبادة و الإخلاص خائفًا عن المخالفة من العقاب قطعًا لأطماعهم »[6]و هذا ما ذهب إليه أيضا الزمخشري، فهذا التقديم عنده «إخبار بأنه

---

[1] :دلائل الإعجاز، الجرجاني،ص:160

[2] :الأعراف، الآية:139

[3] :تفسير البيضاوي، ج3،ص:32

[4] : المصدر نفسه،الصفحة نفسها

[5] :سورة الزّمر، الآية:14

[6] :تفسير البيضاوي،ج3،ص:39

بأنه يختصّ الله وحده دون غيره بعبادته مخلصًا له دينه، و لدلالته على ذلك قدّم المعبودَ على فعل العبادة.»[1]

قال الله تعالى في محكم تنزيله:﴿ وَءَايَة لَّهم الَارْض الْمَيّتَة أَحْيَيْنُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّا فَمِنْه يَاكلونَ ﴾[2] قال البيضاوي في تفسير هذه الآية: «" أحييناها" خبر لـ" الأرض"، والجملة خبر "آية" أو صفة لها إذ لم يرد بها معينة و هي الخبر أو المبتدأ، و الآية خبرها، أو استئناف لبيان كونها" آية" و "أخْرَجْنَا منهَا حبًّا" جنس الحضبّ " فمنه يأكلونَ" قدّم الصلة للدلالة على أنّ الحبّ معظم ما يؤكل و يعاش به».[3]

4/شرف المقدّم و تعظيمه:

إن المتدبّر في القرآن الكريم و في أساليبه، ليلحظ أن هناك ألفاظًا قد قدّمت في الكلام، وهذا دلالة على شرف المقدّم و عظم مكانته، و منه تقديم النبي محمد- عليه الصلاة و السلام- في هذه الآية الكريمة:﴿ وَإِذَ اَخَذْنَا مِنَ اَلنَّبِينَ مِيثْقَهمْ وَمِنكَ وَمِن نّوح وَإِبْرُهِيمَ وَموسيٰ وَعِيسَي اَبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهم مّيثْقاً غَلِيظا ٧ ﴾[4] قال البيضاوي- رحمه الله تعالى-: «خصّهم بالذّكر لأنهم مشاهير أرباب الشرائع، و قدّم نبيّنا –عليه الصّلاة و السلام- تعظيما له و تكريمًا لشأنه»[5].

و من التقديم الذي جاء لغرض التعظيم تقديم المفعول به " ذلك" في الآية الكريمة: ﴿ ذُلِكَ جَزَيْنُهم بِمَا كَفَرواْ وَهَلْ يجُزيٰ إِلَّا اَلْكَفور ١٧ ﴾[6]، يقول البيضاوي: « "ذلك جَزَيْنَاهم بِما كَفروا " بكفرانهم النِّعمةَ، او بكفرهم بالرّسل، إذ روي أنّه بعث إليهم ثلاثة عشر نبيًّا فكذّبوهم، و تقديم المفعول به للتعظيم لا للتخصيص».[7]

---

[1] :الكشّاف، الزمخشري،ص:937

[2] :سورة يس، الآية:32

[3] :تفسير البيضاوي،ج4،ص:265

[4] :سورة الأحزاب،الآية:7

[5] :تفسير البيضاوي،ج4،ص:225-226

[6] :سورة سبأ، الآية:17

[7] :تفسير البيضاوي،ج4،ص:245

و إذا كان البيضاوي قد فسّر دلالة التقديم في هذه الآية بالتعظيم، فإنّ صاحب الكشّاف يفهم من كلامه أن هذا التقديم جاء لغرض التخصيص لا التعظيم، فمثل هذا الجزاء لا يستحقّه إلا الكافر، و هو العقاب العاجل، فالمؤمن تكفّر سيّئاته بحسناته، و الكافر يحبَط عمله، فيجازى بجميع ما عمله من السّوء، و الجزاء عامّ لكل مكافأة، يستعمل تارة في معنى: الإثابة، و أخرى في معنى: المعَاقبة، كقوله:" جزَيْناهم" بمعنى: عاقبناهم بكفرهم.

و من أمثلة التقديم في القرآن الكريم و تفسيرها للرتبة و الشرف و الفضل عند البيضاوي، تقديم زمان الليل على زمان النهار في الآية:﴿ فَاصْبِرْ عَلَيٰ مَا يَقولونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طلوعِ اِلشَّمْسِ وَقَبْلَ غروبِهَا وَمِنَ اٰنَاءِ ے اِلْيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ اَلنَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضيٰ ١٢٨ ﴾[1] قال البيضاوي رحمه الله:« و إنّما قدّم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل، فإنّ القلب فيه أجْمع، و النفس أميل إلى الاستراحة، فكانت العبادة في أحمر».[2]

5/الإنكار و التعجّب:

و من التقديم و التأخير الذي جاء لغرض الإنكار، ما حكاه الله في كتابه على لسان آزر لإبراهيم، حين دعاه ابنه إلى عبادة الله وحده و ترك عبادة الأوثان و الأصنام، فقد قدّم الخَبر، و أخّر المبتدأ- الذي أصله التقديم في جملته- في هذه الآية:﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ اَنتَ عَنَ اٰلِهَتِ ے يٰإِبْرٰهِيم لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجمَنَّكَ وَاهْجرْنِ ے مَلِيّا ٤٦﴾[3]فـ"راغِب" خبر مقدّم، و "أنت" مبتدأ مؤخّر، و لقد جاز الابتداء بالنكرة لأنها مسبوقة باستفهام.

قال البيضاوي في تفسير هذه الآية الكريمة : «قال أراغِبٌ أنت على آلهتي يا ابراهيم» قابل استعطافه و لطفه في الإرشاد بألفاظه و غلظة العناد، فناداه باسمه، و لم يقابل " يا أبت": بـ يا بني، و أخّره، وقدّم الخبر على المبتدأ، و صدره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التّعجّب، كأنها مما يرغب عنها قائل، ثمّ هدّده فقال: "لئن لم تنتهِ" عن مقالك فيها أو الرّغبة عنها، "لأرجمنَّكَ" بلساني يعني الشّتم و الذّم، أو بالحجارة حتّى تموت، أو تبعدَ منّي»[4].

---

[1] :سورة طه،الآية:127

[2] :تفسير البيضاوي، ج4،ص:42

[3] :سورة مريم، الآية:49

[4] :تفسير البيضاوي، ج4،ص:12

و قد فسّر الزمخشري هذا التقديم بالاهتمام بالمقدّم، و كذا بالتعجّب من فِعْلِهِ، و إنكار رغبتهِ، فيقول « و قدّم الخبر على المبتدأ في قوله "أراغِبٌ أنت عن آلهتِي يا إبراهيم" لأنّه كان أهمّ عنده، و هو عنده أعنى، و فيه ضربٌ من التّعجّب و الإنكار لرغبته عن آلهته، و أنّ آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحدٌ، و في هذا سلوان و ثلجٌ لصدر رسول الله- صلى الله عليه و سلّم-، عمّا كان يلقى من مثل ذلك من كفّار قومه»[1].

و ممّا تقدّمَ في الرتبة لغرض الإنكار، المفعول به "غَيْرَ" على الفعل " يَبغونَ" في الآية الكريمة ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغونَ وَلَه أَسْلَمَ مَن فِے اِلسَّمَٰوٰتِ وَالاَرْضِ طَوْعا وَكَرْها وَإِلَيْهِ ترْجَعونَ ٨٢﴾[2] قال البيضاوي رحمه الله-: «و تقديم المفعول به لأنه المقصود بالإنكار، فهذا إنكار واقع على كل من يقبل دينًا غير دين الله الإسلام، بعد كل الحجج الدّامغة، و البراهين السّاطعة، التي قدمت لهم، و علمهم بأنه أسلم الله من في السماء و من في الأرض جميعاً».[3]

و إذا كان تقديم المفعول به على الفعل قد أفاد الإنكار في الآية السّابقة، فإنّ تقديم الظرف كانت بلاغته الإنكار في هذه الآية:﴿إذا مِتْنَا وَكنَّا ترَابا وَعِظَٰماً إنا لَمَبْعوثونَ ١٦ أَوَ ءَابَاؤنَا اَلاَوَّلونَ ١٧﴾[4] يشير البيضاوي أنّ أصل الآية "أَنبْعَث إذا مِتْنَا" فبدّلوا الفعلية بالاسمية و قدّموا الظّرف إشعارًا بأنّ البعث مستنكرٌ في نفوسهم[5]، فالمعنى«أَيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد، يعنون أنهم أقدم، فَبَعثهم أبعد و أبطل»[6]، فالمشركون ينكرون حقيقة البعث، و و يستبعدون الحياة بعد الموت، و يزعمون أنه بموتهم ينتهي كل شيء.

---

[1] :الكشّاف، الزمخشري،ص:638

[2] : سورة آل عمران، الآية:83

[3] : تفسير البيضاوي، ج2،ص:26

[4] :سورة الصّافات، الآية:16

[5] ينظر:تفسير البيضاوي،ج5،ص:07

[6] :تفسير البحر المحيط،أبو حيّان التوحيدي، تح:عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت،لبنان،ط1،1993،ج7،ص:340

الفصل الثاني: دلالة الحذف في تفسير البيضاوي

أ-أدلة الحذف

ب-شروط الحذف

ج-أنواع الحذف

أولا: حذف المفردات

ثانيا: حذف الجملة

ثالثا:حذف الحرف

د-دلالة الحذف في التفسير البيضاوي

يعد الحذف من الظواهر المعهودة الاستعمال في لغة العرب، و هو إسقاطٌ لعنصر من عناصر الكلام، و هذا الإسقاط لا يكون عبثا، و إنَّما يعمَد إليه لتحقيق غايات دلاليّه و أسرار بلاغيَّة، ذلك أنَّ أي تغيير في عناصر الجملة_ سواء أكان التَّغيير تقديمًا أو تأخيرا أو حذفا أو ذكرًا_ يصاحبه تغْيِيرٌ في المعنى.

و لما كانت للحذف أغراض و أسبابٌ دلاليَّةٌ، فإنَّ القدماء من نحاةٍ و بلاغيين قد أولوه اهتمامًا بالغًا نلحظه منذ أولّ كتابٍ في علم العربية و هو كتاب سيبويه إذ يقول: « و ذلك قولك: أخذته بدرهم فصاعدًا، و أخذته بدرهم فزائدًا. حذفوا الفعلَ لكثرة استعمالهم إياه، و لأَنَّهم أمِنوا أن يكون على الباء، لو قلتَ: أخذته بصاعدٍ كان قبيحًا، لأنّه صفة و لا تكون في موضع الاسم، كأنَّه قال: أخذته بدرهم فزادَ الثّمن صَاعدًا، أو فذهب صاعدًا[1] .

وههنا يومئ سيبويه إلىَ أنَّ من أسباب الحذف كثرَة الاستعمال، و المعروف أنّ من خصائص اللّغة ميلها إلى الإيجاز و الاختصار، وممَّا يؤَكِّد ذلك ما جاء عن أبي عمرو بن العلاء حين سئل:« أكانت العرب تطِيل ؟ فقال: و اعلم أنّ العربَ إلى الإيجاز أميل، و عن الإكثارِ أبعد»[2].

و يقول اِبن جنّي في باب شجاعته العربيّة: « قد حذفت العرب الجملةَو المفرد و الحرف، و الحرَكَةَ، و ليسَ في شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، و إلاّ كان فيه ضربٌ من تَكليفِ علم الغيب في معرفته».[3] فابن جنّي في قوله هذا يرى أَنّه لا يجوز الحذف إلا بدليل، و أَنَّه يقع في كل عناصر التّركيب، فيقطع المفرد و الحرف و الحركة و كذا الجملة.

فالحذف في اللغة العربيَّة «دقيق المسلك، لطيف المأخذِ، عجيب الأَمر، شَبِيهٌ بالسّحر،فإنَّك تَرى بِه تَرْكَ الذّكر أفصحَ من الذّكرِ، و الصَّمْت عن الإفادة أزيد في الإفادة » [4]،و لا يكون الحذْف اِعتباطًا، بل الأصل في المحذوفاتِ جَمِيعِها أن يكون في الكَلَام ما يدّل عليها، من قرَائِنَ دلاَلِيَّة، كأن

---

[1] الكتاب،سيبويه،ج1،ص:290

[2] الخصائص:36ص،ابن جنيّ،ج1،ص:83

[3] المصدر نفسه،ج2،ص0

[4] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني،ج1،ص:146

تكونَ سِيَاقيَّةً لفظيَّةً أو عَقْلِيّةً، فإن لم يكنْ هناك دليلٌ على المحذوف، فإنّه يعدّ لغْواً مِنَ الكَلَام، ولا يجوز بأيّ وَجْهٍ مِنْ الوجوه[1].

أ- أدلّة الحذف:

للحذف أدّلةٌ كثيرة منها:أن يدلّ على الحذف المقصود الأظهَر على تعيين المحذوف، كقوله تعالى: ﴿ حرِّمَتْ عَلَيْكم الْمَيْتَة وَالدَّم وَلَحْم الْخِنزِيرِ﴾[2]، و قوله: ﴿ حرِّمَتْ عَلَيْكم أمَّهَٰتكمْ وَبَنَاتكمْ وَأَخَوَٰتكمْ ﴾[3]ـ ، فإنَّ العقلَ يَدل على المحذوف، و المقصود الأظهر يرْشِد إلى أنَّ التَّقْدير حرّم عليكم تناول الميتة، و حرّمّ عليكم نكاح أمهاتكمْ، فالغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها و من النساء نكاحهنَّ[4].

- أن يدلّ العقل على الحذف و التّعيين كقوله تعالى: ﴿وَ جَآءَ ربّكْ ﴾ ـ و كقوله أيضا: ﴿هل ينظرون إلا آن يأتيهم الله في ظلَلٍ من الغَمَامِ ﴾ ، ففي الآية الأولى تقدير المحذوف: أمر ربّك، أو عذابه، أو بأسه، و في الآية الثَّانيَةِ: عذاب الله أو أُمْرِه.

-أن يدلّ العقل على الحذف، و العَادة على التعيين: كقوله تعالى حكايةً عن امرأة العزيز: ﴿فَذَٰلِكنَّ الَّذِي لمْتنَّنِي فِيهِ ﴾[5]، فدلَّ العَقْل على الحذف فيه، لأنَّ الإنسان إنَّما يلاَم عَلَى كسْبِهِ ، فيحْتَمَل أن يكونَ التَّقْدير: في حبّه لقول الله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حبًّا ﴾[6]، و أن يكون في مرَاوَدَته، مرَاوَدَته، لقول الله تعالى: ﴿تزَاوِد فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾[7]، و أن يكون: في شَأنه و أمْرِه، فيشملهما،

---

[1] ينظر: الحذف في اللغة العربية، يونس حمش خلف محمد، مجلّة أبحاث كليّة التربية الأساسيّة، المجلد 10، العدد2، ص : 273.

[2] سورة المائدة: الآية:3

[3] سورة النساء، الآية:23

[4] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزْويني، تح:ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط

[5] سورة يوسف، الآية: 32

[6] سورة يوسف، الآية:30

[7] سورة يوسف، الآية: 30

فيشملهما، والعادَّة دلّت على تعيين المرَاودة ، لأنّ الحبَّ المفْرِط لا يلَام الإنسان عليه عادةً، لقهرِهِ صاحبَه، وإنَّما يلاَم عَلَى المرَاوَدةِ الدَّاخلة تَحْتَ كسبِهِ الَّتي يقدر أن يدفعها عن نَفْسِهِ[1].

– أن تدلّ العَادّة على الحذف و التَّعيين: كقول الله تعالى : ﴿ لَوْ نَعْلَم قِتَالا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾[2] ففي هذه الآية حَذْفٌ تقديره: مكانَ قِتالٍ، أي أنّكم تقَاتِلونَ في وضع لا يصلح للقتال، و يخْشى عليكم منه، و يدل عليه أنّهم أشاروا على رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ آن لا يخرج من المدينة ، و أن الحزمَ البقاء فيها[3].

–الشروع في الفعل: كقول المؤمن: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "، كما إذا قال عند الشروع في القراءة: بسم الله، فإن التقدير: بسم الله أقرأ، و كذا عند الشروع في القيام و القعود و سائر الأفعال، فإن المفيدَ على حسب ما جعِلَت التَّسميَّه مبدأ له[4].

–و منها اِقْتِرَان الكلام بالفعل، فإنه يفيد تقريره، كقولك لمن أقام العرس: " بالرّفاء و البنين"، فإنّه يفيد: بالرّفاء و البنين أعْرَسْتَ[5].

ب–شروط الحذف:

يعدّ الحذف ظاهرة نحويَّةً و بلاغيّة، و هو من خصائص اللّغة العربيّة الأصيلة، التي تميل إلى الاختصار و الإيجاز، و حتّى لا يكون هذا الإسقاط تشويها لنظامها اللّغوي، و نقصًا في أداء المعنى، فإن النّحويين قد وضعوا له شروطًا و قواعدَ و قد أحصى منها ابن هشام ثمانية بيانها كالآتي:

[1] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص:151

[2] سورة آل عمران، الآية: 167

[3] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 151

[4] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[5] ينظر: : المصدر نفسه ، القزويني،الصفحة نفسها

1-وجود دليل حالي أو مقالي كقولك لمن رفَعَ سوطًا: "زيدًا" بإضمار: اِضْرِبْ، و منه قوله: ﴿ **قَالوا سَلَامًا**﴾[1] و قوله أيضا:﴿**وَقِيلَ لِلذِينَ اَتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبّكمْ قَالواْ خَيْرا**ۗ﴾[2] أي سَلَّمنا سلامًا، في الآية الأولى[3]، و المحذوف في الآية الثانية: أنزل. فحذف الفعل هنا للدّليل المقاليّ.

2-أن لا يكون ما يحذف كالجزء، فلا يحذف الفاعل و لا نائبه، و لا خلاف في جواز حذف الفاعل مع فعله.

3-أن لا يكون مؤكدًّا، و هذا الشّرط أوَل من ذكره الأخفش مَنَعَ نحو: " الّذي رأيت زيد" أن يؤكد العائد المحذوف بقولك " نفسه"، لأنَّ العَائد مريدٌ للطّوِلِ، و الحاذف مريد للاختصار.

4-أن لا يؤدّي حذفه إلى اختصار المختصر، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله، لأنّه اِختصار للفعل[4].

5-أن لا يكون عاملاً مخيفا، فلا يحذف الجار و الجازم و النّاصب للفعل، إلا في مواضِعَ قليلة، قويت فيها الدلالة و كثر فيها اِستعمال تلك العوامل اللّفظيّة، و القياس عليها غير جائز[5].

6-أن لا يكون المحذوف عوَضًا عن شيء، فلا تحذف ما في« أمَّا أنْتَ منطلقًا انطلقْتَ » و لا كلمة لا من قولهم « اِفعلْ هذا إمَّا لا» و لا التّاء من عدّة و إقامة و اِستقامةِ، فإمّا قول الله تعالى **(وَإِقَامَ الصَّلَاةِ)**[6] فممّا يجب الوقوف عنده، و من هنا لم يحذف خبر كان لأنّه عوض، أو كالعوض من مصدرها، ومن ثمّ لا يجتمعان[7].

---

[1] سورة الفرقان، الآية:63

[2] سورة النحل، الآية: 30

[3] ينظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تح: محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ط1991، ص: 692

[4] ينظر: المصدر نفسه: ص 698،699

[5] ينظر: المصدر نفسه ص 699

[6] سورة الأنبياء: الآية، 73

[7] ينظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام ، ص: 699،700

7 –أمَّا الشرطان السابع و الثامن " أن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل و قطعه عنه، و لا إلى إعمال العامل الضَّعيف مع إمكان إعمال العامل القويّ" [1]، فالأوّل مثل : "ضَرَبَنِي و ضَرَبْته زيدًا" ، فيمنَع البصريون حذف المفعول الثاني فلا يجوز : ضَرَبَني و ضَرَبت زيد" ، لأنَّ الحذفَ يؤَدِّي إلى تهيئة الفعل الثاني " ضربت" للعمل في زيد على أنه مفعول به، ثمّ يقطع ذلك العمل بسبب كون " زيد" فاعلاً للفعل الأوّل " ضَرَبَني " ، و الثاني في نحو: "زيد ضربته"، أن يحذف المفعول به فيقال: زيد ضربت، على اِعتبار "زيد" مبتدأً، و ذلك لأنّ فيه إعمالاً للابتداء مع إمكان إعمال الفعل و الفعل أقوى[2].

ج أنواع الحذف و أغراضه البلاغيّة:

لقد ارتضى النحويون للحذف تقسيما ثلاثيًّا، اِنطلاقا من نوع المحذوف الّذي قد يكون حرفًا، أو مفردةً أو جملةً، و قبل التعرض لهذه الأنواع و تفصيل القول فيها، يَنبَغي الإشارة إلى تَصَورِ ابن مضاء القرطبي للحذف و تقسيماته للمحذوف.

يقول ابن مضاء: " اِعلم أنَّ المحذوفات في صناعتهم على ثلاثة أقسام، محذوف لا يتمّ إلا به، حذف لعلم المخاطب به، كقولك لمن رأيته يعطى النّاس: (زيدًا) أي: إعط زيدًا فتحذفه و هو مرَادٌ، و إن أظهر تمَّ الكلام به" [3] و المحذوفات في القرآن الكريم لعلم المخاطبين بها كثيرة، و هي إذا أظهرت تمّ بها الكلام، و حذفها أوجز و أبلغ [4] و منه قوله تعالى: ﴿**و يسألونك ماذا ينفقون قلِ العفوَ**﴾[5].

---

[1] ينظر: معنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ص: 700

ينظر:ظاهر الحذف في الدّرس اللّغويّ، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعيّة– طبع–نشر– توزيع، الاسكندرية، [2] مصر،ط1،1998،ص:149–150

كتاب الرّد على النّحاة، ابن مضاء القرطبي، تح: شوقي ضيف، دار الفكر العربيّ، القاهرة، مصر، ط 1، [3] 1947،ص: 82

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص:89

[5] سورة البقرة، الآية:109

و يتضح من هذا أن ابن مضاء يعترف بهذا النوع و يقرّه لعلم المخاطبين به. و إن كان المحذوف الأول لا يتمّ الكلام إلا به، فإنّ الثاني لدى ابن مضاء محذوف لا حاجة بالقول إليه، «بل هو تامّ دونه، و إن ظهرَ كان عيبا كقولك: " أزيدًا ضربته" قالوا: إنه مفعول بفعل مضمر تقديره أضربت زيدًا، و هذه دعوى لا دليل عليها، إلا ما زعموا من أن ضربت من الأفعال المتعديّة إلى مفعول واحد، و قد تعدَّى إلى الضّمِير، و لا بد لزيد من ناصب إن لم يكن ظاهرًا فمقدَّرٌ، و لا ظاهر. فلم يبق إلاّ الإضمار» [1]، و هذا النوع يرفضه صاحب كتاب الرّد على النّحاة لأنّ الكلام تامّ و مفهوم من دون تقديرٍ للمحذوف.

أماَ القسم الثالث للمحذوف فهوَ مضمرٌ، إذا أظهر تغيَّر الكلام عمَّا كان عليه قبل إظهاره، كقولنا: (يا عبد الله،) و حكم سائر المناديات المضافة و النكرات حكم عبد الله، و عبد الله عندهم منصوب بفعل مضمر تقديره أدعو و أنادي، و هذا إذا أظْهِر تغيَّر المعنى، و صار النّداء خبرًا[2].

و ممّا يتصلّ بفلسفته بشأن هذه الظاهرة قوله:« لم أحتجْ إلى إضمار ما الكلام تامّ دونه، وإظهاره مخالفٌ لغرض القائل»[3] فمودّى هذا الكلام أن ابن مضاء يرفض تَقديرَ فعل مضمر في بنيات الاشتغال، إذ في رأيه الكلام تامّ و غنيّ عن تقدير أيّ محذوف، لأنه ضربٌ من الخيال و التّخمين، ولا غرابةَ أن يصدر هذا الرّأي عمّن يدين بالمذهب الظاهري [4]، فهو يدعو إلى التزام النّص كما نطقه المتكلّم، و ليس من حقّ أحدٍ أن يزيد فيه ما لم ينطق، و ينبغي ألاّ يفرض على النّص ما ليس منه![5]

منه![5]

---

[1] كتاب الردّ على النحاة، ابن مضاء القرطبي، ص:89

[2] ينظر: المصدر نفسه ، ص:90

[3] المصدر نفسه،ص:122

[4] ظاهرة الحذف في النحو العربي محاولة الفهم، بوشعيب برامو، مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد 34، مارس 2006 ص:20

[5] ينظر:آراء ابن مضاء القرطبي في ضوء علم اللّغة الحديث، مباركة حمقاني، مجلة الآثر، العدد 18، جوان 2013:50

أوّلا : حذف المفردات (الكلمة):

و هذا النّوع من الحذف يعدّ من أكثر المحذوفات في الاستعمال اللّغويّ، و هو أوسع مجالاً من حذف الجملة و حذف الحرف و ضروبه كثيرة، و أسبابه عديدة، يمكن اِختصارها فيما يلي:

1/حذف المفعول به:

المفعول به هو « الّذي يقع عليه فعل الفاعل في مثل قولك ضرب زيد عمرًا و بلغت البلدَ، و هو الفارق بين المتعدّي و غير المتعدّي، و يكون واحدًا فصاعدًا إلى الثلاثة» [1] فمن الأفعال ما يتعدَّى إلى مفعول أول، و ما يتعدَّى إلى مفعول ثانٍ و ما يتعدّى إلى مفعول ثالثٍ.

و قد يحذف المفعول به من تركيب الجملة الفعليّة لأغراض دلاليّة لطيفة، تنبّه إليها الدارسون- قديما حديثا-، و أمثلته في القرآن الكريم كثيرة و منها قول الله تعالى: ﴿وَإِن كنتمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَاتوا بِسورَة مِّن مِّثْلِهِ وَادْعواْ شهَدَاءَكم مِّن دونِ اِللَّهِ إِن كنتمْ صَٰدِقِينَ ٢٢ ﴾[2]: أي فإن لم تفعلوا الإتيان و لن تفعلوه، و قد حذف المفعول الّذي تقديره " الإتيان" للعلم به لأنّه مرّ ذكره[3].

و من أغراضه حذف المفعول به أيضا الإكرام و التّعظيم.كقوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾[4] ، و تفسير ذلك أن الله تعالى لم يرد أن يواجه بالقلى فيقول (و ما قلاك)، و إنّما اكتفَى

[1] شرح المفصل، ابن يعيش، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج1، ص : 124.

[2] سورة البقرة: الآية:22

[3] ينظر: معاني النّحو، السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2003، ج2،ص:81

[4] سورة الضحى، الآية:3

بالمفعول السّابق إكرامًا لرسول الله- عليه الصّلاة و السّلام- من أن يناله الفعل [1]، فحذف المفعول لئلا يوَاجَهَ بنسبة القلى، و أيضا مراعاةً للفواصل[2].

و قد يحذف أيضا لاحتقاره، نحو﴿كَتَبَ اَللَّه لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرسلِيۚ إِنَّ اَللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌۚ ٢٠﴾[3] أي: أغلبنَّ الكافرين، و حذفه علاوةً على هذا لإخراجه مخرج العموم، فالغلبة عامّةٌ له و إن كان المقصود بها الكافرين، أو للاستهجان كقول عائشة – رضي الله عنها- و ما رأيت منه و لا رأى منّي، أي العورة، أو للجهل به نحو: ولدت فلانةً، و أنت لا تدري ما ولدت [4]، و غيرها من الأغراض.

.2/ حذف المسند إليه:

و يحذف المسند إليه من الكلام تلبيةً لتحقيق غايات دلاليه، لم تكن لتتحقق مع ذكره، و من أسرار هذا الحذف البلاغية:

-**ضيق المقام:** و يرجع ذلك إلى ما يكون فيه المتحدّث من حزن و ألمٍ أو مللٍ و سأم أو إلى خوفه من فوات فرصة أو فقدان شيء، أو إلى سماعه أمرًا غريبًا يدعو إلى التعجّب و يثير الاستغراب، و منه قول الله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهمْ خِيفَةًۚ قَالواْ لَا تَخَفْۖ وَبَشَّروه بِغلَٰمٍ عَلِيمٍۚ ٢٨ فَأَقْبَلَتِ اِمْرَأَته فِے صَرَّة فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجوزٌ عَقِيمٌۚ ٢٩﴾[5]، فقد حذف المسند إليه الّذي تقديره: أنا عجوز عقيمٌ ، و سرّ بلاغة حذفه يرجع إلى تعجّبها من بشارة الملائكة، واستبعادها

[1] ينظر: معاني النّحو، السّامرائي، ج2، ص:81

ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السّبع المثاني، الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، [2] دط-دت، ج30،ص156

[3] سورة المجادلة، الآية: 20

[4] ينظر: معاني النّحو: السّامرائي، ج2،ص: 81-82

[5] سورة الذاريات: الآية: 28-29

و كأنّ المقام، و ما هي فيه من تعجّب و اِستغراب و اِستبعادٍ، يضيق بالمسند إليه، و يقتضي حذفه[1].

-**التحقير**: و تحذف المسند إليه تحقيرا لشأنه، و صونًا للّسان عن ذكره، و مثال ذلك قول بعض العرب في ابنِ عمّ له سأله فمنعه، و قال كم أعطيك مالي و أنت تنفقه فيما لا يعنيك، فتركه حتى اجْتمعَ القوم في ناديهم، و هو فيهم، فشكاه إلى القوم و ذمّه، فوثبَ إليه اِبن عمّه فلطمه، فقال:

سريعٌ إلى ابن العمّ يلطم وجهَه

و ليس إلى داعي النّدى بسريع

حريصٌ على الدّنيا مضيعٌ لدينه

و ليس لما في بيته بمضيـــــــع

إذ التقدير في البيتين: هو سريع، هو حريص، و الحذف فيه لصون اللّسان عن المحذوف، تحقيرا له، و فيه إيجاز و احتراز عن العبث[2].

ومثاله في القرآن الكريم قول المولى-جلّ ثناؤه-: ﴿صمٌّ بكْمٌ عمْيٌ﴾[3]، و تقدير الكلام: هم صمٌّ، فحذف المسند إليه تحقيرًا له، و كذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرِيكَ مَا هِيَهْ ٩ نَارٌ حَامِيَةٌ ١٠ ﴾[4]، والتقدير: هي نار حاميَةٌ[5]، و المسند إليه في الآيتين أصبح كالمتعيّن، فلا حاجة لذكره.

---

[1] : ينظر: علم المعاني، دراسة بلاغية و نقديّة لمسائل المعاني، بِسْيُونِي عبد الفتاح، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1406 هـ، ج1، ص99-100.

[2] : ينظر: من بلاغة النظم العربيّ، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، ص128-129.

[3] سورة البقرة: الآية: 18

[4] سورة القارعة: الآية:10-11

[5] ينظر: من بلاغة النّظم العربي، عبد العزيز عبد المعطى عرفة، ص: 129

3-حذف الفعل:

يجيء حذف الفعل إمّا بانفراده، أي أن يَبقَى فاعله دليلا عليه و منه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَ اَحَدٌ مِّنَ اَلْمشْرِكِينَ اَسْتَجَارَكَ ﴾[1]، إذ التقدير: و إن اِستجارك أحد من المشركين، أو يبقى المفعول دالاً عليه كقولهم: أهلَكَ و اللّيل، و التّقدير: اِلحق أهلكَ و بادر اللّيل ، و يحذف حذفًا لازمًا في المصادر نحو: حمدًا و شكرًا، لأنّها حوّلت عِوَضًا عن أفعالها و منها لبيك و سعَديك [2]، و غيرها من المصادر الثّنائية.

انظر إلى قول الله تعالى: ﴿وَقِيل لِلذِينَ اَتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبّكمْ قَالواْ خَيْراً ﴾[3] أي: أنزل ربّنا خيرًا، فحذف الفعل مع فاعله، و حذفهما ينبئ بسرعة اِستجابة هؤلاء المتّقين، و قوّة إيمانهم، و اِمتثالهم لأمر ربّهم[4]، و فرقٌ بين إجابة المتقين في هذه الآية و إجابة الكفر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهم مَّاذَا أَنزَلَ رَبّكمْ قَالواْ أَسَٰطِير الاَوَّلِينَ ٢٤﴾[5].

فالإجابة في الآية الأولى جاءت بالنّصب، و الإجابة في الآية الثانية جاءت بالرّفع، يقول الزّمخشري في كشّافه مفسرًا : "فصلاً بين جواب المقرّ و جواب الجاحد، يعني: أن هَؤلاء لما سئلوا لم يتعلثموا، و أطبقوا الجوابَ على السّؤال بيّنا مكشوفا مفعولا للإنزال ، فقالوا: خيرًا، أي أنزل خيْرًا، وأولئك عدلوا بالجواب عن السّؤال، فقالوا: هو أساطير الأوّلين، و ليس من الإنزال في شيء"[6].

---

[1] سورة التوبة: الآية:5

[2] : ينظر: الإعجاز بإيجاز الحذف في القرآن الكريم،سَتْنَا محمّد علي، مجلّة العلوم و البحوث الاسلاميّة، العدد2، فيفري 2011.

[3] سورة النحل، الآية:30

[4] ينظر: علم المعاني،بسيوني عبد الفتاح، ص184

[5] سورة النحل، الآية24

[6] الكشاف، الزمخشري، ج3، ص: 433

و يحذف الفعل مع فاعل أيضا لملاءمة السّياق، و منه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتم الذِينَ كَفَرواْ فَضَرْبَ اَلرِّقَابِ ﴾[1]، أي فاضربوا رقابهم ضَرْبًا، و هذا الحذف يلائم السّياق، فالضّرب المأمور به هو الضّرب السّريع الخاطف فور اللّقاء، و منه قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمود بِطَغْوَيٰهَا ١١ إِذِ اِنْبَعَثَ أَشْقَيٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهمْ رَسول اللَّهِ نَاقَةَ اَللَّهِ وَسقْيَاهَا ١٣﴾[2] ، أي ذروا ناقة الله، واحذوا سقياها، فالحذف هنا ينبئ بلهفة صالح-عليه السلام- و شدة حرصه على هداية قومه، و نجاتهم و لهذا صاح محذرًا: ناقة الله و سقياها[3].

4- حذف المضاف و المضاف إليه:

أ-حذف المضاف:

ما هو جدير بالذكر أنّ حذف المضاف في الكلام العربيّ وقع بشكل كثير و واسع، فورد في القرآن الكريم، و جاء في شعر العرب و من أمثلته: قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ اِلْبِرّ مَنِ اِتَّقيٰۖ﴾[4]، إذ المعنى: و لكنّ ذا البرّ من اتّقى أو و لكنَّ البرّ من اتّقى، و قوله أيضا: ﴿۞حرِّمَتْ ﴿۞حرِّمَتْ عَلَيْكم الْمَيْتَة﴾[5]، أي حرّم عليكم تناول الميتة، لأن الحكم الشرعيّ متعلق بالأفعال[6].

قال الله-جلّ ثناؤه-:﴿ وَجَاءَ رَبّكَ وَالْمَلَك صَفّا صَفّا ٢٤﴾[7]، و التقدير أي جاء أمره، بمعنى بمعنى عذابه، ذلك أن العقل دلّ على استحالة مجئ الرّب تعالى، و على أنَّ الجائي أَمْره، و منه قوله

---

[1] سورة محمد، الآية:4

[2] سورة الشمس، الآية:13

[3] ينظر: علم المعاني،بسيوني عبد الفتاح،ص:185

[4] سورة البقرة، الآية:189

[5] سورة المائدة، الآية:3

[6] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، مكتبة القرآن للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1991، ص:22.

[7] سورة الفجر، الآية:24

تعالى:﴿ وَسْئَلِ اِلْقَرْيَةَ اَلتِے كنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ اَلتِے أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾[1]، أي اسأل أهل القرية و أهل العير إذا لا يصلح إسناد السّؤال إليها.

و في قوله تعالى: ﴿ إِنَّه عَمَلٌ غَيْر صٰلِحٌ﴾[2]، فهذا إخبارٌ بالمصدر عن الذّات، فقد أخبرَ عن اِبن نوح بقوله " عمل غير صالح"، و القصد منه تحويل الذّات إلى حديثٍ، و المعنى في الآية أنَّ اِبنك يا نوح تحوّل إلى عمل غير صالح و لم يبق فيه شيء من عنصر الذّات، و هذا التّحويل والتجوز لا يؤديه التّقدير، فإنَّك إذا قدرت (إنّه ذو عمل غير صالح) لم يبق فيه شيء من هذا المعنى، فلا داعي لتقدير المضاف، فإنّ لكلّ تعبيرٍ دلالَته و معناه.[3]

و يحذف المضاف أيضا اِختصارًا ، وذلك إذا دلّ عليه المعنى نحو قولهم: " هذه الظّهر أو العصر أو المغرب إنما يريدون صلاة هذا الوقت من ظهر و عصرٍ و مغرب، و مثاله في الشعر قول الحطيئة[4]:

و شَر المَنَايَا هَالِكٌ وسْطَ أهْلِه

كهلك الفَتاَةِ أَيْقَظَ الحيَّ حاضره

يريد منيَّةَ هَالك[5]

ومن أسباب حذف المضاف أيضا الاِستغناء بدلالة المضاف المذكور عن المحذوف إذا دلّت عليه قرينه، و ذلك نحو: أبو محمّد وخالد حاضران، فالمعنى أبو محمّد و أبو خالد حاضران بدليل قوله" حاضران" إذ لوْ لمْ يردْ ذلك لقَال: حاضرٌ، و قولك أيضا: " كتاب سعيد و خالد ممزقان، فدلّ

[1] سورة يوسف، الآية:82

[2] سورة هود،الآية:46

[3] ينظر: معاني النحو، السامرائي،ج3، ص:123

[4] ديوان الحطيئة: رواية و شرح ابن الّسكيت، مفيد محمّد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1993،ص:115

[5] ينظر: معاني النحو، ج3، ص:124

قولك: ممزقان على أنّهما كتابان لا كتاب واحد، و المفيد: كتاب سعيد و كتاب خالد، و لة قلتَ: ممزقٌ بالإفراد، لكان كتابًا واحدًا، يعود إليهما[1].

ب-حذف المضاف إليه:

فإذا حذف المضاف لأغراض بلاغية متنوعة، فإنّ أغراض حذف العنصر الثاني من التركيب الإضافي- و هو المضاف إليه- لم تختلف عنها: فمن مواضع حذف المضاف إليه قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلَاسْمَاءَ كلَّهَا ﴾[2]، و التقدير: و علم آدم أسماء المسمّيات كلّها، و تمّ حذفه لكونه معلومًا مدلولا عليه، بذكر الأسماء لأنَّ الاسم لا بدّ له من مسمًّى، فحذف و عوض عنه باللام، و منه قوله أيضا: (وَكَانوا۟ مِن قَبْل يَسْتَفْتِحونَ عَلَي ٱلذِينَ كَفَروا۟ ﴾[3] ، و التَّقدير: كانوا من قبله أي قبل نزول القرآن، فحذف المضاف إليه. و الحذف كان لظهور أمره و شهرته[4].

و يحذف المضاف إليه تهويلا و تخويفًا كقوله –تعالى-: ﴿ هَلْ يَنظرونَ إِلَّا أَنْ يَّاتِيَهم اللَّه فِے ظلَل مِّنَ ٱلْغَمَٰمِ وَالْمَلَٰٓئِكَة وَقضِيَ ٱلَامْرُ ۚ وَإِلَي ٱللَّهِ ترْجَع الامورُ ٢٠٨ ﴾[5] ، و التقدير: أمر هلاكهم، و منه قوله أيضا: ﴿ ۞وَقَدْ نزّلَ عَلَيْكمْ فِے ٱلْكِتَٰبِ أَنِ إِذَا سَمِعْتم ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يكْفَر بِهَا وَيسْتَهْزَأ بِهَا فَلَا تَقْعدوا۟ مَعَهمْ ﴾[6]، ففي هذه الآية مضافٌ إليه محذوف، و الضَّمِير في "معهم" راجعٌ إليه، ولقد دلّ عليه قوله "يكفَر- يستهزأ" كأنّه قال: فلا تقعدوا مع الكافرين و المستهزئين بها، و قد حذف تحقيرا لشأنهم، و تهوينًا لأمرهم[7].

---

[1] ينظر: معاني النحو،السامرائي،ج3،ص:124-125

[2] سورة البقرة، الآية:30

[3] سورة البقرة،الآية:89

[4] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السلام أبو شادي، ص:82

[5] سورة البقرة،الآية:208

[6] سورة النساء: الآية:140

[7] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص:82

و حذف المضاف إليه في قوله تعالى :﴿ لِلَّهِ الأمر مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾[1] فالتقدير: من قبل كلّ شيء و من بعد كل شيء، فحذف لإفادة الشّمول لكلّ ما تحمله القبليّة و البعديّة من أزمنة وأمكنة و أشياء أخرى[2].

و الملاحظة في آيات كثيرة من كتاب الله العزيز كثرة حذف ياء المتكلم المضافة إلى المنادى كقوله تعالى: ﴿ وَقل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[3]، و قوله أيضا: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ﴾[4]، ولعلّ حذفها تخفيفًا و لهفةً إلى تحقيق ما دعيَ.

5- حذف الموصوف و الصّفة:

أ-حذف الموصوف:

كثيرة هي المواضع الّتي يحذف فيها الموصوف،فتقوم الصّفة مقامه شرط توفر الدّليل، و من هذه المواضع قول الله –تعالى : ﴿ وَمَا أمِرواْ إِلَّا لِيَعْبدواْ اللَّهَ مخْلِصِينَ لَه الدِّينَ حنَفَاءَ وَيقِيمواْ الصَّلَوٰةَ وَيوتواْ الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِين الْقَيِّمَةِ ٥ ﴾[5] فالتقدير في هذه الآية: و ذلك دين القيّمة، وحذِفَ الموصوف للعلم به اِختصارًا، و للعناية بالصّفة إذ هي المقصود، و دلّت الصفة على الموصوف في قوله: ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّٰت وَحَبَّ الْحَصِيدِ ٩﴾[6] و التقدير: حبّ الزّرع الحصيد فحذف اِختصارًا[7].

ومن دلالات حذف الموصوف: التّحقير منه قول الله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعه ﴾[8] ، فالتقدير: فأمتعه متاعًا قليلا، لدلالة قوله " فأمتعه" عليه، و قد أفاد الحذف تحقير شأن هذه المتاع،

---

[1] سورة الروم: الآية:4

[2] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص:82

[3] سورة طه، الآية:114

[4] سورة الأعراف، الآية:151

[5] سورة البينة، الآية:5

[6] سورة ق، الآية: 9

[7] ينظر، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص:86

[8] سورة البقرة، الآية:126

والتّفخيم و التهويل كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمود فَأُهْلِكواْ بِالطَّاغِيَةِ﴾[1]، و قد أفاد الحذف هنا التفخيمَ و التَّهويلَ[2].

ب–حذف الصّفة:

قد تحذف الصّفة من الكلام، إذا دلّ عليها دليل، فأمّا إن عريت من الدّلالة عليها من اللّفظ أو من الحال، فإن حذفها لا يجوز، آلا تراك لو قلت: وَرِدْنَا البصرةَ، فاجتَزْنَا بالأبلة على رجل، أو رأينا بستانًا و سكتتَ لم تفِدْ بذلك شيئًا، لأن هذا و نحوَه ممّا لا يعرّى من ذلك المكان، إنَّما المتوّقع أن تصفَ من ذكرتَ أو ما ذكرتَ، فإن لم تفعل كَلّفْتَ علمَ ما لَمْ تدلِّلَ عليه، و هذا لغو من الحديث و جور في التّكليف[3].

و من حذف الصّفة قوله تعالى: ﴿ اِلذِے أَطْعَمَهم مِّن جوع ٤ وَءَامَنَهم مِّنْ خَوْفٍ ٥﴾[4]، ٥﴾[4]، فحذفت الصّفة في موضعين و التّقدير: أطعمكم من جوع شديد، و آمنكم من خوف عظيم، عظيم، و منه قوله أيضا: ﴿ قلْ يَٰأَهْلَ اَلْكِتَٰبِ لَسْتمْ عَلَيٰ شَےْءٍ ﴾[5]، أي شيء نافع و قوله تعالى: ﴿ اَلْنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾[6]، أي جئت بالحق المبين، فحذف الصّفة في هذه المواضع للعلم بها اِختصارًا[7].

6– حذف أحد المتعاطفين:

يقول ابن جنّي:"و قد حذف المعطوف تارةً، و المعطوف عليه تارة، روينا عن "أحمد بن يحي" أنهم يقولون: ركب النّاقة طليحان، أي راكب الناقة و الناقه طليحان"[8]، ففي هذا القول حذف حذف للمعطوف عليه، و تأكيد على أنه قد يحذف المعطوف أو المعطوف عليه من العطف.

---

[1] سورة الحاقة، الآية:5

[2] ينظر:الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص:87

[3] الخصائص، ابن جنّي،ج2،ص:371

[4] سورة قريش، الآية:4

[5] سورة المائدة، الآية:68

[6] سورة البقرة، الآية:71

[7] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن، مصطفى عبد السلام أبو شادي، ص:93

[8] الخصائص ابن جني،ج2،ص:373

يقول الله تعالى:﴿ فَقُلْنَا اَضْرِب بِّعَصَاكَ اَلْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْه اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾[1]، أي فضرب فانفجرت، فحذف المعطوف لدلالة ما بعد عليه فإن لو لم يضرب لم تنفجر بالماء، و قال تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهم اللَّه موتواْ ثمَّ أَحْياهم﴾[2]، أي فماتوا ثمّ أحياهم[3]، و حذف لدلالة ما بعده عليه.

عليه.

ثانيا: حذف الجملة:

1 -حذف الأجوبة: و المقصود بالأجوبة جملة جواب الشرط، و جملة جواب القسم، و جملة جواب الإستفهام، فكل هذه قد حذفت في اللغة العربيّة و في القرآن الكريم لدلالة الكلام عليها ولأغراض بلاغيّة.

أ-حذف جواب الشّرط:

يلخّص الزركشي الأسباب الدّلالية لحذف جواب الشّرط قائلا:" و حذف الجواب يقع في مواقع التّفخيم و التّعظيم، و يجوز حذفه لعلم المخاطب به، و إنما يحذف لقصد المبالغة، لأنّ السّامع مع أقصى تخيّله يذهب منه الذّهن كلّ مذهب، و لو صرّح بالجواب لوقف الذّهن عند المصرّح به، فلا يكون له ذلك الوقع، و من ثمَّ لا يحسن تقدير الجواب مخصوصا إلا بعد العلم بالسّياق[4].

فيحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعداد أشياء فيكون في تعدادها طولٌ وسآمةٌ، فيحذف، و يكْتَفى بدلالة الحال، و تترك النّفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها، و هذا القصد يؤثر في المواضع الّتي يراد بها التّعجب و التّهويل على النّفوس، و منه قوله في وصف أهل الجنّة: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءوهَا وَفتِّحَتَ اَبْوَٰبهَا ﴾[5] ، فحذف الجواب إذا كان وصف ما

---

[1] البقرة، الآية:60

[2] سورة البقرة،الآية:243

[3] ينظر: معاني النحو، السامرائي، ص: 232-233

البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة،

[4] مصر،دط،دت،ج3،ص:183

[5] سورة الزّمر،:الآية71

يجدونه و يلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، و تركت النّفوس تقدّر ما تشاء و لا تبلغ من ذلك كنْهَ ما هنالك[1].

و من حذف جواب الشّرط قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اَللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْه فَإِنَّ اَللَّهَ شَدِيد الْعِقَابِ ﴾[2]، فجواب من محذوف تقديره: يعاقبه و الدليل عليه قوله : «فإن الله شديد العقاب»، و قد أفاد الحذف مع الإيجاز تَنْبيه المبدل لنعم الله لسوء مصيره ليتدّبر أمرَه، و منه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرىٰ إِذْ وقِفواْ عَلَي اَلنّارِ فَقَالواْ يٰلَيْتَنَا نرَدّ ﴾[3]، إذِ التّقدير: و لو ترى إذ وقفوا على النّار لرأَيتَ أمرًا شنيعا، و حذفها للتّهويل و التّفخيم، و للدّلالة على أنّه شيء لا يحيط به الوصف فلا يتصوّر مكروها إلاّ و هو دونه[4].

ب–حذف جملة جواب القسم:

من حذف جواب الشّرط قوله– تعالى–: ﴿ ۞الْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْر ٢﴾[5] الذي تقديره: ليعذبنّ[6] ومنه أيضا: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضحَيٰهَا ﴾[7]، فجواب القسم محذوف تقديره: لِيدَمْدِمَنَّ الله عليهم عليهم أي على أهل مكّة لتكذيبهم رسولَ الله– صلّى الله عليهم و سلم– كما دمدم على ثمود و حذِفَ الجَوَاب تهويلاً و تفخيمًا، و من حذفه قوله : ﴿ لَا أُقْسِم بِيَوْمِ اِلْقِيٰمَةِ ١ وَلَا أُقْسِم بِالنَّفْسِ اِللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحْسِب الإنسٰن أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَه ٣ ﴾[8] ، فجواب القسم محذوف، دلّ عليه قوله "

---

[1] ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ج2،ص:57

[2] سورة البقرة، الآية:211

[3] سورة الأنعام، الآية:27

[4] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص:115-116

[5] سورة الفجر، الآيتان:1و2

[6] ينظر:أساليب بلاغية: الفصاحة–البلاغة–المعاني،أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات الكويت، ط 1 ، 1980، ص:220.

[7] سورة الشمس،الآية:1

[8] سورة القيامة،الآية:1-2-3

أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه، و التّقدير: لَتبْعَثَنَّ بدليل ما بعده، و حذف للدّلالة على أنّ أمرَ البَعْث واضحٌ لكلّ من كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ و شَهِيدٌ[1]".

ج- حذف جملة جواب الاستفهام:

و هذا الضّرب من الحذف ورد كثيرا في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ اَدلّكمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْت يَكْفلونَه لَكمْ وَهمْ لَه نَٰصِحونَۖ ١١ فَرَدَدْنَٰه إِلَىٰ أمّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنهَا ﴾[2]،ففي هذه الآيات محذوف هوَ جَوَاب الِاستفهام، لأنّها لما قالت:"هل أدلكم على أهلِ بَيْتٍ يكْفلونَه لَكمْ؟ اِحْتَاجَ إِلَى جَوَابٍ، و الجَوَاب: نَعَم فدَلَّتْهمْ عَلى اِمْرَأةٍ، فجِئَ بها، و هِيَ أمه و لَمْ يَعْلَموا بِمَكَانِهَا فَأَرْضَعَتْه[3]. فحذِف جَوَاب الِاستفهام لدلالة ما بعدَه بعدَه علَيْهِ.

2-حذف جملة القول:

إن المتأمل لآي القرآن الكريم ليَجِد أنّ هذا النّوع من الحذف قد ورد كثيرًا في كتاب الله العزيز، وقد تنوعت أسبابه الدّلالية و أغراضه البلاغيّة.

و من هذا قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكم الطّورَ خذواْ مَا ءَاتَيْنَٰكم بِقوَّة ﴾[4]، إن التّقدير: ورَفعنا فوقكم الطّورَ و قلنا لكم: خذوا...فحِذِف القول لتَتَوفّر العناية على المقول إذ هو الغرض المقصود، و منه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَع إِبْرَٰهِيم الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُۖ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾[5]، و التقدير: يقولان: ربّنا تقبّل منا، و حذِف أيضا القول اِهتمَامًا بالمقول و لاستحضار الصّورة[6]، و مثل هذا الحذف كثيرٌ، إذ نجد أن غرض الكلام إنما هو المقول فتتوجه العناية إليه، ويسقط القول.

---

[1] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبوشادي، ص: 121

[2] سورة القصص، الآيتان:12-13

[3] ينظر: المثل السّائر في أدب الكتاب و الشّاعر، ابن الأثير، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع و النّشر، القاهرة، مصر/ ط2،ج2،ص:278.

[4] سورة البقرة، الآية:63

[5] سورة البقرة، الآية: 127

[6] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص: 127

3- حذف صلة الموصول:

يجوز حذف صلة الموصول تعظيما و تفخيما لها، و من ذلك قولهم :" بَعْدَ اللَّتيَّا و اللَّتي" بحذف الصلة من كل واحد منهما، لأن الغرض أنّ هذه الخطّة لعظمها و فخامة أمرها موصفة بصغير المكروه و عظيمه، و قيل: "اللَّتيَّا و الّتي" من أسماء الدّاهيّة، كأنّها سميت بالموصول دون الصّلة"[1].

4-حذف المقابل:

يقول الله تعالى: ﴿۞لَيْسواْ سَوَاءٓۗ مِّنَ اَهْلِ اِلْكِتَٰبِ أمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلونَ ءَايَٰتِ اِللَّهِ ﴾[2]، والتّقدير، و أمَّةٌ غير قائمة، فحذفت الجملة الإسميّة لدلالة المذكور عليها، و في حذفها تحقيرٌ لتلك الأمّة التّي أعرضت عن آيات الله، و مثله أيضا قوله تعالى: ﴿ هَانتم أوْلَاءِ تحِبّونَهمْ وَلَا يحِبّونَكمْ وَتومِنونَ بِالْكِتَٰبِ كلِّهِۦ ﴾[3].إذ التقدير: و هم لايؤمنون به كلّه فحذفت لدلالة المقابل، وقد أفاد الحذف التّحقير لشأن هؤلاء المنافقين[4].

ثالثا:حذف الحَرْفِ:

إنْ كان لحذف المفرد و حذف الجملة من الكلام العربي أسباب دلالية، فإنّ لحذف الحرف أيضا فوائده البلاغيّة.

أ-حذف همزة الإستفهام:

يجوز حذف همزة الاستفهام سواء تقدمت على أو لم تتقدمها، و مثال هذا قول عمر بن أبي ربيعة[5]:

فلما اِلْتَقَيْنَا بالثّنيَةِ سَلَّمَـــــــتْ

ونَازَعَنِي البَغْل اللَّعِين عِنَانِي

1. شرح المفصل، ابن يعش،ج2، ص:392-393
2. سورة آل عمران، الآية:113
3. سورة آل عمران، الآية،119
4. ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص:132
5. ديوانه،تح،فايز محمّد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص:362

فَوَ اللهِ مَا أَدْرِي، و إنّي لَحَاسِب

بِسَبْعٍ رَمَيْت الجَمْر أَمْ بِثَمَانِ

أراد: أبِسَبْعٍ[1].

و قد حذفت الهمزة في قوله تعالى:﴿ قَالواْ إِنَّ لَنَا لَأَجْراً اِن كنَّا نَحْن الْغَٰلِبِينَ ﴾[2] والتقدير: أ إن لنا لآجرًا؟ و قد صرّح بالهمزة في مواطن آخر: ﴿ قَالواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً اِن كنَّا نَحْن الْغَٰلِبِينَ ٤٠ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكم إذا لَّمِنَ اَلْمقَرَّبِينَ ٤١ ﴾[3]، و إذا قيل لم حذفت الهمزة في آية الأعراف، و ذكِرَتْ في آية الشعراء فالجواب هو أنَّ الموقفَ في سورة الشّعراء موقف تحدٍّ كبير و حاجة طويلة شديدة أشد و أطول ممّا هي في سورة الأعراف، فقد سأل فرعون موسى فيها عن ربّ العالمين و أجابه جوابًا طويلا، و ليس الأمر كذلك في سورة الأعراف[4].

ب–حذف الخافض:

و مثل هذا الضرب من الحذف قوله تعالى: ﴿ لِّلذِينَ يولونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبّص أَرْبَعَةِ أَشْهرٍ فَإِن فَاءو فَإِنَّ اَللَّهَ غَفورٌ رَّحِيمٌ ٢٢٤ وَإِنْ عَزَمواْ الطَّلَٰقَ فَإِنَّ اَللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[5] و الأصل: الأصل: إن عزموا على الطلاق، فنْزع الخافض دالٌّ على أقل ما يمكن من عزم الطلاق تنفيرا منه، لأنّ الطلاق أبغض الحلال إلى الله و لو قيل : عزموا على الطّلاق لدلّ التعبير على تأكيد عزمهم على

[1] ينظر: أسلوب الحذف على ضوء الدّراسات القرآنية و النّحوية، محمد وليد سيف الدّن حلاق، مجلة جامعة ذمار للدراسات و البحوث، العدد 12، ماي 2010، ص:299.

[2] سورة الأعراف، الآيتان:113-114

[3] سورة الشعراء، الآيتان:40-41

[4] ينظر: معاني النحو، السّامرائي، ج4،ص:611

[5] سورة البقرة،الآيتان:226-227

الطلاق وإصرارهم عَلَيْهِ، أمّا ما عليه التّعبير القرآني فليس فيه هذا التّأكيد و الإصرار الّذي يكون مع زيادة حرف الجرّ "على" لأنّ الآية لم تنفر من الطلاق بل أقل عزم عليه[1].

ج–حذف واو العطف:

تحذف واو العطف وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ صمٌّ بكْمٌ عمْيٌ﴾[2]، فالتقدير: صمّ و بكمٌ و عمي بدليل مجئ الواو في قوله تعالى: ﴿ صمٌّ وَبكْمٌ فِے اِلظّلمٰتِ ﴾[3]وحذف الواو يشير هنا إلى تلازم هذه الصّفات حتى لكأنّها شيء واحد أحاط بحواسهم فهم لا يسمعون لا يتكلمون لا يبصرون، و حذفت في قوله تعالى:﴿ ۞قَالَ رَجلٰنِ مِنَ اَلذِينَ يَخَافونَ أَنْعَمَ اَللَّه عَلَيْهِمَا اَدْخلواْ ﴾[4] و التقدير: و أنعم الله عليهما فحذفت الواو لتتوفر العناية على المعطوف.[5]

د–حذف حرف النداء:

قد جاء حذف حرف النداء في كتاب الله العزيز كثيرًا، و في مواضعَ مختلفة و منه قوله تعالى:﴿ قَالَ اَبْنَ أمَّ إنَّ اَلْقَوْمَ اَسْتَضْعَفونِے وَكَادواْ يَقْتلونَنِے ﴾[6] و التقدير: "يا ابن أمّ" و الحذف الحذف هنا للإيجاز، لأن المقام قد يكون مقام إيجاز لا مقام تبسّط و إطالة، و قد يكون حذفه لقرب المنادَى من المنادِي سواء كان القرب حقيقيا مادّيا أم معنويّا، فكأنّ المنادَى لقربه لا يحتاج إلى واسطة لندائه ولو كان حرفَ نداءٍ[7]، و ذلك نحو قوله تعالى: ﴿ رَحْمَت اللَّهِ وَبَرَكٰته عَلَيْكم أَهْلَ اَلْبَيْتِ﴾[8] أي: يا أهل البيت، و قوله:﴿ اِعْمَلواْ ءَالَ دَاودَ شكْراً ﴾[9].

---

[1] ينظر: من أسرار نزع الخافض في القرآن الكريم، يوسف بن عبد الله الأنصاري، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربيّة، ج13، ع28،شوال 1424، ص:732.

[2] سورة البقرة، الآية:18

[3] سورة الأنعام، الآية:39

[4] سورة المائدة، الآية:23

[5] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شّادي،ص:105-106

[6] سورة الأعراف، الآية:150

[7] ينظر: معاني النحو، السّامرائي،695-696

[8] سورة هود، الآية:73

[9] سورة سبأ، الآية: 13

و ممّا تقدم ذكر، تبيّن أن الحذف يزيد المعنى دقةً و جمالا، و له أسرارا دلاليّة لا يهتدي إليها إلاّ من أعمل عقله و نظر في السّياق، و هذه الأغراض التي وقف عليها النحاة و البلاغيون لم تفت البيضاوي، بل كانت إحدى أدواته المهمة في تفسيره لكلام الله.

د/ دلالة الحذف في تفسير البيضاوي:

1-حذف المفعول به:

من مواطن حذف المفعول به في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اَللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصٰرِهِمْ إِنَّ اَللَّهَ عَلَيٰ كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] يقول البيضاوي: "أي لو شاء الله أن يذهبَ بسمعهم بقصيف الرّعد و أبصارهم بوَميض البرق لذهب بهما، فحذِفَ المفعول لدلالة الجواب عليه، و لقد تكاثر حذفه في شاء و أراد حتّى لا يكاد يذكَر إلاّ في الشيء المستَغرب."[2]

و التّوجيه نفسه ذهب إليه الزمخشري في كشافه قائلا: " و مفعول شاء محذوفٌ، لأنّ الجواب يدلّ عليه، و المعنى: لو شاء أن يذهب بسمعهم و أبصارهم لذهب بها"[3].

و حذِفَ المفعول به في قوله تعالى: ﴿ يٰأَهْلَ اَلْكِتٰبِ قَدْ جَاءَكمْ رَسولنَا يبَيّن لَكمْ عَلَيٰ فَتْرَة مّنَ اَلرّسلِ أَن تَقولواْ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِير وَلَا نَذِير فَقَدْ جَاءَكم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّه عَلَيٰ كلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4] قال البيضاوي- رحمة الله عليه-:«" يا أهل الكتاب قد جاءكمْ رسولنَا يبَيّنَ لَكمْ" أي الدّين، و حذِف لظهوره، أو ما كتمتم، و حذف لتقدّم ذكره، و يجوز أن لا يقدّر مفعول على معنى يبذل لكم البيان، و الجملة في موضع الحال أي جاءكم رسولنا مبيّنا لَكمْ»[5]

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أمَّة مّنَ اَلنَّاسِ يَسْقونَ ٢٢ وَوَجَدَ مِن دونِهِم امْرَأَتَيْنِ تَذودٰنِّ قَالَ مَا خَطْبكمَآ قَالَتَا لَا نَسْقِے حَتَّيٰ يصْدِرَ اَلرّعَاء وَأَبونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[6]

---

[1] سورة البقرة، الآية: 20

[2] تفسير البيضاوي، ج1،ص:52

[3] الكشاف، الزمخشري، ج1،ص:208

[4] سورة المائدة، الآية:19

[5] تفسير البيضاوي، ج2،ص: 121

[6] سورة القصص، الآية:22-23

يقول البيضاوي في تفسيره هذه الآية: «" أمة من الناس" جماعة كثيرة مختلفين، "يسقون" مواشيهم " و وجَدَ من دونهم" في مكان أسفل من مكانهم، " امرأتين تَذودان" تَمْنعان أغْنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنامهم. " قال ما خطبكما" ما شأنكما تذودان، " قالتا لا نسقي حتّى يصدر الرّعاء" تصرّف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرًا عن مزاحمة الرّجال، و حذف المفعول لأنّ الغرضَ هو بيان ما يدلّ على عفتهما، و يدعو إلى السّقي لهما ثمّ دونه»[1] و يقول القرطبي: " فحذف المفعول، إمّا إيهاما على المخاطب، و إمَّا اِستغْناءً بعلمه"[2].

و من هذا الحذف أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكم مّوسىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ اَتَّخَذتّم الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِۦ وَأَنتمْ ظَٰلِمونَ﴾[3] يقول البيضاوي- رحمه الله-:" ثمَّ اتخذتمْ العجل" أي إلَهًا" "من بعده" من بعد مجئ موسى، أو ذهابه إلى الطّور، "و أنتم ظالمون" حال، بمعنى اتخذتم العجلَ ظالمين بعبادته، أو بالإخلال بآيات الله تعالى"[4].

فيفهم من كلام البيضاوي أن المفعول حذِفَ تحقيرًا لشأنه، و هذا ما ذهب إليه ابن عاشور في تفسيره حيث يقول: " و حذِفَ المفعول الثاني ل" اتخذتم" لظهوره و علمهم به و لشناعة ذكره وتقديره معبودًا أو إلها."[5]

2- حذف المضاف و المضاف إليه:

أ-حذف المضاف:

و منه قوله تعالى: ﴿ أوْلَٰئِكَ يَدْعونَ إِلَي اَلنّارِ وَاللَّه يَدْعواْ إِلَي اَلْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيبَيّن ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهمْ يَتَذَكَّرونَ﴾[6] يقول البيضاوي-رحمة الله-: «" أولائك" إشارة إلى

---

[1] تفسير البيضاوي، ج4،ص:175

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ح16، ص257

[3] سورة البقرة، الآية:92

[4] تفسير البيضاويّ، ج1،ص:94

[5] التحرير و التنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للتوزيع و النّشر، تونس،ط1، 1984،ج1،ص499

[6] سورة البقرة، الآية:221

المذكورين من المشركين و المشركات، يدعون إلى النّار" أي الكفر المؤدّي إلى النّار فلا يليق موالاتهم و مصاهرتهم، و"الله" أي و أولياؤه، يعني المؤمنين، حذِفَ المضاف و أقام إليه مقامه تفخيمًا لشأنهم[1].

و يحذف المضاف دلالةً على المبالغة و الشدّة في المعنى، و ذلك في قوله تعالى: «ثمَّ قَسَتْ قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قَسْوَةً و إنَّ أو أنها مثلها، أو مثل ما هو أشدّ منها قسوةً كالحديد، فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه، و إنّما لم يقل أقسى لما في " أشد" من المبالغة، و الدّلالة على اِشتداد القسوتين[2].

ب–حذف المضاف إليه:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ اَلاَسْمَاءَ كلَّهَا ثمَّ عَرَضَهمْ عَلَي اَلْمَلَٰئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئونِے بِأَسْمَاءِ هَٰؤلَاءِ ان كنتمْ صٰدِقِينَ﴾ [3] يقول البيضاوي أن الضّمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا إذ التّقدير أسماء المسمّيات، فحذف المضاف إليه و عوض عنه اللاّم كقوله تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ اَلرَّأْس شَيْبا ﴾[4] لأنّ العرض للسّؤال عن أسماء المعروضات، فلا يكون المعروض نفس الأشياء سيّما إن أريد به الألفاظ، و المرَاد به ذَوَات الأشياء، أو مدلولات الألفاظ[5].

3–حذف الفعل و متعلقه:

أ–حذف الفعل:

و من أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيٰ موسيٰ إِذِ اِسْتَسْقيٰه قَوْمه أَنِ اِضْرِب بِّعَصَاكَ اَلْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْه اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾[6] يقول البيضاوي–رحمه الله– «"أن اِضرب بعَصَاك الحجرَ الحجرَ فانبجست" أي فضرب فانبَجَسَتْ منه و حذفه للإيماء على أن موسى عليه الصلاة و

---

[1] تفسير البيضاوي، ج1،ص:139

[2] ينظر: تفسير البيضاوي، ج1،ص:88

[3] سورة البقرة،الآية:31

[4] سورة مريم، الآية:4

[5] ينظر: تفسير البيضاوي، ج1، ص:69

[6] سورة الأعراف، الآية 160

السّلام- لم يتوقف في الامتثال، و أن ضربه لم يكن مؤثرًا يتوقف عليه الفعل في ذاته» [1] و منه أيضا قوله تعالى:﴿فَإِذَا لَقِيتم الذِينَ كَفَرواْ فَضَرْبَ اَلرِّقَابِ ﴾[2] يقول البيضاوي: «" فضرْبَ الرّقابِ" أصله فاضربوا الرّقاب ضربًا فحذف الفعل و قدّم المصدر، و أنيب منابَه مضافًا إلى المفعول ضمًّا إلى التّأكيد والاختصار و التّعبير به عن القتل إشعارًا بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرّقاب حيث أمكن، و تصويره له بأشنع صورة»[3].

و يقول البيضاوي في كلامه عن البسملة أنّ الباء متعلقه بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لأن الّذي يتلوه مقروء، و المعنى متبركا باسم الله تعالى أقرأ[4].

ب-حذف متعلق الفعل:

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتونَكَ قلِ اِللَّه يفْتِيكمْ فِے اِلْكَلَٰلَةِ ﴾[5] قال البيضاوي رحمه الله: «يستفْتونك" أي في الكلالة، حذفت لدلالة الجواب عليه.»[6]

4- حذف المبتدأ أو الخبر:

من قوله تعالى:﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثمَّ مَأْوٰيهمْ جَهَنَّمُ وَبِيسَ اَلْمِهَادُ﴾[7] يقول البيضاوي- رحمه الله- « "متاعٌ قليلٌ" خبر مبتدأ محذوف، أي ذلك التقلّب متاع قليل لقصر مدّته في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين»[8] وحذف الخبر في قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُ بَيِّنَٰتُ مَّقَام إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَه كَانَ ءَامِناً وَلِلهِ

[1] تفسير البيضاوي، ج3،ص:39

[2] سورة محمد،الآية:4

[3] تفسير البيضاوي،51،ص:112

[4] ينظرالمصدر نفسه، ج1،ص:25

[5] :سورة النساء، الآية :176

[6] تفسير البيضاوي،ج2،ص:112

[7] سورة آل عمران، الآية:197

[8] تفسير البيضاوي،ج2:ص56

عَلَي اَلنَّاسِ حَجّ الْبَيْتِ مَنِ اِسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اَللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ اِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] فمقام إبراهيم محذوف خبره، أي منها مقام ابراهيم[2].

5-حذف المعطوف:

و منه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّه جَعَلَ لَكم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلا وَجَعَلَ لَكم مِّنَ اَلْجِبَالِ أَكْنَٰنا وَجَعَلَ لَكمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكم الْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكم بَأْسَكمْ كَذَٰلِكَ يتِمّ نِعْمَتَه عَلَيْكمْ لَعَلَّكمْ تسْلِمونَ ٨١﴾[3] يقول يقول البيضاوي-رحمه الله-«" تقيكم الحَرَّ" خصّه بالذكر اكتفاء بأحد الضدّين أو لأنَّ وقايةَ الحرّ كانت أهمّ عندهم»[4] فحذف المعطوف لتتوفَر العناية على المذكور و هو الحرّ.

6-حذف جواب لو:

بقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرىٰ إِذْ يَتَوَفَّي اَلذِينَ كَفَرواْ الْمَلَٰئِكَة يَضْرِبونَ وجوهَهمْ وَأَدْبَٰرَهمْ وَذوقواْ عَذَابَ اَلْحَرِيقِ﴾[5] يقول البيضاوي –رحمه الله- «" وذوقوا عذاب الحريق" عطف على يضربونَ بإضمار القول أي و يقول ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة، و قيل كانت معهم مقامع من حديد، كلما ضَرَبوا التهبت النّار منها، و جواب لو محذوف لتقطيع الأمر و تمويله» [6] إذ التقدير لو ترى لرأيت أمرا مهولاً.

7-حذف جواب الشرط:

و منه قوله تعالى: ﴿ قلْ مَن كَانَ عَدوّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّه نَزَّلَه عَلَيٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اِللَّهِ مصَدِّقا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهدي وَبشْرىٰ لِلْمومِنِينَ ﴾[7] يقول البيضاوي-رحِمَه الله- « و الظَّاهِر أنَّ جَوَابَ الشَّرْط " " فَإِنَّه نَزَّلَه" و المعْنَى مَنْ عَادَى مِنْهمْ جِبْرِيلَ فَقَدْ خلِعَ ربقه الإنصاف، أو كَفَرَ بِمَا مَعَه مِنَ الكِتَاب

---

[1] سورة آل عمران، الآية:97

[2] ينظر: تفسير البيضاوي، ج2،ص:30

[3] سورة النحل،الآية:81

[4] تفسير البيضاوي، ج3،ص37

[5] سورة الأنفال،الآية،50

[6] تفسير البيضاوي،ج3،ص:64

[7] سورة البقرة، الآية:97

بمعادَاته إيّاه لنزوله عليك بالوحي، لأنّه نَزَلَ كِتَابًا مصدّقًا للكتب المتقدّمة، فحذف الجَوَاب و أقِيمَ عِلَّتَه مقامَهَ».

8-حذف الخافض:

يقول الله تعالى: ﴿ ۞وَإِذْ قلْنَا لِلْمَلَٰئِكَةِ اِسْجدواْ لِأدَمَ فَسَجَدواْ إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَاسْجد لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ٦١﴾[1] يقول البيضاويّ:« لِمَنْ خَلَقْتَه مِنْ طِينٍ، فَنصِبَ بِنَزْعِ الخَافِضِ، ويجوز أنْ يكون حالاً مِنْ الرّاجِعِ إلَى المَوْصولِ أَيْ خَلَقْتَه و هوَ طِينٌ، أَوْ مِنْه أَيْ أَ أَسْجد له و أصْله طِينٌ، و فِيهِ عَلَى الوجوهِ الثَّلاَثَةِ إيمَاءٌ بِعِلَّةِ الإِنْكارِ»[2]

و ما يمكن اِستخلاصه ممّا سبق، أن صوَرَ الحذف في تفسير البيضاوي قد تنوعت من حذف المفرد و حذف الجملة و حذف الحرف، كما كانت للحذف- عنده- في القرآن الكريم أسرار بلاغيّة بديعة، و أسباب دلالية جليلة ، أوفاها البيضاوي حقَّهاَ، و أثْرَاهَا شَرحًا و تَفْصيلاً مؤَكدًّا – بذلك- أنّ ما من شيء حذف في كتاب الله إلاّ و حذفه أبْلَغ.

[1] سورة الإسراء، الآية:61

[2] تفسير البيضاوي، ج3،ص:261

الفصل الثالث : دلالة بعض الظّواهر النّحويّة في تفسير البيضاوي

أوّلا: التّعريف

أ-مفهومه

ب-أقسامه

ج-أغراضه البلاغيّة

د-دلالة التّعريف في تفسير البيضاويّ

ثانيا: التّنكير

أ-مفهومه

ب-مسوغات الإبتداء بالنّكرة

ج-دلالات التّنكير عند النّحويين و البلاغيين

د-دلالة التّنكير في تفسير البيضاويّ

ثالثا:الإعتراض

أ-مفهومه

ب-أسبابه الدّلاليّة

ج-دلالة الإعتراض في تفسير البيضاويّ

دلالة التعريف و التّنكير في تفسير البيضاوي:

فإذا كان لكلٍّ من التّقديم و التأخير و الحذف مقاصده البلاغيّة فللتّعريف و التّنكير وظيفتهما الدّلاليّة، الّتي تكشف عن بعض جوانب الإعجاز البيانيّ في القرآن، فمفهوم الكلمة في التّعريف يختلف عن مفهومها في التّنكير، و منه كانت قضية التّعريف و التّنكير من أهمّ القضايا الّتي لَقِيَتِ اِهتمامًا واسعًا من قِبَلِ النحويين و البلاغيين و المفسّرين.

أوّلاً: التّعريف:

أ-مفهومه:

تكاد تكون تعاريف و حدود التّعريف متقاربةً، فهو عند الجرجاني: « عبارةٌ عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفةَ شيء آخر» [1]، و عندَ الأنباريّ «ماخصّ الوَاحِدَ مِنْ جِنْسِهِ» [2] و عند الرّمانيّ: «الاِسم المختصّ بشيء دون غيره» [3]. فَالتَّعْرِيف إذن هو «اسمٌ يدلّ على شيء بعينه، لأنه متميّزٌ بأوصاف و علامات لا يشاركه فيها فردٌ من نوعه»[4].

ب-أقسامه:

للتَّعْرِيفِ أقسامٌ قد وقف عليها النحويّون و هي الآتي:

1-التّعريف بالإضمار:

يعَرف المسند إليه بالإضمار، و له أنواع ثلاثة، تكلّم، خطاب [5]، غيبة، ففي مقام التكلّم قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْن نحْيِۦ وَنمِيت وَنَحْن الْوَٰرِثونَ ٢٣﴾[6]، و مِثالة في مقام الخطاب قوله تعالى: ﴿ءَانتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔـٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيم ٦٢﴾[7] ، و قد يخاطب الجمع كما جاءَ في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتم مَّا

---

[1]:التعريفات. الشريف الجرجاني،ص:56

[2] : كتاب أسرار العربيّة، الأنباري، تح: محمّد بهجة البيطار، مطبعة الترقي بدمشق، سوريا، ط 1 ،1957 ، ص:341

[3]:رسالة الحدود، الرّماني،تح: ابراهيم السّامرائي، دار الفكر،عمان، الأردن،ط1 1982،ص:68

[4]:النّحو الوافي، عباس حسين، دار المعرف، القاهرة، مصر،ط15،دت، ص:33

[5] :ينظر: علم المعاني دراسة تحليل، كريمة محمود أبو زيد، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1988،1،ص:74

[6] سورة الحجر، الآية:23

[7] سورة الأنبياء،الآية:62

تمْنونَ ٥٨ ءَانتمْ تَخْلقونَه أَمْ نَحْن الْخَٰلِقونَ ٥٩﴾[1] و من أمثلة التّعريف بالضّمير الغائب قوله تعالى:﴿ بَلىٰ مَنَ أَسْلَمَ وَجْهَه لِلهِ وَهوَ محْسِن فَلَه أَجْره عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هِمْ يَحْزَنونَ﴾[2]

2-العَلَم:

العَلم اِسمٌ يدل على معيّن بحسب وضعه بلا قرينه، أو هو ما وضع لمسمى معيّن من دون الحاجة إلى قرينة كأحمد و سعاد، و العلم أحد المعارف الهامّة التي توقفت عندها كتب اللّغة والبلاغة، و حين اِسْتكشَفَتْ أسرارَه الكَامِنَة فيه وجدت أنه يكون مفردًا مثل محمّد و سعاد، و مرَكَّبًا تَركيبيًا إضافيّا نحو " عبد الله" أو مَزْجِيًّا نحو "سيبويه"، أو إسناديّا نحو " جاء الحقّ"، و يسمّى به الأشخاص و الدّول و البلاد و القبائل و الأنهار و الجبال[3]....

و لقد قسم اللّغويون علمَ الأشخاص إلى ثلاثة: الِاسم و الكنية و اللّقب، فالاِسم عمر وخالد و عبد الله، و الكنية هي ما صدِّر بأبٍ، أو أمٍّ، أو أخ أو أخت، نحو أبي عبد الله، و أمّ مازن[4]، و اللّقب ما أشعرَنَا برفعةٍ و عظمة كالرّشيد و الأمين، أو بذمّ و انحطاط نحو الجاحظ[5].

اِسم الإشارة:

هي الأسماء الّتي يشار بها إلى المسمّى، و فيها من أجل ذلك معنى الفعل، و هي ضربٌ من المبهم، و مَعْنَى الإشارة الإيماء إلى حاضر بِجَارحة، أو ما يقوم مقام الجارحة، فَتَعَرَّف بذلك، فتعريف الإشارة أن تخصِّص للمخاطب شخصًا يعرفه بحاسة البصر، و سائر المعارف هو أن تختصَّ شخصًا يَعرفه المخاطب بقلبه[6].

---

[1] سورة الواقعة، الآية،58-59

[2] سورة البقرة، الآية:112

[3] ينظر: في جماليات الكلمة "دراسة بلاغية فنّية، حسين جمعة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،ط1، 2002، ص:129

[4] ينظر : معاني النحو، ج1،ص:66

[5] ينظر: جماليات الكلمة" دراسة جمالية بلاغيّة فنيّة"، حسين جمعة، ص:129

[6] ينظر: شرح المفصَّل، اِبن يعيش،ج3،ص:126

و قد أطلق عليها سيبويه لفظ " الأسماء المبهة"في قوله: « و أمّا الأسماء المبهمة فنحو " هذا " أو "هَذه"، و هذان و هاتان، و هؤلاء و ذلك و تلك، و ذانك و تانك، و أولئك، و ما أشبَه ذلك، و إنما صارت معرفَةً، لأنّها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته».[1]

4-الإسم الموصول:

قال ابن يعيش في مبحث الموصولات: «الموصول ما لا يتمّ حتّى تصلَه بكلام بعده تامّ، فيصِير مع ذلك الكلام اِسمًا تامّا بإزاءِ مسمّى، فإذا قلت جاءني الرّجل الّذي قَام فالّذي و ما بعده في موضع صفة الرّجل بمعنى القائم، و إذا قلت: جاءني من قام، فمن و ما بعده في موضعِ اِسمٍ معروفٍ غير صفة، فمنزلة الّذي و نحوه من الموصولات وحده منزلة حرفٍ من الكلمة، من حيث كان لا يفهم معناه إلا بضمّ ما بعد إليه فَصَارَ لذلك من مقدّماته، ولذلك كان الموصول مبنيًّا، فالموصول وحده اِسمٌ ناقصٌ أي ناقص الدّلالة» [2] لا يتمّ معناه إلا بصلته، و من الموصولات: الّذي، الّتي، اللّذان، اللّتان، اللاتي، اللّواتي، ما، و من.

5-المعرّف ب "ال"

يقول صاحب الكتاب: «و أمّا الألف و اللاّم فنحو الرّجل و الفرس و البعير و ما أشبه ذلك، و إنّما صارت معرفةً لأنّك أردتَ بالألف و اللاّم الشيء بعينه دن سائر أمّته».[3]

-ال العهديّة: تفِيد "ال" العهديّة الحقيقةَ،و تعيّن مفهوم اللّفظ بدّقة، و هي أخصّ من الجنسيّة، فالمعهود ب"ال" قد يكون مذكورًا في الجملة، كما في قوله تعالى:﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسولا ١٥ فَعَصىٰ فِرْعَوْن الرَّسولَ﴾ [4] وقد يكون وصفًا لكلام سابق له كقوله تعالى:﴿ ۞جَعَلَ اَللَّه الْكَعْبَةَ اَلْبَيْتَ اَلْحَرَامَ قِيٰما لِّلنَّاسِ﴾ [5]، و قد لا تكون القرينة اللّفظية في الجملة، و لكنّ المعنى المعهودَ بالذهن

[1] الكتاب، سيبويه، ج2،ص:5

[2] شرح المفصل، ابن يعيش، ج3،ص:150

[3] الكتاب: سيبويه، ج2،ص:5

[4] سورة المزمل، الآية:15-16

[5] سورة المائدة، الآية:97

قد تغيَّر مع دخول ال عليه، فالمعهود الذّهني في لفظ " الكتاب" عند المشركين لغير القرآن الكريم، و لما دخلت عليه "ال" في قوله تعالى:﴿ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1]، فهو لكتاب غير الّذي عهدوه.

-ال الجنسيّة: تدخل على المفرد و الجمع لتفيد معنى ما ، على الحقيقة أو المجاز، و لهذا فإنّه يقع موقعه لفظ " كلّ"، و تفيد الإحاطة و الشّمولَ، فهي لاستغراق الألفاظ في قوله تعالى:﴿ وَخلِقَ الإنسٰن ضَعِيفا ٢٨ ﴾[2] فيصحّ أن نقول كلّ إنسان.

ال الموصوليّة:هي الدّاخلة على اِسم الفاعل أو اِسم المفعول، بشرط ألا يراد بها العهد أو الجنس، وتكون بلفظ واحدٍ للمفرد و المثنى و الجمع، و المذكر و المؤنث، كقولك: أَكرِمْ المحمودَ خلقه، أو الّذي حمد خَلْقه.

6- المضَاف إلى المعرِفة:

المضاف إلى المعرفة فَنَحْو قولك: « هذا أخوك، و مررت بأبِيك، و ما أشبه ذلك، و إنّما صَارَ معرفةً بالكاف الّتي أضيف إليها، لأنّ الكاف يراد به الشيء بعينه دون سائر أمّته»[3].

ج- الأغراض البلاغيّة للتّعريف:

تنوعت الأغراض البلاغية و المقاصد الدلالة للاسم المعرّف، و منها ما يأتي:

-الفخْر و الاعتداد بالنفس: و منه قول بشار بن برد[4]

أَنَا المرَعَّث لا أخْفَى عَلَى أحَدٍ

ذَرَّتْ بِي الشَّمْس للقاصِي و الدَّانِي

و المرعث: المقرط، و كان بشار يلقب بالمرعث لرعثة كانت له في صِغَرِه، و هو كناية عن شهرته، فجاء المسند إليه معرّفا بضمير المتكلم و فيه فَخْرٌ و اِعتدادٌ بالنّفسِ[5].

---

[1] سورة البقرة، الآية:2

[2] سورة النساء، الآية:28

[3] الكتاب، سيبويه، ج2،ص:5

[4] ديوان بشار بن بر، شرح و تكميل: محمّد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة،مصر، ج4،ط،1966،ص:215

[5] ينظر: علم المعاني دراسة و تحليل، كريمة محمود آبو زيد، ص:75

-المبالغة:

و منه قوله تعالى:﴿ ألا إِنَّهُمْ هم السّفَهَاء وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمونَ﴾ [1] و قوله تعالى:﴿أَلَا إِنَّهُمْ هم الْمفْسِدونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعرونَ ﴾[2]، فمن المعلوم أنّ هناك مفسدين آخرين، و هناك سفهاء آخرين، و لكنّه قصر الإفساد و السفه على المنافقين مبالغةً على معنى أنّهم أولى من يسمّى بهذا الاسم، أو على أنّهم كاملون في هاتين الصّفتين[3] و ضمير الفصل " هم" هو الّذي أضفى على المعنى دلالة المبالغة.

-التخصيص:

يؤتى بالمسند إليه معرفًا بالعلميّة لإحضاره بعينه في ذهن السّامع، ابتداء باسم مختصّ به، كقوله تعالى:﴿ اللَّه الذِ ے خَلَقَ اَلسَّمٰوٰتِ والأرض وَأَنزَلَ مِنَ اَلسَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ ۦ مِنَ اَلثَّمَرٰتِ رِزْقا لَّكمْ وَسَخَّرَ لَكم الْفلْكَ لِتَجْرِيَ فِ ے اِلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكم اَلانْهٰرَ﴾[4] فذكر لفظ الجلالة، لأنّه وحده سبحانه و تعالى القادر على كل شيء، و الخالق لكلّ شيء[5].

-التشويق:

و قد يؤتى بالضّمِير لتمكين ما بعده من نفس السّامع لتشويقه إليه، و منه قوله تعالى:﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَي اَلأَبْصٰر ﴾ [6]، فالمعنى أنّ أبْصَارَهمْ صحيحةٌ سالمةٌ لا عَمَى بها، فالضَّمِير مبْهَمٌ فسِّرَ بالأبصَار، فلمّا أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العَمَى إلى القلوب حقيقة، و نفيه عن الأبصار، اِحتاج هذا التّصوير إلى زيادة تعيين و تعريف ليتقرّرَ أنَّ مكان العمى هو القلوب لا الأبصار[7].

---

[1] سورة البقرة، الآية:13

[2] سورة البقرة، الآية:12

[3] ينظر:معاني النحو،ج1،ص:50

[4] سورة ابراهيم، الآية:32

[5] ينظر: معاني دراسة و تحليل، كريمة محمود أبو زيد، ص:75

[6] سورة الحجّ، الآية:46

[7] ينظر:في جماليات الكلمة،دراسة جمالية بلاغية نقديّة، حسين جمعة،ص:128

-زيادة التّقرير:

قد يؤتي بالمعرّف بالموصوليّة لغرض زيادة التّقرير، و منه قوله تعالى:﴿ ۞وَرَٰوَدَتْه التِ ے هوَفِ ے بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[1]، و الغَرَضَ المسوق له الكلام نزاهة يوسف- عليه السّلام- و إبعاده عن تهمة الفحشاء، و مَا ذكر في صلة الموصول" الّتي هوَ في بَيْتِها" أشدّ تحقيقا و تقريرًا لتلك النّزاهة ممّا لو قيل: " وَرَاوَدَتْه اِمْرَأة العزيز"، لأنّ اِمتناع يوسف –عليه السّلام- عن الفحشاء، و هو في بيتها، ومتمكّنًا و آمنا معها، يدلّ دلالةً و اضحةً على نزاهة يوسف عليه السّلام[2].

التّعظيم:

قد يكون تعظيم المشار إليه بلفظ القريب و البعيد، فالقريب يراد به استحضار عظمة المشار إليه أمام القلوب و العيون، و منه قوله تعالى﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ اِلْعَٰمِلونَ ٦١﴾[3]، و البعيد يراد به بعد منزلة المشار إليه، و ارتفاع مكانته [4]، نحو قوله تعالى:﴿ أَوْلَٰئِكَ عَلَىٰ هدي مِّن رَّبِّهِمْ وَأَوْلَٰئِكَ هم الْمفْلِحونَ ۖ ﴾[5].

كما أفاد اِسم الإشارة التّعظيم، فإنّه يفيد أيضا معنى التّحقير و منه قوله تعالى:﴿ وَمَا هَٰذِهِ اِلْحَيَوٰة الدّنْيا إِلَّا لَهْو وَلَعِب﴾[6]، فقد جئ باسم الإشارة "هذا" تحقيرًا للدّنيا ولشأنها، لدلالة قوله تعالى:﴿وَمَا تعالى:﴿وَمَا اَلْحَيَوٰة الدّنْيا إِلَّا لَعِب وَلَهْو وَلَلدَّار الآخرة خَيْر لِّلذِينَ يَتَّقونَ أَفَلَا تَعْقِلونَ﴾[7].

---

[1] سورة يوسف، الآية:23

[2] ينظر: من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ص:145

[3] سورة الصّافات، الآية:61

[4] ينظر: معاني النحو، السّامرائي،ج1،ص:83

[5] سورة البقرة، الآية:05

[6] سورة العنكبوت، سورة: 64

[7] سورة الأنعام، الآية:32

د/ دلالة التعريف في تفسير البيضاوي:

قد وقف البيضاويّ على أغراض التعريف البلاغيّة الّتي تستفاد من السّياق:

-التّعظيم و التّشريف:

و منه قوله تعالى:﴿ مَلِكِ يَوْمِ اِلدِّينِ ﴾[1]، يقول البيضاويّ :« " الدّين" الشّريعة، و قيل الطّاعة ، و معنى يوم جزاء الدّين، و تخصيص اليوم بالإضافة: إمّا لتعظيمه، أو لتفرّده- بنفوذ الآمر فيه»[2].

و مثالة أيضا قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا أمِرْت أَنَ اَعْبدَ رَبَّ هَٰذِهِ اِلْبَلْدَةِ اِلذِ ے حَرَّمَهَا وَلَه كلّ شَ ے وَأمِرْت أَنَ أكون مِنَ اَلْمسْلِمِينَ ﴾ [3] يقول البيضاوي: «" إنّما أمِرْت أَنْ أَعْبدَ ربّ هَذِهِ البَلْدَة الّذي حَرَّمَهَا"، أَمَرَ الرَّسول بأن يقوم لَهمْ ذلك بعدما بيَّن المبدأ و المعَادَ، و شَرَحَ أَحْوَالَ القيَامَةَ، إشْعَارًا بأنَّه قد أَتَمَّ الدَّعْوَةَ، و قد كملت ، و ما عليه بعد إلا الإشتغال بشأنه، و الاستغراق في عبادة ربّه، و تخصيص مكّة بهذه الإضافة تَشْريفٌ لها و تعظيمٌ لشأنِهَا»[4].

التّحقير:

يسْتفاد من التّعريف معنى التّحقير، كما في قوله تعالى:﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِ ے لَهَب وَتَبَّ﴾[5]، يقول يقول البيضاويّ:« و إنّما كنّاه، و التَّكْنِيَة تكرِمَة لإشهاره بكنيتها، لأنَّ اِسمَه عبد العزى ،فاستكْرَه ذكره ،

و لأنّه لما كان من أصحاب النّار، كانت الكنية أوفَقَ بحَالِه» [6]، أداة التّعريف هنا العلميّة، و نَوْعه الكنية في قوله(أبي لهب)، فاسمه عبد العزى بن عبد المطلب ، و إنّما أتى بالكنية تحقيرًا له و لشأنه.

كما أفاد التعريف بالإشارة التّحقير أيضا في قوله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذونَكَ إِلَّا هزواً اَهَٰذَا اَلذِے بَعَثَ اَللَّه رَسولاً ﴾ [1]، يقول البيضاوي: «" أهَذَا الَّذي بَعَثَ اللَّه رَسولاً " مَحْكِيٌّ بَعْدَ قولٍ

---

[1] سورة الفاتحة،الآية:4

[2] تفسير البيضاوي، ج1،ص:28

[3] سورة النمل،الآية:91

[4] تفسير البيضاوي، ج4،ص:169

[5] سورة المسد،الآية:1

[6] تفسير البيضاوي، ج5،ص:345

مضْمَرٍ، و الإشارَة للاِسْتِحْقَارِ، و إخْراج بعث الله رسولا في معرض التّسليم يَجعل صِلة، و هـمْ على غاية الإنْكَار تَهَكّم و اِستهزاء، و لولاه لقالوا: أهذا الّذي زعم أنّه بعثه الله رسولا»[2].

التّنويه و التّنبيه:

ففي قوله تعالى:﴿ وَإِن كنتمْ فِ ے رَيْب مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَيٰ عَبْدِنَا﴾ [3] أَضاف العَبْدَ إلى نَفْسِهِ تعالى تَنْوِيهًا بذكْرِه، و تَنبيهًا على أنّه مختصّ به، منْقادٌ لحكْمِهِ تعالى [4]. و منه قوله تعالى:﴿وَ أَوْلَٰئِكَ هم الْمفْلِحونَ ﴾[5] فاسم الإشارة جاء فيه تنبيهًا على اِتّصافهم بتلك الصّفات يقتضي كل واحدة مِن الاثنتين، و إنَّ كلاًّ منهم كاف في تمييزهم بها عن غيرهم[6].

المبالغَة:

قد أفاد التعريف ب"ال" المبالغَةَ، و ذلك في قوله تعالى:﴿ يٰأَيّهَا اَلنَّاس أَنتم الْفقَرَاء إلي اَللَّهِ وَاللَّه هوَ اَلْغَنِيّ الْحَمِيد﴾[7] ، يقول البيضاوي –رحمه الله–: «" يا أيّهَا النَّاس أنتم الفقراء إلى الله" في أنفسكم و ما يعن لكم، و تعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم، كأنّهم لشدّة اِفتقارهم و كثرة اِحتياجهم هم الفقراء"»[8].

و منه قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهم ءَامِنواْ كَمَا ءَامَنَ اَلنَّاس قَالواْ أَنومِن كَمَا ءَامَنَ اَلسّفَهَاء ألا إِنَّهمْ هم السّفَهَاء وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمونَ ﴾[9]، فيقول البيضاوي: «" ألا إنّهمْ هم السّفهَاء و لكن لا يعلمون"، ردٌّ و مبالغةٌ في تجهيلهم، فإنّ الجاهل بِجَهْلِهِ الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة، و أتمّ جهالة من الموقف المعترف بجهله»

---

[1] سورة الفرقان، الآية:41

[2] تفسير البيضاوي، ج4،ص:125

[3] سورة البقرة، الآية:23

[4] ينظر تفسير البيضاوي، ج1،ص:57

[5] سورة البقرة،الآية:05

[6] ينظر: تفسير البيضاوي،ج1،ص:40

[7] سورة فاطر، الآية:15

[8] تفسير البيضاوي،ج4،ص:256

[9] سورة البقرة، الآية:13

المشاركة:

من النكت البلاغيّة الّتي يفيدها التّعريف لدى البيضاوي المشاركة ، كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقوا الذِينَ ءَامَنواْ قَالواْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَواْ اِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالواْ إِنَّا مَعَكم إِنَّمَا نَحْن مسْتَهْزِءونَ﴾ [1] إذ المقصود بشياطينهم الّذين ماثلوا الشيطان في تمرّدهم، و هم المظهرون لكفرهم، و إضافتهم إليهم للمشاركة في الكفر[2]. فقدْ شارك هؤلاء الكفار الشياطين في أعمالهم و خبثهم.

الاستعطاف:

من الأغرَاض الدلاليّة للتّعريف " الاِستعْطاف" و ذلك في قوله تعالى:﴿ لَا تكَلَّف نَفْسٌ إلا وسْعَهَا لَا تضَارَّ وَٰلِدَة بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلود لَّه بِوَلَدِهِۦ وَعَلَي اَلْوَارِثِ مِثْل ذَٰلِكَ ﴾[3]، يقول البيضاوي –رحمه رحمه الله– «وَ إضافة الوَلد إليها تارّة و إليه أخرى اِستعطاف لهما عليه و تنبيهٌ على أنّه حقيق بأن يتفقا على اِستصلاحه، و الإشفاق فلا ينبغي أن يضرّا به، أو أن يتضارّا بسببه» ، فقد عرّف الوالد بالإضافة إلى أمّه، ثم إلى أبيه.

و من الاِستعطاف قوله أيضا:﴿ إذ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰأَبَتِ لِمَ تَعْبد مَا لَا يَسْمَع وَلَا يبْصِر وَلَا يغْنِ ے عَنكَ شَيْـًٔا ٤٢﴾[4] ،فالتّاء في " أبَتِ" معوّضة من ياء الإضافة، و لذلك لا يقال يا أبتِي، و يقال: يا أبتا، و إنّما تذْكَر للاِستعطاف[5]، فالتّاء عوضٌ عن ياء بالإضافة، و لا يجمع بينهما، و قد كان آزر آزر يعبد الأصنام الّتي لا ترى و لا تسمع و لا تدفع عنه ضرًا، فكان إبراهيم عليه السّلام– يستعطف أباه، و يدعوه إلى الكفّ عن عبادتها.

و منه تبيَّنَ أنّ البيضاويّ فَطِنَ إلى النّكت البلاغيّة للتّعريف، –فنجده في مرّاتٍ كثيرة– نحويًّا بلاغيّا، و يستقصي الكلماتِ المعرّفةَ، و ما لها من أسباب دلاليّة.

---

[1] سورة البقرة، الآية:14

[2] يُنظر: تفسير البيضاوي، ج1،ص:47

[3] سورة البقرة، الآية:233

[4] سورة مريم، الآية:42

[5] ينظر: تفسير البيضاوي،ج4،ص:10

ثانيا: التّنكير:

ممّا لا يشوبه أدنى شكٍّ، أو موضوعَ التّنكير من القضايا الهامّة في البلاغة، فَهوَ صورَةٌ مِنْ صُوَر المفردة العربيّة، وَ جَمَالِيَةٌ مِنْ جَمَالياتها، فَهوَ يَقَع لِدَوَاعٍ دلاَلِيَّة سَاميّة، و لفوائدَ بلاغيةٍ عاليّة، اِهتمّ به الكثير من الدّارسين من نحويين و بلاغيين و مفسرين، و أسهبوا فيه أيما إسهاب، و جعلوه بَحْثًا من بحوثهم الأصيلة، و إن كان للتّعريف أدوات يعرف بها، فإن اللّفظ المنكّرَ مطلق متحرّر من قيود التّعريف، لاَ يفْهَم منه أمْرٌ معيّنٌ، و هَذا هو الفارق الأساس بينه و بين التعريف.

أ–مفهومه :

لا تخرج تعريفات النّحاة للتّنكير عن معنى " الشّيوع و العموم" فهو عند ابن السّراج كلّ اِسمٍ عمَّ اِثنين فما زاد فهوَ نكرةٌ، و إنَّما سمي نكرةً من أجل أنّك لا تعرف به واحدًا بِعينِهِ إذا ذكرَ[1]»

و النّكرة عنده قسمان: أحدهما أن يكون الاسم في أوّل أحواله نَكِرَةً مثل: رجل و فرسٌ و ما أشبَه ذلك، و ثانيهما أن يكون الاِسم صار نكرةَ بعد أن كان معرفةً، فإن سمي باسم آخرَ لم نعلم إذا قال القائل: رأيت عمرًا أيّ العمرين هم[2].

و مفهومه عند الشريف الجرجاني:«كلّ ما وضع لشيء لا بعينه، كرجلٍ و فرس» [3]، و قد حكم الأنباري على أصالة النكرة، في قوله: «إن قال قائل: هل المعرفَة أصل أو النّكرة؟ قِيلَ: لا بل النّكرة هِي الأصل، لأن التّعريف طارئ على التّنكير» [4] فالنّكرة من باب المطلق الأعم، و التعريف ما دلّ على شيء معيّن.

ب/مسوغات الاِبتداء بالنّكرة:

---

[1] الأصول في النّحو،ابن السرّاج،تح:محمّد عثمان، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة، مصر، ط2009،1، ج1،ص:142

[2] يُنْظَرُ المصدر نفسه ، الصّفحة نفسُها.

[3] التعريفات: الشريف الجرجاني،ص:135

[4] أسرار العربيّة، الآنباريّ،ص:241

قد أجمع علماء اللّغة و النحو علَى أنّ الأصل الإبتداء بالمعرف، و مع ذلك وضعوا مسوغاتٍ و مواضعَ يصحّ فيها الإبتداء بالنّكرة، و قد أحصى منها ابن هشام عشرةً، يمكن إيجازها فيما يأتي[1]:

1-**أن تكون النكرة موصوفةً لفظًا و تقديرًا** : فمن الأول قوله تعالى:﴿وَلَعَبْد مّومِنٌ خَيْر مِّن مّشْرِك﴾[2]، فالصّفة مذكورة و هي "مؤمنٌ"، و من الثاني نحو قولهم: " السَّمْن مَنْوَانِ* بِدِرْهَمٍ" أي مَنْوَان منه، فالصّفة هنا مقدرة:أي مَنْوَان مِنْ السّمْنِ.

2- **أن تكونَ عاملـةً**: إمَّـا رفْعًا نحو:« قائمٌ الزّيـدان» أو نَصْبًا: نحـو: :« أمـرٌ بمعـروف صَدَقَـةً»، أو جرًّا نحو: غلام اِمرأة جاءني.

3- **العطف**: بشرط كون المعطوف أو المعطوف عليه ممّا يسوغ الإبتداء به، نحو ﴿ طَاعَة وَقَوْل مَّعْروف﴾[3].

4- **أن يكون خبرها ظرفًا** أو **مجرورًا**: نحو قوله تعالى:﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيد﴾[4] و ﴿ لِكلِّ أَجَل كِتَاب﴾[5]، و في هذا الموضع يجب تأخير المبتدأ النكرة، و تقديم الخبر.

5- **أن تكون عامّةً**: إمّا بذاته كأسماء الشّرط، و أسماء الإستفهام، أو بغيرها نحو «" ما رجلٌ في الدّار»، «و هَلْ رجلٌ فِي الدَّارِ؟».

6-**أنْ تكونَ مرَادًا بها صاحب الحقيقة من حيث هي** ، نحو: " رجلٌ خير من اِمرأةٍ، و تَمْرَةٌ خيرٌ من جَرَادَةٍ.

7- **أن تكون في معنى الفعل**: نحو: عجب لزيد، نحو ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيٰ ءَالِ يَاسِينَ ﴾[6]، و هذا في باب الدّعاء و التعجب و غير ذلك.

---

[1] ينظر: مغنى اللّبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ص:539 و ما بعدها

[2] سورة البقرة،الآية:221

[3] سورة محمد، الآية:21

[4] سورة ق،الآية:35

[5] سورة الرّعد، الآية:38

[6] سورة الصّافات،الآية:130

8- **أن يَكونَ ثبوت ذلك الخبر للنّكرة من خوارق العادة** : نحو: شجرةٌ سجدتْ، و بقرة تكلّمَتْ، إذ وقوع ذلك من أفراد هذا الجنس غير متعادٍ، ففي الإخبار به عنها فائدةٌ، بخلاف نحو: " رَجل مات" و نحوه.

9- **أن تقع بعد إذا الفجائية:** نحو:" خرجت فإذا أَسَدٌ.

10- **أن تقعَ في أوّل جملة حَاليَّة** نحو قوله تعالى:﴿ وَطَائِفَة قَدَ أهمتهم أَنفسهمْ ﴾[1]

ج–دلالات التّنكير عند النّحويين و البلاغيين:

غير خفيّ على الدّارسين، أن النّحاة قد التَفَتوا إلى موضوع التّنكير، و العناية به بدأت مع أول مصنّف نحويّ و هو الكتاب، فسيبويه قد أولاه عناية خاصّة، و لم يكن النّحاة الّذين تلوه أقل عناية منه.

ففي الباب الّذي عقده تَحْتَ عنوان " هذا باب تخْبِر فِيه عن النّكرة بنكرةٍ"، يأتي سيبويه على ذكر الأغراض الّتي تخرج إليها النّكرة، فيقول: «أتَاني رجلٌ، يرِيد واحِدًا في العدد لا اثنين، فيقال: ما أتاك رجلٌ، أي أتاك أكثر من ذلك، أو يقول أتاني رجلٌ لا اِمرأة فيقال: ما أتاك رجلٌ، أي اِمرأة أتَتكَ، و يقول: أتاني اليوم رجل، أي في قوته و نفاذه، فتقول، ما أتاك رجلٌ، أي أتلك الضّعَفاء، فإذا قال: ما أتاك أحدٌ صار نفيا عامّا لهذا كلّه»[2]

فأغراض التّنكير كثيرة عند سيبويه، فهو يأتي للوحدة و الجنس، و التعظيم و التّحقير و غيرها، و لم يغفلْ الجرجانيّ عن أسرار و لطائف التّنكير، فَبَسَطَ فيه القولَ، و أفاضه بشرح مفصّل ماتِعٍ .

يقف الجرجاني في تنكير كلمة "حياة" طويلا في قوله الله تعالى:﴿ وَلَتَجِدَنَّهم أَحْرَصَ اَلنَّاسِ عَلَيٰ حَيَوٰة﴾[3]،فيقول: «إذا أنتَ راجعتَ نفسك، و أذكَيتَ حسّك، وجدتَ لهذا التّنكير و أنْ قيل " على حياة"، و لم يقل على الحياة، حسنًا و روعةً و لطف موقعٍ لا يقَادَر قَدْره، و تجدكَ تَعْدَم مع التّعريف و تخرج عن الأريحِيَّة و الأنسِ إلى خلافهما»[4].

---

[1] سورة آل عمران،الآية:154

[2] الكتاب، سيبويه، ج1،ص:55

[3] سورة البقرة، الآية:96

[4] دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص:289

و سبب التّنكير ههنا أنّ المعنى على الإزدياد من الحياة، لا الحياة من أصلها، و ذلك لا يحرص عليه إلاّ الحيّ، فأمّا العادم للحياة فلا يصحّ منه الحرص على الحياة و لا على غيرها، كأنه قيل: ولتجدنّهم أحرصَ النّاس و لو عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت ، و راهنه حياةً في الّذي يستقبل[1].

و تقَدَّم النّكرة على الفعل لمعان بلاغية يستدعيها المقام و منه قولهم: شَرٌّ أَهَرَّ ذَانَابٍ، إنّما قدم فيه " شرّ"، لآنّ المرادَ أن يعلم أنَّ الّذي أهر ذا النّاب هو من جنس الشرّ، لا من جنس الخير، فجرى مجرى أن تقول: رجل جاءني، تريد أنه رجلٌ لا امرأة [2]. فتقديم النكرة في هذه الإرادة الجنس لا الوحدة.

يضاف إلى هذا أغراضٌ أخرى تستفاد من تنكير الإسم منها[3]:

-التّكثير: نحو قوله تعالى:﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[4]، و قوله أيضا: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنون ٣﴾[5] أي كثيرًا غير منقطع.

-التَخصيص: و ذلك نحو قوله:﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وجوها فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾ [6]، والمراد بالوجوه ههنا وجوه الكفّار.

-التّهويل: نحو قوله تعالى:﴿وَاتَّقواْ يَوْما لَّا تَجْزِے نَفْسٌ عَن نَّفْس شَيْئًا ﴾[7].

د/دلالة التنكير في تفسير البيضاويّ:

يعد البيضاوي من المفسرين الّذين تطرقوا إلى دلالات التنكير في تفاسيرهم القيّمة، وَرَبطها بمقاصد الكلام، فقد حوى مصنّفة على جوانب لغويّة سياقية للتنكير، الّذي تنوعت أغراضه عند البيضاوي كالتعظيم و التّحقير، و المبالغة و التهويل و غيرها.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[2] ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني ،ص:169

[3] ينظر: معاني النحو، السّامرائي،ج1،

[4] سورة البقرة، الآية:249

[5] سورة القلم، الآية:03

[6] سورة النساء،الآية:47

[7] سورة البقرة، الآية:48

1-التّعظيم:

قد وجّه البيضاويّ ظاهرةَ التّنكير في هذه الآية بالتّعظيم:﴿ وَلَكمْ فـي اِلْقِصَاصِ حَيَوٰة يٰأولـي اِلَالْبٰبِ لَعَلَّكمْ تَتَّقونَ ﴾[1]، و يقول البيضاويّ-رحمه الله-: «و لَكمْ في القِصاصِ حياةٌ"، كلامٌ في غاية الفصاحة و البلاغة، من حيث جعل الشيءَ محلّ ضدّه، و عرّف القصاص، و نكّر الحياة، ليدلّ على أنّ في هذا الجنس من الحكم نوعًا من الحياة عظيمًا، و ذلك لأنّ العلم به يردع القاتل عن القتل، فيكون سبب حياة نفسين»[2]

و هذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني، إذ ليسَ المعنى على الحياة نفسِها، و لكن على أنّه لما كان الإنسان إذا عَلِمَ أنّه إذا قَتَلَ قتِلَ اِرْتدَعَ بذلك عن القَتل، فسلم صاحبه صارت حياة هذا الهْموم بقتله في مستأنف الوقت مستفادَةً بالقصاص، و صار كأنّه قد حَيِيَ في باقي عمره به، أي بالقصاص، و إذا كان المعنى على حياةٍ في بعض أوقاته وجب التّنكير و اِمتنعَ التّعرِيف[3].

2-التّقليل:

من الآيات الّتي جاء فيها التّنكير لغرض التّقليل قوله تعالى:﴿وَلَتَجِدَنَّهم أَحْرَصَ اَلنَّاسِ عَلَيٰ حَيَوٰة ﴾، يقـول البيضـاويّ:« مَنِ وَجَـدَ بعقله الجاري مجرَى علم، و مفعـولاه هم و أحـرص النّـاس ، و تنكير حياة لأنّه أريد بها فرد من أفرادها و هي: الحياة المتطاولة.»[4]

و أفاد تنكير كلمة " ليل في قوله تعالى:﴿ سبْحٰنَ اَلذِ ے أَسْريٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلا مِّنَ اَلْمَسْجِدِ اِلْحَرَامِ إِلَي اَلْمَسْجِدِ اِلَاقْصَا اَلذِ ے بَرَكْنَا حَوْلَه﴾[5] التَّقْلِيلَ، يقول البيضاويّ -رحمه الله-: و"ليلاً" نصِبَ على على الظّرف، و فائدة الدّلالة بتنكيره على تقليل مدّة الإسراء.

يقول الزّمخشري في تفسير هذه الآية:« أراد بقوله:"ليلا" بلفظِ التّنكير: تقليل مدّة الإسراء، وأنّه أسري به في بعض اللّيل، من مكّة إلى الشام مسير أربعين ليلة، و ذلك أنّ التّنكير فيه قد دَلَّ على

---

[1] سورة البقرة، الآية:179

[2] تفسير البيضاويّ، ج1،ص:122

[3] ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص:290

[4] تفسير البيضاويّ، ج1،ص:95

[5] سورة الإسراء، الآية:1

معنى البعضيَّة »[1]، فالإسراء من أعظم الآيات، و أجلّ المعجزات، و هي رحلة جليلةٌ وقعت في جزءٍ قليل من اللّيل، و هذا ما أفاده التّنكير في هذه الآية الكريمة.

3- التَّحقير:

يقول الله-جلَّ ثناؤه- في محكم تنزيله:﴿ يَأَيّهَا اَلذِينَ ءَامَنواْ لَيَبْلوَنَّكم اللَّه بِشَ ےء مِّنَ اَلصَّيْدِ تَنَاله أَيْدِيكمْ وَرِمَاحكمْ ﴾[2]، يقول البيضاويّ في تفسيره: «نزلت في عام الحديبية، ابتلاهم الله- سبحانه و تعالى- بالصّيد، و كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم، بحيث يتمكّنون من صيدها أخذًا بأيديهم، و طعنًا برماحهم و هم محرمون، و التَّقليل و التَّحقير في " بشيء" للتّنبيه على أنّه ليس من العظائم الّتي تدحض الأقدام كالإبتلاء ببذل الأنفس و الأموال، فمن لمْ يثبتْ عنده كيف يثبت عندما أشدّ منه»[3].

فيفهَم من كلام البيضاويّ أنَّ مجيء "بشيء" منكرّة، للدّلالة على أنَّ تحريمَ الصّيد هو من أَهْوَنِ الإبتلاءات، الّتي يثبت عندها الإنسان، و لاَ تقَارن بإبتلاءات أخرى عظيمة كالجهاد مثلاً.

و إن رأى البيضاويّ في تنكير " بشيء" تحقيرًا و تقليلاً، فإنَّ إبنَ عاشور ذهب إلى أنّ التّنكير إنَّما جَاءَ للتَّنويعِ، فيقول: « و الصّيد: المصيد ، لأنَّ قوله تعالى من الصّيد وقعَ بيانا لقوله "بشيء"، ويغني عن الكلام عنه، و في لفظ "شيء" ما تقدّم من الكلام على نظيره في قوله تعالى: " ولَنَبْلوَنَّكم بشَيءٍ مِنَ و الجوعِ" في سورة البقرة، و تنكير "شيء" هنا للتّنويع لا للتّحقير»[4]

4- الشِّدَة:

---

[1] تفسير البيضاويّ، ج3،ص:247

[2] سورة المائدة،الآية:94

[3] تفسير البيضاويّ، ج2،ص:143

[4] التّحريرُ و التّنويرُ،إبنُ عاشور، ج7،ص:39

يأتي الإسم منكَّرًا ليفيد الشدّة في المعنى، و منه قوله تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّب مِّنَ اَلسَّمَاءِ فِيهِ ظلمُت وَرَعْد وَبَرْق يَجْعَلونَ أَصَٰبِعَهمْ فـي ءَاذَانِهِم مِّنَ اَلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ اَلْمَوْتِ وَاللَّه مُحِيط بِالْكَٰفِرِين ﴾ يقول البيضاويّ في تنكير"كصيب":« و تنكيره لأنّه أريدَ به نوعٌ من المطر شديد، و تعريف السّماء للدّلالة على أنّ الغمام مطبق آخذٌ بآفاق السّماء كلّها»[1].

و التّوجيه نفسه سبقه إليه الزّمخشريّ إذ يقول:« و تنكير صيب، لأنّه أريد نوع من المطر شديد هائل»[2].

5-التّعميم:

و منه قوله تعالى:﴿ وَاتَّقواْ يَوْما لَّا تَجْزِ ے نَفْسٌ عَن نَّفْس شَيْ ًٔا وَلَا يقْبَل مِنْهَا شَفَٰعَة وَلَا يوخَذ مِنْهَا عَدْل وَلَا همْ ينصَرونَ ﴾[3] يقول البيضاويّ-رحمه الله-:« و إيراده منكرًا مع تنكير النّفسين للتّعميم و الإقناط الكلّيّ»، و ذهب إبن عاشور المذهبَ نفسَه في معنى تنكير " النّفسين"، فيقول: « و تنكير "نَّفس" في الموضعين، و هو حيّز النّفي يفيد عموم النّفوس، أي لا يغني أحدٌ كائنًا من كان، فلا تغني عن الكفّار آلهتهم و لا صلحاؤهم على اختلاف عقائدهم غناء أولئك عنهم»[4]

و منه أيضا قوله تعالى:﴿ يَٰأَيّهَا اَلذِينَ ءَامَنواْ إِن جَاءَكمْ فَاسِق بِنَبَإ فَتَبَيَّنواْ أَن تصِيبواْ قَوْماَ بِجَهَٰلَة فَتصْبِحواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتمْ نَٰدِمِينَ﴾ [5]، يقول البيضاويّ-رحمه الله-: «وتَنكير الفاسق و النّبأ، للتَّعميم و تعليق الأمر بالتّبيّن على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل مِنْ حيث إنّ المعلق على شيء بكلمة إن عدَم عند عدمه، و أنَّ خبَر الواحد لو وجب تبيّنه من حيث هو كذلك رتب على الفسق.»[6].

فَدلالة التّنكير في هذا أنّ أيَّ فاسقٍ و مهما كانت درجة فسقه. جاء بخبرٍ، فعلى الإنسان التَّثَبّت و التَّمهل و التَّأكد من صحّة الخبر، حتّى لايصاب أحدٌ بخطأ و يكون النَّدم مصيرَه.

---

[1] تفسير البيضاويّ،ج1،ص:51

[2] الكشاف، الزمخشري،ج1،ص:203

[3] سورة البقرة، الآية:48

[4] التّحرير و التّنوير، ابن عاشور،ج1،ص:485

[5] سورة الحجرات،الآية:6

[6] تفسير البيضاويّ،ج5،ص:134

6-التَّهْوِيل:

من الأغراض الَّتي أفاده التّنكير التهويل، يقول الله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يومِن بِاللَّهِ وَرَسولِهِ ۦ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرا ﴾[1]، يقول البيضاوي- رحمة الله عليه-:« وضع الكافرين موضِعَ الضَّمير، إيذانا بأن لم يجمع بين الإيمان بالله و رسوله، فهو كافر و أنّه مستوجبٌ للسّعير بكفره، و تنكير "تسعيرًا" للتّهويل أو لأنّها نارٌ مخصومةٌ.»[2]

و ممّا سبق ذكره، تبيَّن أنَّ التّنكيرَ لطيفة من لطائف البلاغة العربيّة، و أن الكلمةَ المنكَّرةَ في القرآن الكريم كانت لها وجوهٌ دلاليَّة كثيرةٌ و متنوعة ، اِستدعتها مقاصد القرآن الكريم، اِجتهد البيضاويّ في تبيانها و شرحها.

ثالِثًا: الاِعْتِراض:

يعدّ الاِعتِراض من اللَّفتات البلاغيَّة الَّتي أشار إليها النّحاة و البلاغيون في كتبهم، ومصنّفاتهم، و الاِعتراض جملة من الجمل الَّتي لا محلَّ من الإعراب، وَتَركيبٌ يفصِل عناصَر الكلام، يؤدّي وظائِفَ دلاليَّةً، و يؤتى به لإفادة أغْرَاض بلاغيَّة، و له أثرٌ في بيان معاني القرآن الكريم.

أ-مفهومه:

الاِعتراض عند القزويني هو « أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متَّصلين معنى بجملةٍ أو أكثرَ لا محلَّ لها من الإعراب لنكتةٍ سوى دفع الإبهام» [3]، و ممّا يلاحظ على هذا التّعريف هو شموليّته حيث إنّه عرّف الاِعتراض، و بيَّن ما يعترض به، و بيَّن أغراض الاِعتراض. و لمْ يَبْتعِدْ الزّركشي في تعريفه للاِعتراض عن تعريف القزويني له فهو عنده:« أن يؤتى في أثناء كلامٍ أو كلامين متَّصِليْنِ معنى،

[1] سورة الفتح،الآية:13

[2] تفسير البيضاويّ، ج5،ص:128

[3] التّلخيص في علوم البلاغة، القزويني، تح:عبد الرّحمن البرقوقي، دار الفكر العربيّ، القاهرة،مصر،ط1،1904،ص:231

بشيء يتمّ الغرض الأصليّ بدونه، و لا يفوت بفواتِه، فيكون فاصلا بين الكلام و الكلامين لنكتةٍ»[1].

و لم يَكتفِ الزّركشي بهذا التّعريف للاِعتراض، بل أضاف له تعريفًا آخَرَ أكْثَرَ دَقّة من حيْث المفهوم و المصطلَح، يقول الزركشي:« و عند النّحاة جملة صغرى تتخلّل جملةً كبرى، على جهة التّأكيد»[2].

و إن كان الزركشي يرى أنّ الجملة الاِعتراضيّة تتخلّل الكلام، فإنّ الزّمخشري من الدّارسين الّذين يَرون أنّه لامانعَ أن يَقعَ الاعتراض في آخر الكلام، و يفهم هذا في تفسيره لقوله تعالى:﴿ أَمْ كنتمْ شهَدَاءَ اذْ حَضَرَ يَعْقوبَ اَلْمَوْت إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبدونَ مِن بَعْدِ ﷺ قَالواْ نَعْبد إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَائِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰها وَٰحِدا وَنَحْن لَه مسْلِمونَ ﴾[3]. يقول الزَّمخشري:« وَ "نَحن لَه مسْلِمون": حال من فاعل نعبد، أو من مفعوله، لرجوع الهاء إليه في له، و يجوز أن تكون جملةً معطوفةً على نعبد، و أن تكون جملةً اِعتراضيّة مؤكّدة»[4].

ب/أسبَابه الدّلاليّة:

ممّا جاء في كتب النّحو أنّ الجملةَ الاِعتراضيّةِ من حيث التّحليل النّحويّ لا محلّ لها من الإعراب، أي أنّها لا تمثّل عنصرًا إسناديّا و لا غير إسناديّ في بناء الجملة، و لكنّها من جانب آخرَ لا تنفكّ عن الجملة لأصليّة و لا تزول عنها من حيث معناها[5].

يقول ابن جنيّ في بابه في الاِعتراض:«اِعلمْ أنَّ هَذَا القبيل من هذا العلم كثير، قد جاء في القرآن، و فصيح الشّعر، و منثور الكلام، و هو جَارٍ عند العرب مجرى التّأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم، و لا يستنكَر عندهم، أن يعترض به بين الفعل و فاعله، و المبتدأ و خبره، و غير ذلك» [6].

---

[1] البرهان في علوم القرآن، الزّركشي، ج3،ص:56

[2] المصدر نفسُه، الصفحة نفسُها

[3] سورة البقرة، الآية:133

[4] الكشاف، الزمخشري، ج1،ص:333

[5] ينظر: بناء الجملة العربيَّة، محمّد حماسة عبد اللّطيف، دار غريب للطّباعة و النّشر و التّوزيع، القاهرة، مصر،ط1،2003،ص:82

[6] الخصائص، ابن جنيّ، ج1،ص:335

فإبن جني يؤكد أنّ الإعتراض من عادات العرب في كلامهم، و أنّ له أسبابًا كالتّأكيد، و يضيف الزّركشي أسبابًا أخرى للإعتراض منها[1]:

- تقرير الكَلاَمِ: و منه قوله تعالى:﴿ قَالواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتم مَّا جِئنا لِنفْسِدَ في الأرض﴾ [2]، فاعترض بقوله : " لقد علمتم": المراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السّرقة.
- التّنزيه: كقوله تعالى:﴿ وَيَجْعَلونَ لِلهِ اِلْبَنٰتِ سبْحٰنَه وَلَهم مَّا يَشْتَهونَ ﴾[3]، "سبحانه"، اِعتراضٌ لغرض التّنزيه و التّعظيم، و فيه الشّناعَة على من جَعَلَ البنات لله.
- التّبرك: كقوله تعالى﴿ لَتَدْخلنَّ اَلْمَسْجِدَ اَلْحَرَامَ إِن شَاءَ اَللَّه ءَامِنِينَ ﴾ [4]، ف"إن شاء الله" اِعتراض جاء تبرّكًا باسم الله تعالى.
- الإدلاء بالحجّة: و منه قوله تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالا يوحيٰ إِلَيْهِمْ فَسْـ ـْـَلواْ أَهْلَ اَلذِّكْرِ إِن كنتمْ لَا تَعْلَمونَ ٤٣ بِالْبَيِّنٰتِ وَالزّبرِ﴾[5]، فاعترض بقوله:" فسألوا" بين قوله:" نحِي إليهم" و بين قوله:" بالبيّنات و الزّبر"، إظهَارًا لقوّة الحجّة عليهم.

ج/دلالة الإعتراض في تفسير البيضاويّ:

وجّه البيضاوي ظاهرة الإعتراض في تَفسيره بتوجيهات لطيفة، و ذكر لها أسبابًا بلاغيّة متنوعة كالتّأكيد و التّوضيح، و التّعليل و الدّعاء و غيرها.

1-التّأكيد:

و من الآيات الّتي جاء فيها الإعتراض تأكيدا قوله تعالى:﴿اَتَّبِعْ مَا أوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هوَ وَأَعْرِضْ عَنِ اِلْمشْرِكِينَ ﴾[6]، يقول البيضاويّ-رحمه الله-:«" لا إله إلاّ الله" اِعتراضٌ أكدَّ به

---

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج3،ص:57 و ما بعدها

[2] سورة يوسف،الآية:73

[3] سورة النّحل،الآية:57

[4] سورة الفتح، الآية:27

[5] سورة النّحل، الآيتَان،43-44

[6] سورة الأنعام، الآية:106

به إيجاب بالإتّباع»[1]، ففي هذه الآية أمران، أمرٌ بالاتّباع ، و أمْرٌ بالإعراض عن المشركين، و اعترض بينهما ب "لا إله إلاّ الله" تأكيدًا بأن لا معبود غيره، و هو منفرد في الألوهيّه ومنه قوله تعالى: ﴿وَينَجّي اِللَّه الذِينَ اَتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسّهم السّوء وَلَا هم يَحْزَنونَ ٥٨ اَللَّه خَٰلِق كلّ شيء وَهوَ عَلَيٰ كلّ شيء وَكِيل٥٩ لَّه مَقَالِيد السَّمَٰوٰتِ والأرض وَالذِينَ كَفَرواْ بِـَٔايَٰتِ اِللَّهِ أوْلَٰئِكَ هم الْخَٰسِرونَ﴾[2]، يقول البيضاوي:« "والّذين كفروا بآيات الله أولئك همْ الخاسرون " متّصل بقوله: " و ينَجّي الله الّذين اتّقوا" و ما بينهما اِعتراضٌ للدّلالة على أنّه مهيمن على العباد،مطّلع على أفعالهم مجاز عليها»[3]، و الملاحظ هو أنّ الإعتراضَ في هذه الآيات جاء بأكثر من جملة.

و من التّأكيد أيضا قوله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا اَلإنسٰنَ بِوٰلِدَيْه حَمَلَتْه أمّه وَهْناً عَلَيٰ وَهْن وَفِصَٰله فِے عَامَيْنِ أَن اشْكرْ لِے وَلِوٰلِدَيْكَ إِلَيَّ اَلْمَصِير ﴾[4]، يقول البيضاوي:« وذكر الحمل و الفصال في البين اِعتراضٌ مؤكّد للتّوصيّة في حقّها خصوصًا» [5]، و قال الزّمخشري أنّ الإعتراض ههنا إنّما جاء لذكر ما تكَابِده الأمّ، و مَا تعانيه من المشاق و المتاعب في الحمل والفصال، و الإيجاب التّوصيّة بالوالدة خصوصًا، و للتّذكير بحقّها العظيم مفردًا[6].

2/التّعظيم:

و مثاله قوله تعالى:﴿ ألا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اَللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هم يَحْزَنونَ ٦٢ اَلذِينَ ءَامَنواْ وَكَانواْ يَتَّقونَ ٦٣ لَهم الْبشْريٰ في اِلْحَيَوٰةِ اِلدّنْيا وَ في الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمٰتِ اِللَّهِ ذَٰلِكَ هوَ اَلْفَوْز الْعَظِيم ٦٤﴾[7] يقول البيضاويّ-رحمه الله-:«" هوَ الفوز العظيم" هذه الجملة و الّتي قبلها اِعْتِراضٌ لتحقيق المبشّر به، و تعظيم شأنه»[8]

---

[1] تفسير البيضاوي،ج2،ص:177

[2] سورة الزّمر، الآيات:58-59-60

[3] تفسير البيضاوي،ج5،ص:47

[4] سورة لقمان،الآية:14

[5] تفسير البيضاوي،ج4،ص:214

[6] ينظر: الكشاف، الزمخشري،ج5،ص:12

[7] سورة يونس، الآيات:62-63-64

[8] تفسير البيضاويّ،ج3،ص:118

و قد خالفه اِبن عاشور في توجيهه لظاهرة الاِعتراض في الآيات السّابقة، الّذي جاء عنده تأكيدا لا تعظيما، فجملة " لا تبديل لكلمة الله" مبيّنة لمعنى تأكيد الوعد الّذي تضمّنه قوله " لهم البشرى في الحياة الدّنيا و في الآخرة"، و تذكير لهم بأنّ ما وعدهم الله به من البشائر مثل النّصر وحسن العاقبة أمرٌ ثابت، و جملة " ذلك هوَ الفوز العظيم" مؤكدة لجملة " لهم البشرى"، و مقرّرة لمضمونها[1].

3/البَيَان و التَّعليل:

من الآيات الّتي جاء فيها الاِعتراض بيانًا و تعليلاً، قوله تعالى:﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اِسْتَطَعْتَ مِنْهم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهمْ فِي اِلَأمْوَلِ وَالَأوْلَٰدِ وَعِدْهمْ وَمَا يَعِدهم الشَّيْطَٰن إِلَّا غروراً﴾[2]، يقول البيضاوي –رحمه الله–:« وَ مَا يَعِدهم الشَّيْطَان إلاَّ غرورًا"، اِعتِرَاضٌ لبيان مَوَاعيده الباطلة، و الغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنّه صَوَاب»[3].

و من الاِعتراض للتّعليل قوله تعالى﴿ إِنَّ اَلذِينَ كَفَرواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِم ءَانذَرْتَهم أَمْ لَمْ تنذِرْهمْ لَا يومِنونَ﴾[4]، يقول البيضاوي– رحمة الله عليه–:« " لا يؤمِنون" جملةٌ مفسّرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محلّ لها، أو حال مؤكّدة، أو بدل عنه، أو خبر إنّ، و الجملة قبلها اِعتراضٌ بما هو علّة الحكم»[5]، فاعْترضِ بقولة سواء عليهم ء أنذرتهم أم لم تنذرهم"، فالحكم واحد هو أنهم لايؤمنون بإنذارهم، أو بعدمه و هذا ما أفاده الاِعتراض ههنا.

4/الدّعاء:

و يفيد الاِعتراض عند البيضاوي الدّعاءَ، و ذلك في قوله:﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذ مَا ينفِق مَغْرَما وَيَتَرَبَّص بِكم الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَة السَّوْءِ وَاللَّه سَمِيعٌ عَلِيم﴾ [6]، يقول البيضاوي:«" عليهم دائرة السّوء" اِعتراض بالدّعاء عليهم بنحو ما يتربّصون أو الإخبار عن وقوع ما يتربّصون عليهم»[1].

---

[1] ينظر: تفسير التّحرير و التّنوير، ابن عاشور،ج11،ص:220

[2] سورة الإسراء، الآية:64

[3] تفسير البيضاوي،ج3،ص:261

[4] سورة البقرة، الآية :6

[5] تفسير البيضاوي،ج1،ص:41

[6] سورة التوبة، الآية:98

5/التّنبيه

من الأسرار الدّلاليّة للإعتراض عند البيضاوي التّنبيه، و مثاله قوله تعالى:﴿ إِنْ يَّمْسَسْكمْ قَرْح فَقَدْ مَسَّ اَلْقَوْمَ قَرْح مِّثْله وَتِلْكَ الأيام ندَاوِلهَا بَيْنَ اَلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اَللَّه الذِينَ ءَامَنواْ وَيَتَّخِذَ مِنكمْ شهَدَاءَ وَاللَّه لَا يحِبّ الظَّلِمِينَ﴾ [2]، يقول البيضاوي رحمه الله: « " و الله لا يحبّ الظّالمين" الّذين يضمرون خلاف ما يظهرون، أو الكافرون و هو اِعتراضٌ، و فيه تنبِيه على أنّه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة، و إنّما يغلبهم أحيانا اِستدراجًا لهم واِبتلاءً للمؤمنين»[3].

6/التّرغِيب

و يأتي الاِعتراض في القرآن الكريم ترغيبًا، كقوله تعالى:﴿وَالذِينَ ءَامَنواْ وَعَمِلواْ الصَّلِحَتِ لَا نكَلِّف نَفْساً إلاّ وسْعَهَا أوْلَئِكَ أَصْحَب الْجَنَّةِ همْ فِيهَا خَلِدونَ﴾ [4] ، يقول البيضاوي:«"و لا نكلّف نفسًا إلا وسعها" اِعتراض بين المبتدأ و خبره للتّرغيب في اِكتساب النّعيم المقيم بما يسعه طاقتهم و يسهّل عليهم»[5].

فالله- سبحانه و تعالى- لا يكلّف عبده إلا ما يستطيعه، و الشّريعة الإسلاميّة شريعَة يسْرٍ وتسهيلٍ، و ليس من تكاليفها شيءٌ لا يطاق.

و ممّا سبق يتبيّن لنا- جليّا-أنّ للاِعتراض لدى البيضاوي في تفسيره دلالاتٍ متنوعة، و أسبابا بلاغيّة كثيرة، اِستشفّها تبعًا للسّياق و المقام، وَ هَاتِهِ الأسباب الّتي جَاءَ بِهَا البيضاوي لم تخرج عمَّا جاء به النّحويون و البلاغيون.

---

[1] تفسير البيضاوي، ج2،ص:40

[2] سورة آل عمران، الآية:140

[3] تفسير البيضاوي، ج2،ص:40

[4] سورة الأعراف، الآية:42

[5] تفسير البيضاوي، ج2،ص:40

الفصل الرابع : دلالة الأساليب الإنشائية الطلبية في تفسير البيضاوي.

أولا : الاستفهام.

ثانيا : الأمر.

ثالثا : النهي.

رابعا : النداء.

خامسا : التمني.

الكلام في العربية خبري وإنشائي ، والإنشائي كما لا يحتمل التصديق أو التكذيب ، وهو قسمان ؛ طلبي وغير طلبي ، فالأول ناشئ من قبل المتكلم ، فقولك : اجلس ، لا يقبل أن تحكم عليه بأنه كلام صادق أو كاذب ، وإنما ينتظر منه حصول شيء ، ومنه الاستفهام والأمر والنهي والتمني والنداء ، والثاني ما لا يستدعي مطلوبا ، ومنه التعجب والقسم والمدح والذم والرجاء.

أولا : الاستفهام :

الاستفهام مصدر مزيد من الجذر الثلاثي ، ف هـ م ، و « الهمزة والسين والتاء تفيد معنى الطلب في هذه الكلمة ، والمطلوب هو الفهم ، والفهم يعني حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيأته في العقل ، وهذا هو الذي قاله البلاغيون في تعريف الاستفهام ، فهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن »[1]، وهذا الشيء « لم يكن معلوما من قبل ، وذلك بأداة من إحدى أدواته وهي : الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، ومتى ، وأيان ، وكيف ، وأنى ، وكم ، وأي »[2].

ولقد تناول البلاغيون مباحث الاستفهام بمزيد من العناية والاهتمام ، وبينوا ما لها من أثر عظيم في علم المعاني ، ووضحوا صور الاستفهام عندما يستعمل في حقيقته ، وحين يخرج عن أصل وضعه ، وقد كان حديثهم عن " الهمزة " و" هل " أكثر تفصيلا من بقية الأدوات الاستفهامية الأخرى ، وقد تحدث سيبويه عن أدوات الاستفهام في مواضع جمة من كتابه وألم بها إلماما كبيرا[3].

فسيبويه يفرق أولا بين أدوات الاستفهام جميعا وبين الهمزة ، فأدوات الاستفهام عنده يقبح دخولها على الاسم إذا كان بعده فعل – إلا في الضرورة – ولكن الهمزة يصح – بدون قبح – أن تدخل على الاسم وإن كان بعده فعل.

---

[1]: دلالات التراكيب دراسة بلاغية ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1987 ، ص : 203 ، 204.

[2]: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط 1، 1999 ، ص : 78.

[3]: ينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي ، عبد القادر حسين ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ، ط1 ، 1988 ، ص : 88.

يقول صاحب الكتاب : « واعلم أن حروف الاستفهام كلها يقبح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم : لو قلت : هل زيد قام وأين زيد ضربته ، لم يجز إلا في الشعر ، فإذا جاء في الشعر نصبته ، إلا الألف فإنه يجوز فيها الرفع والنصب ، لأن الألف قد يبتدأ بعدها الاسم »[1].

ويذهب سيبويه إلى أن الهمزة الاستفهامية تخرج عن أصل وضعها إلى معان أخرى كالتوبيخ والتنبيه ، وذلك في قولك « " أتميميا مرة ، وقيسيا أخرى " ، وإنما هذا أنك رأيت رجلا في حال تلون وتنقل ، فقلت : أتميميا مرة وقيسيا أخرى ، كأنك قلت : أتحول تميميا مرة وقيسيا أخرى ، فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له ، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل ، وليس يسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه ، ولكنه وبخه بذلك »[2].

فمعنى الاستفهام ههنا التوبيخ ، ومن التنبيه قول بعض العرب « أن رجلا من بني أسد قال : " يا بني أسد ، أعور وذا ناب " ! فلم يرد أن يسترشدهم ليخبروه عن عوره وصحته ، ولكنه نبههم ، كأنه قال : أتستقبلون أعور وذا ناب ! فالاستقبال في حال تنبيهه إياهم كان واقعا ، كما كان التلون والتنقل عندك ثابتين في الحال الأول ، وأراد أن يثبت لهم الأعور ليحذروه »[3].

دلالة الاستفهام في تفسير البيضاوي.

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أن الاستفهام في القرآن الكريم لا يحتاج إلى جواب ، لأنه من عالم الغيب والشهادة ، وفي هذا يقول الزركشي : « إن الرب – تعالى – لا يستفهم خلقه عن شيء ، وإنما يستفهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك ؛ فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف »[4].

لقد كشف البيضاوي على الدلالات التي تخرج إليها الاستفهامات في القرآن الكريم ، ولم يختلف عما بحثه غيره من المفسرين والبلاغيين في معاني الاستفهام حين لا يراد به طلب الفهم.

---

[1]: الكتاب ، سيبويه ، ج1 ، ص : 101.

[2]:المصدر نفسه ، ص : 343.

[3]: المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[4]: البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ص : 327.

1/ الإنكار :

من الاستفهام الذي جاء للإنكار قوله تعالى : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ »[1]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « " كيف تكفرون بالله " استخبار فيه إنكار ، وتعجيب لكفرهم بإنكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني ، فإن صدوره لا ينفك عن حال وصفه ، فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك إنكار وجوده فهو أبلغ وأقوى في إنكار الكفر ، من (أتكفرون) وأوفق لها بعده من الحال »[2].

فقد فسر البيضاوي الاستفهام في هذه الآية بالإنكار على طريق البرهان ، وهو على درجة عالية من البلاغة لأنه جاء بحرف الاستفهام كيف " بدل الهمزة ، و" كيف " استفهام عن حال ، أي أخبروا في عن أي حال تكفرون.

كما قد أفاد الاستفهام بالهمزة معنى الإنكار ، وذلك في قوله تعالى : « قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا »[3]، قال البيضاوي : « " قل أغير الله أتخذ وليا " إنكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي، فلذلك قدم وأولى الهمزة والمراد بالولي المعبود لأنه رد لمن دعاه إلى الشرك »[4]، فالمعنى في هذه الآية أن غير الله ليس أهلا لأن يتخذ وليا.

وفي هذه الآية تقديم ، فقد قدم الاسم و" غير " الذي محله من الإعراب مفعول به ، وأخر الفعل أتخذ ، وفي هذا التقديم والتأخير بلاغة وحسن ومزية ، أتى الجرجاني على بيانها وتفصيلها.

يقول الجرجاني : « واعلم أن حال المفعول فيما ذكرناه كحال الفاعل ، أعني تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل ، فإذا قلت : أزيدا تضرب ؟ كنت قد أنكرت أن يكون زيد بمثابة أن يضرب ، أو بموضع أن

---

[1]: سورة البقرة ، الآية : 28.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 65.

[3]: سورة الأنعام ، الآية : 14.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 156.

يجترأ عليه ، ويستجاز ذلك فيه ، ومن أجل ذلك قدم " غير " في قوله تعالى : « قل أغير الله أتخذ وليا » وكان له من الحسن والمزية والفخامة ما علم أن لا يكون لو أخر فقيل : قل أتتخذ غير الله وليا؟ ، وذلك لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك : أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليا ؟و أيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك ؟ »[1].

2/ الأمر والنهي :

أ/ الأمر :

قد أمر الله سبحانه وتعالى – عباده بأن يشكروه على نعمه ، وهذا ما أفاده الاستفهام في قوله تعالى عن سيدنا داود – عليه السلام : « وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ »[2]، يقول البيضاوي : « هذا أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع »[3].

ب/ النهي :

من الاستفهام الذي فسره البيضاوي بأنه جاء لغرض النهي قوله تعالى : « لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »[4]، يقول البيضاوي – رحمه الله – :

---

[1]: دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص : 153 – 154.

[2]: سورة الأنبياء ، الآية : 80.

[3]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 57.

[4]: سورة البقرة ، الآية : 76.

« " أتحدثونكم بما فتح الله عليكم " ، بما بين لكم في التوراة من نعت محمد – صلى الله عليه وسلم – أو الذين نافقوا لأعقابهم إظهارا للتصلب في اليهودية ، ومنعا لهم عن إبداء ما وجدوا في كتابهم ، فينافقون الفريقين فالاستفهام على الأول تقريع ، وعلى الثاني إنكار ونهي »[1].

3/ التحقير :

ونكتة الاستفهام البلاغية في هذه الآية : « إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ »[2]، التحقير يقول البيضاوي مفسرا :« " ما هذه التماثيل التي أنتم لها عكفون " تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها ، فإن التمثال صورة لا روح فيها ، لا يضر ولا ينفع »[3].

ومن التحقير أيضا قوله تعالى : « قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ »[4]، يقول البيضاوي : « " من أي شيء خلقه " بيان لما أنعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه ، والاستفهام للتحقير ، ولذلك أجاب عنه بقوله : " من نطفة خلقه فقدره " فهيأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال »[5] والمعنى هنا تحقير مادة الإنسان ، أي من أي شيء خلق الإنسان ، حتى يتكبر عن طاعة ربه.

---

[1]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 89.

[2]: سورة الأنبياء ، الآية : 52.

[3]: تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 53.

[4]: سورة عبس ، الآيات : 17 – 18 – 19.

[5]: تفسير البيضاوي ، ج5 ، ص : 287.

ولقد فسر ابن عاشور هذا الاستفهام بالتشويق ، في قوله : « وجيء في هذا الاستدلال بصورة سؤال وجواب للتشويق إلى مضمونه ، ولذلك قرن الاستفهام بالجواب عنه على الطريقة المتقدمة »[1] في قوله تعالى : « عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ »[2].

4/ النفي :

يخرج الاستفهام عن أصل وضعه ليفيد النفي ، ومنه قوله تعالى : « وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ »[3]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « ومن يغفر الذنوب إلا الله " استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين ، والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة [4]، فالمعنى في هذا الاستفهام أنه لا أحد يغفر ذنوب العباد إلا الله – سبحانه وتعالى.

5/ التقرير :

ومنه قوله تعالى : « قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ »[5]. يقول البيضاوي : : « أسند الفعل إليه تجوزا لأنه غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه، أو تقريرا لنفسه مع الاستهزاء ، والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق : أأنت كتبت هذا فقلت : بل كتبته أنت »[6].

وهذا الاستفهام الذي يجيء لغرض التقرير قد أورده الجرجاني في دلائل الإعجاز ، وألم به إلماما كثيرا إذ يقول : « واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي للاستفهام قائم فيها إذا كانت

---

[1]: تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج30 ، ص : 122.

[2]: سورة النبأ ، الآيتان : 1 و2.

[3]: سورة آل عمران ، الآية : 135.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 39.

[5]: سورة الأنبياء ، الآية : 62.

[6]: تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 55.

هي للتقرير ، فإذا قلت : أأنت فعلت ذاك ؟ كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل ، يبين ذلك قوله تعالى حكاية عن قول نمرود : « قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ »[1]. لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام – وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ولكن أن يقر بأنه منه كان ، وكيف وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم : أأنت فعلت »[2] فالمقصود بالاستفهام الذي يفيد التقرير حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف والإثبات بأمر يعرفه أو قد فعله.

6/ التعجب :

من الاستفهام الذي يفيد التعجب قوله – جل ثناؤه – : « وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ »[3]، تضمنت هذه الآية استفهاما فسره البيضاوي بالتعجب بقول : « " قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها ، أو يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية ، واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد وألغتها» [4]، والمعنى نفسه ذهب إليه الزمخشري قبله إذ يقول : « " أتجعل فيها " تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية ، وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير ، ولا يريد إلا الخير »[5].

7/ التوبيخ :

قد وقف البيضاوي على السمة البلاغية في خروج الاستفهام للتوبيخ ، ومن الآيات التي أفاد فيها الاستفهام التوبيخ قوله تعالى : « أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ

---

[1]: سورة الأنبياء ، الآية : 62.

[2]: دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص : 148.

[3]: سورة البقرة ، الآية : 30.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 68.

[5]: الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص : 252.

فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ »[1]، يقول البيضاوي : « وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم »[2].

والتوجيه نفسه ذهب إليه ابن عاشور في تفسير هذا الاستفهام يقول : « وقوله تعالى "أفكلما جاءكم رسول " فالفاء للسببية ، والاستفهام للتعجب من طغيانهم ومقابلتهم جميع الرسل في جميع الأزمان بمقابلة واحدة ساوى فيها الخلف السلف مما دل على أن ذلك سجية في الجميع»[3].

ومما سبق تبين أن للاستفهام دلالات كثيرة يخرج إليها ، كما لوحظ أن الاستفهام في تفسير البيضاوي كان من أكبر مباحث الإنشاء الطلبي ، ولم يختلف عن ما جاء به البلاغيون من نكت بلاغية وأغراض دلالية للاستفهام غير الحقيقي أو الاستفهام البلاغي.

ثانيا : الأمر :

الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية وهو « طلب الفعل بصيغة مخصوصة ، وصيغته افعل نحو اذهب ، ويكون بحذف حرف المضارعة من الفعل المضارع ، ولا يكون بصيغته المعلومة إلا للمخاطب ، وأما غير المخاطب فيؤمر باللام نحو : « لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ »[4]، و"لأذهب معكم»[5]، ومن صيغه أيضا اسم فعل الأمر ، كصه ، ونزال ، والمصدر النائب عن فعله ، كقوله تعالى : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا »[6]، أي أحسنوا للوالدين.

---

[1]: سورة البقرة ، الآية : 87.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 93.

[3]: التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج1 ، ص : 596.

[4]: سورة الزخرف ، الاية : 77.

[5]: معاني النحو ، السامرائي ، ج4 ، ص : 409.

[6]: سورة الإسراء ، الآية : 23.

فحقيقة الأمر هي إفادة الوجوب نحو قوله تعالى : « وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ »[1]، فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده بالصلاة ، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة ، وكثيرا ما يخرج الأمر عن معناه الأصلي والحقيقي ، ليفيد معان مجازية ، وقد ذكر السيوطي بعضا منها[2]:

- التهديد : نحو قوله تعالى : « ٱعۡمَلُوا مَا شِئۡتُمۡ »[3]، إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاؤوا.
- الإهانة : نحو قوله تعالى : « ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ »[4].
- التسخير : أي : التذليل ، نحو : « كُونُوا قِرَدَةً »[5]، عبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالا لهم ، فهو أخص من الإهانة.
- التعجيز : نحو قوله تعالى : « فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ »[6]، إذ ليس المراد طلب ذلك منهم ، بل إظهار عجزهم.
- التسوية : نحو قوله تعالى : « فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ »[7].
- الإنذار : ومنه قوله تعالى : « قُلۡ تَمَتَّعُواْ »[8].
- الإنعام : ومنه قوله تعالى : « كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ »[9]، أي : تذكر النعمة.

---

[1]: سورة البقرة ، الآية : 43.

[2]: الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ص : 581.

[3]: سورة فصلت ، الآية : 40.

[4]: سورة الدخان ، الآية : 49.

[5]: سورة البقرة ، الآية : 65.

[6]: سورة البقرة ، الآية : 23.

[7]: سورة الطور ، الآية : 16.

[8]: سورة إبراهيم ، الآية : 30.

[9]: سورة الأنعام ، الآية : 142.

دلالة الأمر في تفسير البيضاوي.

قد تعددت الأغراض البلاغية للأمر في تفسير البيضاوي ، ومنها :

1/ التهديد :

ومنه قوله تعالى : « قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ »[1]، يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية : « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن ، أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة ، وهو أمر تهديد ، والمعنى : اثبتوا على كفركم وعداوتكم »[2].

2/ الدعاء :

قد وضح البيضاوي الفرق بين الأمر والنهي ، وذلك حين فسر قوله تعالى : « ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ »[3]، يقول البيضاوي رحمه الله : « والأمر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ، ويتفاوتان بالاستعلاء و التسفل »[4]، فالمعنى أنه كلا من الأمر والدعاء يتضمنان طلبا ، ولكن الدعاء يصدر من الأدنى إلى الأعلى ، والأمر من الأعلى إلى الأدنى ، وهذا ما ذهب إليه سيبويه في قوله : « واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي ، وإنما قيل : " دعاء " لأنه استعظم أن يقال : أمر أو نهي ، وذلك قولك : اللهم زيدا فاغفر ذنبه ، وزيدا فأصلح شأنه وعمرا ليجزه الله خيرا »[5].

ومن الأمر الذي أفاد الدعاء ما جاء في كتاب الله على لسان موسى – عليه السلام – : « وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا

---

[1]: سورة الأنعام ، الآية : 135.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص 183.

[3]: سورة الفاتحة ، الآية : 6.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 30.

[5]: الكتاب ، سيبويه ، ج1 ، ص : 142.

لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾[1]. يقول البيضاوي : « ربنا ليضلوا عن سبيلك " دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك : لعن الله إبليس »[2].

ومن الدعاء قوله تعالى : « وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ »[3]، يقول البيضاوي : « " ونجنا برحمتك من القوم الكافرين " من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم ، وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي له أن يتوكل أولا لتجاب دعوته »[4].

ومنه أيضا قوله – جل ثناؤه – :« قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ »[5]، »[5]، يقول البيضاوي مفسرا : « " قل موتوا بغيظكم " دعاء عليهم بدوام الغيظ ، وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به »[6].

3/ النهي :

قد أفاد الأمر في القرآن الكريم معنى النهي ، ومنه قوله تعالى : « قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا »[7]، يقول البيضاوي – رحمه الله الله – : « وبالوالدين إحسانا " أي وأحسنوا بهما إحسانا وضعه موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما »[8].

4/ التعجيز :

---

[1]: سورة يونس ، الآية : 88.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 122.

[3]: سورة يونس ، الآية : 86.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 122.

[5]: سورة آل عمران ، الآية : 119.

[6]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 35.

[7]: سورة الأنعام ، الآية : 151.

[8]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 188.

يقول الله – عز وجل – : « أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ »[1]، يقول البيضاوي : « " قل فأتوا بعشر سور مثله " في البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة »[2].

5/ التنبيه :

ورد الأمر في كتاب الله والمعنى تنبيه ومنه قوله تعالى : « وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ »[3]، يقول البيضاوي البيضاوي : « فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء " تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة ، فإن التصرف والتدبير إقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة ، والوقوف على مراتب الاستعدادات ، وقدر الحقوق محال ، وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال ، والإنباء : إخبار فيه إعلام »[4].

6/ الخبر :

يجيء الأمر بمعنى الخبر ، ومنه قوله تعالى : « قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ »[5]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « " قل أنفقوا طوعا أو

---

[1]: سورة هود ، الآية : 13.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ض : 130.

[3]: سورة البقرة ، الآية : 31.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 69.

[5]: سورة التوبة ، الآية : 53.

كرها لن يتقبل منكم أمر في معنى الخبر ، أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها ، وفائدته المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول ، كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم»[1].

والمعنى نفسه ذهب إليه الزمخشري إذ يقول : « فإن قلت : كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال : " لن يتقبل منكم " قلت : هو أمر في معنى الخبر ، كقوله تبارك وتعالى : « قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا » [2]، ومعناه : لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ، ونحوه قوله تعالى : « أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ »[3]، أي : لن يغفر الله لهم ، استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم »[4].

ومثاله أيضا قوله تعالى : « فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ »[5]، يقول البيضاوي : « إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة ، أخرجه على صيغة الأمر الأمر للدلالة على أنه حتم واجب ، ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم ، والمراد من القلة العدم »[6].

ويقول الزمخشري في تفسير الآية : « " فسيضحكون قليلا ، ويبكون كثيرا ، إلا أنه أخرج على لفظ الأمر ، للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره ، يروي أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا ، لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم »[7].

---

[1]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 84.

[2]: سورة مريم ، الآية : 75.

[3]: سورة المنافقون ، الآية : 6.

[4]: الكشاف ، الزمخشري ، ج3 ، ص : 55.

[5]: سورة التوبة ، الآية : 82.

[6]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 91.

[7]: الكشاف ، الزمخشري ، ج3 ، ص : 76.

ومنه تبين أن أسلوب الأمر عند البيضاوي تخرج عن دلالته الحقيقية إلى دلالات أخرى يفيدها تختلف تبعا للسياق والمقام.

ثالثا : النهي :

النهي من أساليب الإنشاء الطلبية ، ويحصل بحرف واحد ، وهو " لا " . و « تكون موضوعة لطلب الترك ، وتختص بالدخول على المضارع ، وتقتضي جزمه واستقباله ، سواء كان المطلوب منه مخاطبا نحو « لا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ »[1]، أو غائبا نحو : « لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ »[2]، أو متكلما نحو : « لا أرينك ههنا »[3].

ومن أساليب العربية أن ينهى الفاعل ، والمراد غيره نحو :" لا أرينك ههنا " ، فقد جاءت " لا " لنهي المتكلم ، والمنهي في الحقيقة هو المخاطب أي لا تكن ههنا حتى لا أراك ، ونحو : « وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ »[4]، فالنهي هنا للأموال إ ذ أسند الإعجاب إليها والمنهي في الحقيقة هو المخاطب أي لا تعجب يا محمد بأموالهم ، ونحو قوله تعالى : « لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ »[5]، فقد نهى الشيطان ، والمنهي في الحقيقة هم المخاطبون ، وكذلك قوله تعالى : « فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ »[6]، فالنهي موجه لفظا للدنيا وللغرور وهو الشيطان والمنهي في الحقيقة هم المخاطبون[7].

---

[1]: سورة الممتحنة ، الآية : 01.

[2]: سورة آل عمران ، الآية : 28.

[3]: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، ج1 ، ص : 273.

[4]: سورة التوبة ، الآية : 85.

[5]: سورة الأعراف ، الآية : 27.

[6]: سورة فاطر ، الآية : 5.

[7]: ينظر : معاني النحو ، السامرائي ، ج4 ، ص : 387 – 388.

ولا يتحقق النهي إلا إذا كان صادرا من الأعلى إلى الأدنى ، ومثال ذلك أساليب النهي الواردة في قوله عز وجل : « وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ »[1]، فتلك الوصايا الواردة في هذه الآية الكريمة قد وردت بأسلوب النهي الذي جرى على معناه الأصلي فيه ، لأنها موجهة من الأعلى إلى الأدنى ، ومن الخالق إلى المخلوق[2].

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي الذي هو طلب الكف على وجه الاستعلاء إلى معان أخرى تستفاد من السياق ، وقرائن الأحوال التي ترد فيها صيغته ، معنى هذا أن المعاني لا تنبثق عن صيغة النهي في ذاتها ، بل تنبثق عنها واقعة في نظم خاص ، ومقترنة بسياق خاص [3].

فيفيد النهي معنى الدعاء حين يتجه من الأدنى إلى الأعلى ،كما في قوله – عز وجل – : « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا »[4]، وقوله تعالى : « رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ »[5]، ففي مثل هذه الأساليب لا يكون النهي جاريا على حقيقته، إذ إن الطلب فيها ليس على جهة الاستعلاء والإلزام ، بل على وجه الذلة والاسترحام ، فأساليب النهي في الآيتين الكريمتين ليست سوى دعاء وتضرع ، ومناجاة يتوسل بها المخلوق الضعيف إلى الخالق – جل شأنه – اعتصاما بقوته ، ولياذا برحمته[6].

---

[1]: سورة الأنعام ، الآية : 151.

[2]: ينظر : علم المعاني في الموروث البلاغي ، حسن طبل ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، ط 2 ، 2004، ص : 70.

[3]: ينظر : علم المعاني في الموروث البلاغي ، حسن طبل ، ص : 71.

[4]: سورة آل عمران ، الآية : 8.

[5]: سورة البقرة ، الآية : 286.

[6]:ينظر : علم المعاني في الموروث البلاغي ، حسن طبل ، ص : 71.

كما يفيد النهي أيضا معنى النصح والإرشاد ، وذلك إذا ما كان الامتثال للمطلوب بأسلوب النهي يحقق النفع ويعود بالفائدة على المخاطب ، كما في قوله – عز وجل – : « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ »[1]، فالله يطلب منا على سبيل الإرشاد والنصح الكف عن السؤال عن أمور قد يسوؤنا العلم بها[2].

أما في قوله تعالى : « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »[3]، يتوجه النهي إلى فعل يفعله المخاطب ، غير أنه لا جدوى منه ، كاعتذار الكفار يوم القيامة عما سلف منهم في الدنيا ، فالمعنى الذي أفاده النهي ههنا هو التيئيس[4].وهذه المعاني المجازية المجازية التي يخرج إليها النهي كان البيضاوي على وعي عميق بها ، فقد وقف عندها مفسرا ومعللا.

دلالة النهي في تفسير البيضاوي.

1/ الأمر :

من الأغراض البلاغية التي يفيدها النهي الأمر ، ومنه قوله تعالى : « فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ »[5]، يقول البيضاوي مفسرا : « " فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون " ظاهرة النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام ، والمقصود هو النهي عن أن يكونوا على خلاف تلك الحال إذا ماتوا ، والأمر بالثبات على الإسلام كقولك : لا تضل إلا وأنت خاشع »[6].

وفي النهي عن الموت أو الأمر به نكتة بلاغية رائعة فهو في حد ذاته ليس بمنهي عنه ، ولا مأمور به لأنه من الأمور التي لا تدخل في الإرادة الإنسانية ، ولكنه نهي عنه هنا لإظهار أن الموت

---

[1]: سورة المائدة ، الآية : 101.

[2]: ينظر : علم المعاني في الموروث البلاغي ، حسن طبل ، ص : 72.

[3]: سورة التحريم ، الآية : 7.

[4]: ينظر : علم المعاني في الموروث البلاغي ، حسن طبل ، ص : 73.

[5]: سورة البقرة ، الآية : 132.

[6]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 107.

على خلاف الإسلام هو موت لا خير فيه ، وأنه ليس بموت السعداء ، وكذلك الأمر بالموت تقول : مت وأنت شهيد ، فأنت لا تريد الأمر بموته ، ولكن مت الميتة التي تورثك خلود الذكر في الدنيا والجنة والحياة في الآخرة[1].

2/ الاستهزاء والتهكم :

من النهي الذي أفاد غرض التهكم قوله تعالى: « لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ »[2]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « " لا تركضوا على إرادة القول أي قيل لهم استهزاء لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال ، والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين»[3].

ومن النهي الذي جاء للتهكم أيضا قوله تعالى : « فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ »[4]، يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية « وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادا ، وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها ، وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات ، قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله ، وتمنحهم ما لم يرد الله من خير ، فتهكم بهم ، وشنع عليهم بأن جعلوا أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند »[5].

وقد رأى الزمخشري معنى النهي في الآية التوبيخ ، وهو معنى ليس بعيد عما جاء به البيضاوي ، يقول الزمخشري : « والتوبيخ فيه آكد ، أي أنتم العرافون المميزون ، ثم إن ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أندادا ، وهو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ».

---

[1]: ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، حمص، سوريا ، ط1 ، 1980م ، ج1 ، ص : 190.

[2]: سورة الأنبياء ، الآية : 13.

[3]: تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 47.

[4]: سورة البقرة ، الآية : 22.

[5]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 56.

3/ التعظيم :

قد جاء النهي لغرض التعظيم في قوله تعالى : « إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ »[1]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : " لا تسأل وهي قراءة نافع ويعقوب ، على أنه نهي للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه ، أو تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر أن يخبر عنها ، أو السامع لا يصبر على استماع خبرها ، فنهاه عن السؤال[2]، عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله ، وقيل : معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب»[3].

4/ التسلية :

من النهي الذي وجهه البيضاوي بالتسلية قوله تعالى : « وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ »[4].

يقول البيضاوي : « ولا تهنوا ولا تحزنوا " تسلية لهم عما أصابهم يوم أحد ، والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ، ولا تحزنوا على من قتل منكم " وأنتم الأعلون " وحالكم إنكم أعلى منهم شأنا فإنكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة ، وإنهم على الباطل ، وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار »، وقد رأى ابن عاشور في هذا النهي مجازا في خور العزيمة ، وضعف الإرادة ، وانقلاب عنه ، فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما وهو الاعتقاد[5].

---

[1]: سورة البقرة ، الآية : 119.

[2]: ينظر : تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 103.

[3]: الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص : 316.

[4]: سورة آل عمران ، الآية : 139.

[5]: التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج4 ، ص : 98.

5/ التذكير :

يقول الله تعالى : « وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ »[1]، يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية : « " فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره " الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ، ويؤيده الغاية ، وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة [2]، من قوله : « وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ »[3].

6/ المبالغة :

يفيد النهي لدى البيضاوي معنى المبالغة ، ومنه قوله تعالى : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتب أجله »[4]، يقول البيضاوي : « " ولا تعزموا عقدة النكاح " ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد ، أي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح ، وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح فإن أصل العزم القطع »[5].

ومنه أيضا قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ)[6]، [6]، يقول البيضاوي : « " فلا يقربوا المسجد الحرام " لنجاستهم ، وإنما نهى عن الاقتراب للمبالغة ، ، أو للمنع عن دخول الحرم ، وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا»[7].

رابعا : النداء :

---

[1]: سورة النساء ، الآية : 140.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 103 – 104.

[3]: سورة الأنعام ، الآية : 68.

[4]: سورة البقرة ، الآية : 135.

[5]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 146.

[6]: سورة التوبة ، الآية : 28.

[7]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 77.

النداء من أساليب الإنشاء الطلبية ، و « المنادى هو المطلوب إقباله بحرف نداء ظاهر أو مقدر ، وحروف النداء هي : " يا وأيا وهيا وأي والهمزة »[1]، وذلك نحو قوله تعالى : (يَـٰٓـَٔادَم أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ)[2].

والملاحظ في أسلوب النداء أنه يصحبه في الأكثر الأمر والنهي والغالب تقدمه ، نحو : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ)[3]، وقوله : (يَـٰعِبَاد فَٱتَّقُونِ)[4]، وقوله : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا لَا تُقَدِّمُواْ)[5]، كما قد تصحبه الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر ، نحو : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ)[6]، وقد لا تعقبها[7]، نحو قوله تعالى : (يَـٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ[8].

وأسلوب النداء كثيرا ما يخرج عن أصل وضعه ليؤدي معان بلاغية ، ذكر منها السيوطي[9]:

- الاختصاص ، كقوله : (رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت)[10].
- التعجب ، كقوله : (يَـٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ)[11].
- التحسر ، كقوله تعالى : (يَـٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا)[1].

---

[1]: معاني النحو ، السامرائي ، ج4 ، ص : 692.

[2]: سورة البقرة ، الآية : 33.

[3]: سورة البقرة ، الآية : 21.

[4]: سورة الزمر ، الآية : 16.

[5]: سورة الحجرات ، الآية : 1.

[6]: سورة الحج ، الآية : 73.

[7]: الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ص : 583.

[8]: سورة الزخرف ، الآية : 68.

[9]: الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ص : 584.

[10]: سورة هود ، الآية : 23.

[11]: سورة يس ، الآية : 30.

- إظهار الحرص ، كقوله تعالى : (يَـٰمُوسَى أَقۡبِلۡ)[2].

وتعددت معانيه المجازية في تفسير البيضاوي ، تبعا للسياق وقرائن الحال.

دلالة النداء في تفسير البيضاوي.

1/ التحسر :

يقول الله تعالى : (يَـٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)[3]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحقاء بأن يتحسروا من الله عليهم ، وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين»[4].

ومن هذا المعنى قوله أيضا : (فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَـٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَـٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ)[5].

يقول البيضاوي : روي أنه لما قتله تحير في أمره ، ولم يدر ما يصنع به ، إذ كان أول ميت من بني آدم ، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ، فحفر له بمنقاره ورجليه ، ثم ألقاه في الحفرة والمراد بسوأة أخيه جسده الميت ، فإنه مما يستقبح أن يرى ، " قال يا ويلنا " كلمة جزع وتحسر ، والألف فيها بدل من ياء المتكلم[6].

2/ التنبيه والتحذير :

---

[1]: سورة النبأ ، الآية : 40.

[2]: سورة القصص ، الآية : 31.

[3]: سورة يس ، الآية : 30.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 267.

[5]: سورة المائدة ، الآية : 31.

[6]: ينظر : تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 124.

ومنه قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) [1]، يقول البيضاوي : « " يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما " للتنبيه على ضعف عقيدتهم ، وأن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه ، وإنما يريد أن يكون معكم لمجرد المال »[2].

ومثاله أيضا قوله – جل ثناؤه : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا) [3]، يقول البيضاوي : « " يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للأعداء ، والحذر كالأثر والأثر ، وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح »[4].

3/ التعجب :

يجيء النداء ليفيد التعجب ، ومنه قوله تعالى : (قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ) [5]، يقول البيضاوي : « " قالت يا ويلتي " يا عجبا ، ، وأصله في الشر فأطلق على كل أمر قطيع »[6]، فقد استعجب بأمر الإنجاب من هرمين وهذا ما يخالف العادة ، ولا يخالف قدرة الله تعالى.

---

[1]: سورة النساء ، الآية : 73.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 83.

[3]: سورة النساء ، الآية : 71.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 83.

[5]: سورة هود ، الآية : 72.

[6]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 141.

4/ التخصيص :

يقول الله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [1]، يقول البيضاوي : « إن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات ، وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس يبدع ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات ، وأهل البيت نصب على المدح والنداء لقصد تخصيصهم »[2].

ولم تفت البيضاوي نكتة حذف حرف النداء البلاغية ، بل رأى في حذفه قربا من المنادى، ويظهر هذا من خلال تفسيره لهذه الآية : ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ [3]، يقول البيضاوي : « " يوسف " حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث »[4].

خامسا : التمني :

عرف السيوطي التمني بقوله : « هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة ، ولا يشترط إمكان المتمنى ، بخلاف المترجى »[5]. وحرف التمني الموضوع له " ليت " نحو : ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ [6]، [6]، كما قد يتمنى بـ " هل " حيث يعلم فقده نحو : ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾ [7]، و و بـ

" لو " ، نحو : ﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ﴾ [8]، وقد يتمنى بـ " لعل " في البعيد فتعطي حكم ليت [1]، نحو : ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ [2].

---

[1]: سورة هود ، الآية : 73.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 143.

[3]: سورة يوسف ، الآية : 29.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 161.

[5]: الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ص : 582.

[6]: سورة الأنعام ، الآية : 27.

[7]: سورة الأعراف ، الآية : 53.

[8]: سورة الشعراء ، الآية : 102.

ونجد عند البيضاوي تعريفا لمعنى التمني ، وهو تعريف يدنو كثيرا من تعاريف النحويين للتمني ، ونلمس ذلك حين تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [3]، يقول البيضاوي : « " لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض " من الأمور الدنيوية كالجاه والمال ، فلعل عدمه خير ، والمقتضي للمنع كونه ذريعة إلى التحاسد و التعادي ، معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له ، وأنه تشه لحصول الشيء له من غير طلب وهو مضموم ، لأن تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر »[4].

دلالة التمنى في تفسير البيضاوي.

1/ الاستحياء :

وجيء بهذا المعنى قوله تعالى على لسان مريم – عليها السلام – : ﴿ قَالَت يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا ﴾ [5]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « " قالت يا ليتني مت قبل هذا " استحياء من الناس ومخافة لومهم»[6].

2/ الندم والتوبة :

ومثاله قوله تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [7]، يقول البيضاوي : « " يا ليتني لم أشرك

---

[1]: ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ص : 583.

[2]: سورة غافر ، الآية : 36.

[3]: سورة النساء ، الآية : 32.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 71 – 72.

[5]: سورة مريم ، الآية : 23.

[6]: تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 8.

[7]: سورة الكهف ، الآية : 42.

بربي أحدا " كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتى من قبل شركه ، فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ، ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه »[1].

ومن هذا كله ، تبين أن البيضاوي عنى بالإنشاء الطلبي أيما عناية ، وبين معانيه المجازية ، وأسراره الدلالية ، ولم يبتعد ما جاء به في هذا الباب عن غيره من نحويين ومفسرين.

[1]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 282.

الفصل الخامس : دلالة الأساليب الخبرية في تفسير البيضاوي

أ/ أضرب الخبر.

ب/ مؤكداته :

1/ القسم.

2/ حرف الاستقبال.

3/ قد.

4/ ضمير الفصل.

5/ الباء الزائدة.

6/ اللام.

7/ التكرار.

ج/ دلالة الجملة الفعلية والجملة الاسمية.

د/ أغراض الجمل الخبرية في تفسير البيضاوي.

1/ الأمر.

2/ النهي.

3/ الوعيد.

4/ الوعد.

5/ الدعاء.

6/ التنبيه.

7/ التهكم.

8/ التسلية.

يأتي الانزياح بوصفه سمة بلاغية أسلوبية ، تؤدي إلى المشاركة في منظومة المعاني المتعددة لألفاظ اللغة ، وذلك بخروج الألفاظ عن مألوفها إلى معان أخرى غير متداولة لدى مستخدمي اللغة، وتوظيفها توظيفا خارجا عما وقر في السائد والمألوف ، وهذا ما يضفي على أسلوب الانزياح جماليات كبرى.

ومن إحدى جمالياته صياغة الجملة العربية صياغة خبرية ، ودلالتها تكون دلالة إنشائية ، بحيث تفيد معنى من معاني الأساليب الإنشائية ، وتؤدي وظيفة من وظائفها ، ولعل الدارس المتأمل في الأساليب الخبرية الواقعة موقع الإنشاء ليجدها تتكرر كثيرا في كتاب الله.

والجملة الخبرية هي ما احتملت التصديق والتكذيب في ذاتها ، بغض النظر عن قائلها ، فكل كلام يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب فهو خبر ، فإذا كان الكلام صادقا لا يحتمل الكذب ، أو كان كاذبا لا يحتمل الصدق أو كان يحتملهما فهو خبر ، فقولنا : « السماء فوقنا، وشربت البحر، وأسافر غدا »، كلها جمل خبرية[1].

فلا يمكن القول لمن أمر بشيء ، أو نهى عن شيء ، أو تمنى شيئا ، أو استفهم عن شيء، أو نادى أحدا ، أن هذا صدق أو كذب ، لأن الصدق والكذب إنما يوصف بهما الشيء الذي ادعينا وقوعه ، والحكم الذي أثبتناه لشيء ما ، وهناك نوع من الكلام لا يمكن أن يحتمل الكذب أبدا فكلام الله تبارك وتعالى صدق ، وكذلك ما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، كذلك كل كلام يجزم بصدق قائله لا يحتمل كذبا[2].

أ/ أضرب الخبر :

إن للجملة الخبرية معنى يحدد تركيبها ، فإذا أطلقت خالية من أي تأكيد كانت لها دلالة ، وإذا أكدت بمؤكد واحد أو أكثر كانت لها دلالة أخرى ، وقد انتبه العرب إلى ذلك في إطلاقهم الخبر[3]، وقد أشار عبد القاهر إلى هذه الاختلافات فقال : « واعلم أن مما أغمض الطريق إلى

---

[1]: ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 2007 ، ص : 170.

[2]: ينظر : البلاغة فنونها أفنانها علم المعاني ، فضل حسن عباس ، ص : 100- 101.

[3]: أساليب بلاغية الفصاحة البلاغة المعاني ، أحمد مطلوب ، ص : 90.

معرفة ما نحن بصدده ، أن ههنا فروقا خفية ، تجهلها العامة وكثير من الخاصة ، ليس أنهم يجهلونها في موضع ويعرفونها في آخر ، بل لا يدرون أنها هي ، ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل »[1].

ويستدل على هذا برواية عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس * ، وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشوا ! فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد ، فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فولهم : عبد الله قائم ، إخبار عن قيامه ، وقولهم : « إن عبد الله قائم ، جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : إن عبد الله لقائم ، جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني ، فليس سواء دخولها وأن لا تدخل ، وهذا الضرب كثر في التنزيل جدا[2]، من ذلك قوله تعالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ }[3].

ولقد قسم البلاغيون طرائف تقديم الخبر للمخاطب إلى ثلاثة أضرب تمكن إيجازها كالآتي[4]:

- وإما أن يكون مترددا في الحكم طالبا لمعرفته ، فيستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية للحكم ، ليتمكن من نفسه ، ويطرح الخلاف وراء ظهره نحو : إن الأمير منتصر ، ويسمى هذا الضرب من الخبر طلبيا.
- وإما أن يكون منكرا للحكم الذي يراد إلقاؤه إليه ، معتقدا خلافه ، فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر ، على حسب إنكاره قوة ضعفا ، نحو : إن أخاك قادم ، أو إنه لقادم ، أو والله إنه لقادم ، أو لعمري إن الحق يعلو ولا يعلى عليه ، ويسمى هذا الضرب من الخبر ضربا إنكاريا ، وكما يكون التأكيد في الإثبات يكون في النفي أيضا.

---

[1]: دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص : 315.

* يقصد به : المبرد.

[2]: ينظر : دلائل الإعجاز ، ص : 315 – 316.

[3]: سورة الحج ، الآية : 1.

[4]: ينظر : البلاغة فنونها أفنانها علم المعاني ، فضل حسن عباس ، ص : 100- 101.

وقد أشار البيضاوي إلى أضرب الخبر في تفسيره للآية : { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ }[1]. وذلك في قوله : إن من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ، ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه ، والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ، ولذلك أعملت عمله الفرعي ، وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذانا بأنه فرع في العمل دخيل فيه ، وفادتها تأكيد النسبة وتحقيقها ، ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة ، وتذكر في معرض الشك[2]، مثل قوله تعالى : { وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ }[3]، وقوله أيضا : { وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ }[4]، ولعل ما يستفاد من قوله هذا أن إن حرف مشبه بالفعل من حيث عدد الحروف والبناء وكذا العمل ، وأيضا أنها تفيد معنى التأكيد ، وتؤتى بها في الخبر الطلبي ، وذلك حين يكون المخاطب مترددا في الحكم طالبا معرفته.

ونلمح في تفسيره للآية : { قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾}[5]، إشارة واضحة إلى الخبر الإنكاري ، حيث يقول : « استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم ، وزادوا اللام المؤكدة لأنه جواب عن إنكارهم »[6]. معنى ذلك إن أصحاب القرية حين أرسل إليهم الرسل ، ، أسرعوا في تكذيبهم ، فقال لهم المرسلون : إنا إليكم مرسلون من ربكم الذي خلقكم ، ودعوهم

---

[1]: سورة البقرة ، الآية : 6.

[2]: ينظر : تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 41.

[3]: سورة الكهف ، الآية : 83.

[4]: سورة الأعراف ، الآية : 104.

[5]: سورة يس ، الآية : 16.

[6]: تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 265.

إلى إخلاص العبادة له – سبحانه – والتبرأ من عبادة الآلهة والأوثان ، فمقام الكلام استدعى أكثر من مؤكد ههنا.

ب/ مؤكدات الخبر :

للخبر أدوات كثيرة يؤكد بها ، ويؤتى بها ردا للإنكار ، أو إزالة للتردد والشك ومنها ما يأتي: إنّ : وهي في الحروف المشبهة بالفعل ، والتي تختص بالدخول على الجمل الاسمية ، وهي من النواسخ التي تنصب الاسم وتبقى الخبر مرفوعا ، و « وظيفتها أو فائدتها التأكيد لمضمون الجملة أو الخبر ، فإن قال القائل : إن الحياة جهاد ، ناب مناب تكرير الجملة مرتين ، إلا أن قولك : إن الحياة جهاد، أوجز من قولك : الحياة جهاد ، الحياة جهاد ، مع حصول الغرض من التأكيد ، فإن أدخلت اللام وقلت : إن الحياة لجهاد ، ازداد معنى التأكيد ، وكأنه كمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات وهذا الإيجاز أو الاقتصاد في ألفاظ الجملة مع حصول الغرض من التوكيد هو الذي يعطي مثل هذه الجملة قيمتها البلاغية ، على أساس أن البلاغة هي الإيجاز »[1]. وهذه القيمة البلاغية قد لمسها الجرجاني في بيت أبي نواس[2]:

عليك باليأس من الناس إن غنى نفسك في الياس

فقد ترى حسن موقع " إن " ، وكيف قبول النفس لها ، وليس ذلك إلا لأن الغالب على الناس أنهم لا يحملون أنفسهم على اليأس ، فلما كان كذلك ، كان الموضع موضع فقر إلى التأكيد، لذلك كان من حسنها ما ترى[3].

1/ القسم :

ومن أشهر أحرفه : الواو ، والباء والتاء واللام ، و « الغرض من القسم توكيد الكلام وتقويته ، فإذا أقسمت على شيء فقد أكدته ، ويطلق على القسم اليمين أو الحلف أيضا ، ولفظهما يفيد

---

[1]: علم المعاني ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009 ، ص : 55.

[2]: ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تح : بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي ، الإمارات، ط1 ، 2010 ، ص : 683.

[3]: ينظر : دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص : 325.

معنى القوة »[1]، ومنه قوله تعالى : { وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ }[2]، وقوله : { قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ }[3]، وقوله : { وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ }[4]. وقوله : { وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ }[5].

ويقول البيضاوي في تفسير هذه الآية : { وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣ }[6]، « إنكار لمجيئها أو استبطاء ، استهزاء بالوعد به ، " قل بلى " رد لكلامهم وإثبات لما نفوه ، و" ربي لتأتينكم عالم الغيب " ، تكرير لإيجابه مؤكدا بالقسم ، مقررا لوصف المقسم به ، بصفات تقرر إمكانه ، وتبقي استبعاده على مر غير مرة »[7].

ولم يختلف ما جاء به ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية عما رآه البيضاوي بحيث يقول : «وأكد ما اقتضاه " بلى " من إثبات إتيان الساعة بالقسم على ذلك للدلالة على ثقة المتكلم بأنها آتية ، وليس ذلك لإقناع المخاطبين وهو تأكيد يروع السامعين المكذبين »[8]، فإنكار الكفار لمجيء يوم الحساب استدعى التأكيد بالقسم ، وإشارة البيضاوي وابن عاشور واضحة للخبر الإنكاري ،

---

[1]: معاني النحو ، السامرائي ، ج4 ، ص : 536.

[2]: سورة الضحى ، الآية : 1 و2.

[3]: سورة يوسف ، الآية : 85.

[4]: سورة التين ، الآية : 1 – 2 – 3.

[5]: سورة الأنبياء ، الآية : 57.

[6]: سورة سبأ ، الآية : 3.

[7]: تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 241.

[8]: تفسير ابن عاشور ، ج22 ، ص : 139.

فمتى كان الخبر ردا على إنكار المخاطب ، لزم أكثر من مؤكد كالقسم واللام المؤكدة ههنا لإزالة تردده وشكه.

2/ حرفا الاستقبال :

السين و" سوف " حرفا الاستقبال ، وكذا مما حرفان مؤكدان ، فإذا دخلا على الخبر يفيدان أنه واقع ولاشك في ذلك ، وهذا ما أكده وأشار إليه البيضاوي في تفسيره للآية : { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ }[1]، حيث يقول : « " أولئك سوف نؤتيهم أجورهم " الموعودة لهم ، وتصديره بسوف لتأكيد الوعد ، والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر »[2]، وقد سبق إلى هذا المعنى الزمخشري في كشافه قائلا : « " سوف يؤتيهم أجورهم " معناه : أن إيتاءها كائن لا محالة ، وإن تأخر ، فالغرض منه توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا»[3].

والسين أيضا تفيد معنى التوكيد ، ومنه قوله تعالى : { وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ }[4]، يقول البيضاوي : « " أولئك سيرحمهم الله " لا محالة ، فإن السين مؤكدة للوقوع "»[5]، "»[5]، أي إن رحمة الله واقعة بالمؤمنين الذين من صفاتهم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقام وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

---

[1]: سورة النساء ، الآية : 152.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 106.

[3]: الكشاف ، الزمخشري ، ج2 ، ص : 171.

[4]: سورة التوبة ، الآية : 71.

[5]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 88.

3/ قد :

وهي حرف تحقيق إذا دخلت على الماضي ، فتثبته وتؤكده وهذا ما ذهب إليه البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى : { قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ }[1]، يقول البيضاوي : « " قد أفلح المؤمنون " قد فازوا بأمانيهم ، وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه ، وتدل على إثباته إذا دخلت على فضل الله صدرت بها بشارتهم »[2]. فقد أخبر الله تعالى عن فلاح المؤمنين ، وأنهم نالوا البغية ، وأحرزوا البقاء الدائم[3]، فهذا أمر حق ولا محالة حاصل.

4/ ضمير الفصل :

وهو عادة ضمير رفع منفصل ، ويؤتى به للفصل بين الخبر والصفة ، نحو : محمد هو النبي ، فلو لم يؤت بالضمير هو ، لاحتمل أن يكون النبي خبرا عن محمد ، وأن يكون صفة له ، فلما أوتي بضير الفصل "هو" تعين أن يكون النبي خبرا عن المبتدأ وليس صفة له ، فضمير الفصل على هذا الأساس ، يزيل الاحتمال والإبهام من الجملة التي يدخل عليها وبالتالي يفيد ضربا من التأكيد ، ولهذا عد من أدوات توكيد الخبر [4]، وهذه القيمة البلاغية لضمير الفصل لم تفت البيضاوي بل وقف عليه وقفة واضحة في معرض تفسيره للآيات : { وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦ }[5].

يقول البيضاوي : « "وإنا لنحن الصافون " في أداء الطاعة ومنازل الخدمة ، و" إنا لنحن المسبحون " المنزهون الله عما لا يليق به ، ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعة ، وهذا في المعارف ، وما في إن واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لأنهم المواظبون على ذلك دائما

---

[1]: سورة المؤمنون ، الآيتان : 1 و2.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 81.

[3]: ينظر : تفسير ابن عطية ، ج4 ، ص : 136.

[4]: ينظر : علم المعاني ، عبد العزيز عتيق ، ص : 57.

[5]: سورة الصافات ، الآيات : 164 – 165 – 166.

من غير فترة دون غيرهم » [1]، ويقول ابن عاشور : « وضمير الفصل من قوله " لنحن " يفيدان قصرا مؤكدا فهو قصر قلب ، أي دون ما وصفتموه به من النبوة لله »[2].

5/ الباء الزائدة :

وتزاد في المرفوع ، والمنصوب والمجرور ؛ أما المرفوع ففي الفعل لازما كقولك : أكرم بزيد ، وغير لازم كقوله تعالى : { كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا }[3]، وفي المبتدأ كقولك : بحسبك قول السوء ، وفي الخبر كقوله تعالى : { وجزاء السيئة بمثلها } ، وأما المنصوب فكقوله تعالى : { وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ } [4]، ومنه : ليس زيد بقائم ، وأما المجرور فقد جاء في الشعر شاذا[5].

وتدخل الباء الزائدة على أخبار ما ، لا ، ليس ، وكان المنفية ، لتأكيد النفي كقوله تعالى : { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَومِ ٱلْأَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ }[6]، ويقول سيبويه: « وقد تكون باء الإضافة بمنزلتها* في التوكيد وذلك قولك : ما زيد بمنطلق ، ولست بذاهب أراد أن يكون مؤكدا حيث نفي الانطلاق والذهاب »[7].

---

[1]: تفسير البيضاوي ، ج5 ، ص : 20.

[2]: تفسير ابن عاشور ، ج23 ، ص : 123.

[3]: سورة الرعد ، الآية : 43.

[4]: سورة البقرة ، الآية : 195.

[5]: ينظر : البديع في علم العربية ، ابن الأثير ، تح : فتحي أحمد علي الدين ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ط1 ، 2000 ، ج1 ، ص : 240 – 241.

[6]: سورة البقرة ، الآية : 8.

* يقصد اللام المؤكدة.

[7]: الكتاب ، سيبويه ، ج3 ، ص : 236.

وهذا ما فطن إليه البيضاوي في تفسير هذه الآية : { لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ }[1]، حيث يقول : « " لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين " قيل: كان هابيل أقوى منه ، ولكن تحرج عن قتله ، واستسلم له خوفا من الله – سبحانه وتعالى – ، لأن الدفع لم يبح بعد ، أو تحريا لما هو الأفضل ، قال عليه الصلاة والسلام : «كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل » ، وإنما قال : " ما أنا بباسط " في جواب "لئن بسطت" للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا ، والتحرز من أن يوصف به ، ويطلق عليه ، ولذلك أكد النفي بالباء »[2].

فوجه هابيل موعظة لأخيه ليذكره خطر هذا الجرم الذي أقدم عليه ، وفيه إشعار بأنه يستطيع دفاعه ، ولكنه منعه منه خوف الله تعالى ، والظاهر أن هذا اجتهاد من هابيل في استعظام جرم قتل النفس ، ولو كان القتل دفاعا ، فقد رأى هابيل للنفوس حرمة ولو كانت ظالمة، ورأى في الاستسلام لطالب قتله إبقاء على حفظ النفوس ، لإكمال مراد الله من تعمير الأرض ، ويمكن أن يكونا قد تلقيا من أبيهما الوصاية بحفظ النفوس صغيرها وكبيرها ، ولو كان في وقت الدفاع[3].

6/ اللام :

وتجيء اللام للتوكيد في مواضع ، منها بعد كان المنفية ، وتسمى لام الجحود ، مثل قوله تعالى: { وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ }[4]، اللام لتأكيد النفي ، كالباء الداخلة في خبر ليس ، ، ومعنى قولهم : إنها للتأكيد ، أنك إذا قلت : ما كنت أضربك ، بغير لام جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه فإذا قلت : ما كنت لأضربك ، فاللام جعلته بمنزلة مالا يكون أصلا[5].

---

[1]: سورة المائدة ، الآية : 28.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 123.

[3]: تفسير ابن عاشور ، ج6 ، ص : 170 – 171.

[4]: سورة الأنفال ، الآية : 33.

[5]: ينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ص : 676.

وتأتي مؤكدة أيضا في مواضع أخرى ، مثل قوله تعالى : { ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ } [1]، فالله – سبحانه وتعالى – في هذه الآية أكد إثبات الموت الذي لا ريب فيه تأكيدين ، وأكد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيدا واحدا ، وكان المتبادر العكس ، لأن التأكيد إنما يكون حيث الإنكار ، وتفسير ذلك أن البعث لما قامت البراهين القاطعة عليه ، صار المنكر له كالمنكر للبديهيات ، فلم يحتج إلى تأكيد، وأما الموت فإنه – وإن أقروا به – لكن لما لم يعلموا ما بعده ، نزلوا منزلة من لم يقر به ، فاحتاج إلى تأكيد ذلك[2].

يقول الله تعالى : { تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ }[3]، يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية : « ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات» بالمعجزات ، « فما كانوا ليؤمنوا » عند مجيئهم بها ، « بما كذبوا من قبل » بما كذبوه من قبل الرسل ، بل كان مستمرين على التكذيب ، أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل ، ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة ، واللام لتأكيد النفي ، والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر ، والطبع على قلوبهم[4].

والمذهب نفسه ذهب إليه ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية حيث يقول : « والفاء في قوله " فما كانوا ليؤمنوا " لترتيب الإخبار بانتفاء إيمانهم عن الإخبار بمجيء الرسل إليهم بما من شأنه أن يحملهم على الإيمان ، وصيغة " ما كانوا ليؤمنوا " تفيد مبالغة النفي بلام الجحود الدالة على أن حصول الإيمان كان منافيا لحالهم من التصلب في الكفر ، فالمعنى : استمر عدم إيمانهم ، وتمكن منهم

---

[1]: سورة المؤمنون ، الآيتان : 15 – 16.

[2]: ينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ص : 676.

[3]: سورة الأعراف ، الآية : 101.

[4]: ينظر : تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 26.

الكفر في حين كان الشأن أن يقلعوا عنه »[1]، فهؤلاء المشركون من أهل القرى ما كان ليؤمنوا عند مجيء الرسل إليهم بالبينات والمعجزات.

7/ التكرار :

إن التكرار من محاسن البلاغة ، وأسلوب من أساليب الفصاحة ، فمن عادة العرب تكرار الكلام الذي تريد تحقيقه ووقوعه ، وفوائده تختلف باختلاف السياق كتكرار الدعاء ، أو الإنذار أو الوعد وغيرها ، وقد جاء في القرآن الكريم في سور كثيرة ، ولأغراض بيانية متنوعة نبه إليها المفسرون ، وبحثوا في أسبابها ، وكشفوا عن مواطن الإعجاز فيها ، ولعل أهم فوائد التكرار العظمى التي خلصوا إليها التأكيد.

يقول الله تعالى : { أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ }[2]، وأسباب الزيادة ههنا تأكيد الردع والإنذار ، ويقول الله تعالى : { فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }[3]، وقد تكررت هذه الآية في السورة تأكيدا على الحث على شكر نعمة من النعم ، والتكرار في قوله تعالى : { وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ }[4]، جاء تبكيتا ، فقد ذكرت هذه الآية أكثر من مرة في سورة المرسلات تأكيدا على أمر من الأمور سواء كانت هذه الآية في أحوال الأمم ، أو في أحوال النفس أو في أثار قدره الله في الأرض ، أو في أخبار الآخرة[5]، وقوله أيضا : { وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ

---

[1]: تفسير ابن عاشور ، ج9 ، ص : 30 – 31.

[2]: سورة التكاثر ، الآيات : 1 – 2 – 3 - 4.

[3]: آية مكررة في سورة الرحمن.

[4]: آية مكررة في سورة المرسلات.

[5]: ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ، فصل حسن عباس ، ص : 487.

ٱلدِّينِ }[1]، « تعجيب وتفخيم لشأن الـ " يوم " ، أي كنه أمره بحيث لا تدركه دراية دار »[2].

كما قد تكون الكلمة بصفة مشتقة من مادتها بغرض التأكيد ، ومنه قوله تعالى : { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلٗا } [3]، يقول البيضاوي في تفسيره للآية الكريمة : « " لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا " فينانا لا جوب فيه ، ودائما لا تنسخه الشمس وهو إشارة إلى النعمة التامة الدائمة ، والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم : شمس شامس ، وليل أليل ، ويوم أيوم »[4]، وما ذهب إليه البيضاوي قد سبقه الزمخشري في الكشاف حيث قال : " ظليلا " : صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه »[5]، فقد فسر كل من الزمخشري والبيضاوي هذا التكرار لزيادة بالتأكيد.

ج/ دلالة الجملة الفعلية والجملة الاسمية :

قد صرح علماء البلاغة والنحو أن الجملة الفعلية تدل في أصل وضعها على الاستمرار والحدوث ، فإذا كانت مبدوءة بفعل ماض مثلا دلت على حدوث الأمر في الزمن الماضي ، كقولنا : نجحت في الامتحان ، فالنجاح أمر قد حصل ، وأما الجملة الاسمية فتدل على الثبات والاستقرار ، وقد تخرج عن هذا بحسب القرائن.

ومنه قوله تعالى : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ }[6]، « فسياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت »[7]، وهذا من باب التجوز في القول ، وأما الصحيح فهو أن

---

[1]: سورة الانفطار ، الآيتان : 17 – 18.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج5 ، ص : 294.

[3]: سورة النساء ، الآية : 57.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص :79.

[5]: الكشاف ، الزمخشري ، ج2 ، ص : 94.

[6]: سورة القلم ، الآية : 04.

[7]: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، ص : 67.

الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث ، فمنطلق يدل على الثبوت ، وينطلق يدل على الحدوث والتجدد ، ويتفقه يدل على الحدوث ، ومتفقه يدل على الثبوت ، فقولك " هو خطيب " وهو متعلم " وهو " حافظ " يدل على الثبوت ، وقولك " هو يخطب ، وهو يتعلم ، وهو يحفظ ، يدل على الحدوث[1].

فالجملة لا تدل على حدوث أو ثبوت ، ولكن الذي على الحدوث أو الثبوت ، ما فيها من اسم أو فعل ، فالجملتان " يحفظ محمد" ومحمد يحفظ ، كلتاهما تدلان على الحدوث ، إلا أنه قدم الاسم في الجملة الثانية لغرض من أغراض التقديم كالاختصاص أو إزالة الشك ، أما من حيث الدلالة على الحدوث فهما متشابهتان[2].

د/ أغراض الجمل الخبرية في تفسير البيضاوي :

قد يخرج الخبر – الذي هو كلام يحتمل أن يكون صادقا أو كاذبا – عن غرضه الأصلي ليدل على أغراض بلاغية ومعان مجازية أخرى ، تفهم من سياقات الكلام ، وتعرف بالتدبر في القرائن ، وهي كثيرة كالفخر والأمر والنهي ، والتوبيخ ، والوعد والوعيد والتحسر والتعبير عن الفرح والنصح وغيرها ، وهذه الأغراض والمعاني قد وقف عليها البيضاوي في تفسيره وقفة تأمل وكشف عنها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخبر في الأصل أن يلقى لغرضين هما : الأول إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلا له نحو : « الدين المعاملة ، ويسمى فائدة الخبر ، والثاني إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضا بالحكم الذي يعمله المخاطب ، كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان ، وعلمته عن طريق آخر : أنت نجحت في الامتحان ويسمى ذلك الحكم » لازم الفائدة[3].

ومن جملة الأغراض التي يخرج الخبر فيها عن غرضيه الأصليين ما يأتي :

1/ الأمر :

---

[1]: ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، السامرائي ، ص : 162.

[2]: ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3]: ينظر : جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، ص : 56.

قد يوضع الخبر موضع الطلب في الأمر ، وجاء في آيات كثيرة في القرآن الحكيم ، منها قوله تعالى : { وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ }[1]. يقول البيضاوي في تفسيرها : « أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب، أو الوجوب فيخص بما إذا لم يرتضع الصبي إلا من أمه ، أو لم يوجد له ظئر ، أو عجز الوالد عن الاستئجار ، والوالدات يعم المطلقات وغيرهن »[2]، وأفاد الزمخشري أن " يرضعن خبر في معنى الأمر المؤكد [3]، فزاد الزمخشري فائدة التأكيد على معنى الأمر.

ومنه أيضا قوله تعالى : { وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ }[4]، يقول البيضاوي مفسرا : « " يتربصن " خبر بمعنى الأمر، وتغيير العبارة للتأكيد ، والإشعار بأنه ما يجب أن يسار إلى امتثاله ، وكأن المخاطب قصد أن يمتثل الأمر ، فيخبر عنه كقولك في الدعاء : رحمك الله ، وبناؤه على المبتدأ يزيده فصل تأكيد»[5].

وقال ابن عاشور في تفسيره هذه الآية : « وجملة " المطلقات يتربصن " خبرية مراد بها الأمر، فالخبر في لازم معناه ، وهو التقرر والحصول »[6]، فهنا أكد المفسران على أن الخبر موضع الأمر يجعله آية في الدقة ، وغاية في الإحكام ، ويجعله أكثر توكيدا ، وفيه حث على المسارعة في الامتثال للأوامر.

---

[1]: سورة البقرة ، الآية : 233.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 144.

[3]: الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص : 456.

[4]: سورة البقرة ، الآية : 228.

[5]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 141.

[6]: تفسير ابن عاشور ، ج2 ، ص : 388.

ومنه أيضا قوله تعالى : { فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ }[1]، يقول البيضاوي : « " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون"، إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى ، والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته، وتتجدد فيها نعمته ، أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزهه ، واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السماوات والأرض ، وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر ، وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين إذا نقص نورها ، والظهيرة التي هي وسطه لأن تجدد النعم فيهما أكثر »[2].

وقال الفراء : « " فسبحان الله حين تمسون " يقول : فصلوا " حين تمسون " وهي المغرب والعشاء " وحين تصبحون " صلاة الفجر ، و" عشيا " صلاة العصر ، و" حين تظهرون " صلاة الظهر »[3]، فرأى الفراء في هذه الأخبار أمر بأداء الصلوات لله ، فالأمر هنا جاء بصيغة الخبر ، وكان هذا أبلغ.

2/ النهي :

وغير بعيد عن معنى الأمر ، قد يخرج الخبر إلى معنى النهي الذي هو من الإنشاء الطلبي ، ولقد فصل البيضاوي القول في بلاغة النهي عن طريق الخبر ، ويظهر هذا من خلال تفسيره لآيات كثيرة في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا }[4]، يقول البيضاوي : « " إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا

---

[1]: سورة الروم ، الآيتان : 17 – 18.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج4 ، ص : 203.

[3]: معاني القرآن ، الفراء ، ص : 323.

[4]: سورة البقرة ، الاية : 83.

إلا الله " ، إخبار في معنى النهي ، كقوله تعالى : " وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ "[1]، وهو أبلغ من صريح النهي ، لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء ، فهو خبر عنه »[2].

وكلام البيضاوي في هذا الأمر ، لم يتفرّد به ، بل سبقه إليه الزمخشري في الكشاف ، حيث قال : « " لا تعبدون " إخبار عن معنى النهي ، كما تقول : تذهب إلى فلان تقول له كذا ، تريد الأمر ، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي ، لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء ، فهو يخبر عنه»[3].

ومنه أيضا قوله تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[4]. يقول البيضاوي : « " ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين " ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع ، فضلا عن أن يمنعوهم منها ، أو ما كان لهم في علم الله وقضائه ، فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة ، واستخلاص المساجد منهم ، وقد أنجز وعده ، وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد »[5].

ويقول الفراء : « وقوله : " أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين " : هذه الروم كانوا غزوا بيت المقدس ، فقتلوا وحرقوا وخربوا المسجد ، وإنما أظهر الله عليهم المسلمين في زمن عمر – رحمه الله – فبنوه ، ولم تكن الروم تدخله إلا مستخفين ، ولو علم بهم لقتلوا »[6].

---

[1]: سورة البقرة ، الآية : 282.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 91.

[3]: الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص : 290.

[4]: سورة البقرة ، الآية : 114.

[5]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 101.

[6]: معاني القرآن ، الفراء ، ج1 ، ص : 74.

ومن أمثلة قوله أيضا – سبحانه وتعالى : { لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[1]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « "لا الإكراه في الدين " إذ الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ، ولكن " قد تبين الرشد من الغي " تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة ، ودلت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية ، والعاقل متى تبين له ذلك ، بادرت نفسه إلى الإيمان طلبا للفوز بالسعادة ، ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء ، وقيل : إخبار في معنى النهي ، أي لا تكرهوا في الدين »[2].

والمعنى نفسه أشار إليه ابن عاشور في تفسيره حيث يقول : « ونفي الإكراه خبر في معنى النهي ، والمراد نفي أسباب الإكراه في حكم الإسلام ، أي لا تكرهوا أحدا على أتباع الإسلام قسرا ، وجيء بنفي الجنس لقصد العموم نصا ، وهي دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه ، لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال ، والتمكين من النظر ، وبالاختيار »[3]. فلا إكراه في الدين خبر جاء بمعنى النهي ، أي لا يلزم أحد غيره فعلا لا يرى فيه خيرا.

وقد وقف أيضا البيضاوي على بلاغة الخبر بمعنى النهي في الآيات : { إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ }[4]، حيث يقول – رحمة الله عليه – : « " في كتاب مكون " مصون وهو اللوح المحفوظ ، " لا يمسه إلا المطهرون " لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة ، أو لا يمس القرآن " إلا المطهرون " من

---

[1]: سورة البقرة ، الآية : 256.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 154.

[3]: تفسير ابن عاشور ، ج3 ، ص : 26.

[4]: سورة الواقعة ، الآيات : 77 – 78 – 79.

الأحداث فيكون نفيا بمعنى النهي »[1]، فلفظ الآية خبر ، ومعناه طلب ، فقد نهى الله عن مس الكتاب لمن هو على حدث.

3/ الوعيد :

والوعيد ضد الوعد ، وذلك لما يحمله من معاني التهديد والإنذار والتوعد بالشر ، وقد أفاد الخبر في كتاب الله العزيز هذا المعنى ، وقد كشف البيضاوي عن هذه الدلالة البلاغية ، وأوضح فائدتها ، ومنه قوله تعالى : { أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ }[2]، يقول البيضاوي : « " وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات ، وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أنها نزلت في أخبار المدينة ، كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد – عليه الصلاة والسلام – ولا يتبعونه ، وقيل : كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون "وأنتم تتلون الكتاب" تبكيت كقوله : " وأنتم تعلمون " أي تتلون التوراة ، وفيها الوعيد على العناد ، وترك البر ومخالفة القول العمل »[3]، أو فيها الوعيد على الخيانة كما قال الزمخشري[4].

ومن المواضع التي أفاد فيها الخبر معنى النهي قوله تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ }[5]، يقول البيضاوي – رحمه الله – في تفسيرها : « " إن الذين كفروا بآيات الله " من كتبه المنزلة وغيرها ، " لهم عذاب شديد " ، بسبب كفرهم ، و" الله عزيز " غالب لا يمنع من التعذيب ، " ذو انتقام " لا يقدر على مثله منتقم ، والنقمة عقوبة المجرم ، والفعل منه نقم بالفتح والكسر ، وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد ، والإشارة إلى ما هو العمدة في إثبات النبوة تعظيما للأمر ، وزجرا عن الإعراض عنه »[6]، والانتقام على الأعداء بغضب

---

[1]: تفسير البيضاوي ، ج5 ، ص : 183.

[2]: سورة البقرة ، الآية : 44.

[3]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 77.

[4]: ينظر : الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص : 260.

[5]: سورة آل عمران ، الآية : 4.

[6]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 5.

بغضب ولذلك قيل للكاره : ناقم ، وجيء في هذا الوصف بكلمة " ذو " الدالة على الملك ، للإشارة إلى أنه انتقام عن اختيار ، لإقامة مصالح العباد ، وليس هو تعالى مندفعا للانتقام بدافع الطبع[1]، فقد توعدهم الله بالانتقام وبالعقوبة نظير كفرهم بآيات الله – عز وجل –.

ومنه أيضا قوله تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ }[2]، يقول البيضاوي – رحمه الله – في تفسيرها : « " إن الله لا يظلم الناس شيئا " بسلب حواسهم وعقولهم ، و" لكن الناس أنفسهم يظلمون " بإفسادها وتفويت منافعها عليهم ، وفيه دليل على أن للعبد كسبا ، وأنه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية ، ويجوز أن يكون وعيدا لهم بمعنى أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به، ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه »[3].

وقد نقل البيضاوي هذا القول من قول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية حيث قال : « "إن الله لا يظلم الناس شيئا " أي : لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب، ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ، ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين ، يعني : أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ، ولا يظلمهم الله به ، ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه »[4]، فالمعنى أن الله – عز وجل – لا يظلم العباد شيئا بزيادة في سيئاتهم ، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية.

ومن أمثلة قوله أيضا : { فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ }[5]، يقول البيضاوي : « " فمن بدله " غيره من الأوصياء والشهود ، " بعدما سمعه " أي وصل إليه وتحقق عنده ، " فإنما إثمه على الذين يبدلونه " فما إثم الإيصاء المغير أو

---

[1]: ينظر : تفسير ابن عاشور ، ج3 ، ص : 151.

[2]: سورة يونس ، الآية : 44.

[3]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 114.

[4]: الكشاف ، الزمخشري ، ج3 ، ص : 145.

[5]: سورة البقرة ، الآية : 181.

التبديل ، إلا على مبدليه ، لأنهم الذين خافوا وخالفوا الشرع ، " إن الله سميع عليم " وعيد للمبدل بغير حق »[1].

ومنه أيضا قوله تعالى : { لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ }[2]، يقول البيضاوي : " لقد أرسلنا نوحا إلى قومه " جواب قسم محذوف ، ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ، " فقال يا قوم ابعدوا الله " أي اعبدوه وحده ، " إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " إن لم تؤمنوا ، وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته ، واليوم يوم القيامة ، أو يوم نزول الطوفان [3]، فالمعنى أني أتوعدكم بعذاب أليم إن هم أعرضتم عن عبادة الله – عز وجل – وكذبتم المرسلين.

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز : { إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ }[4]، يقول البيضاوي : « " فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين " وعيد لهم ، ووضع المظهر موضع المضمر ، ليدل على أن التولي عن الحجج والإعراض عن التوحيد ، إفساد الدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد النفس بل وإلى فساد العالم»[5].

ويتقارب معنى التهديد مع الوعيد ، ومن المواضع التي جاء فيها الخبر تهديدا قوله تعالى : { وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا }[6]،

---

[1]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 123.

[2]: سورة الأعراف ، الآية : 59.

[3]: ينظر : تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص 17.

[4]: سورة آل عمران ، الآيتان : 62 – 63.

[5]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 21.

}[1]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « " ربكم أعلم بما في نفوسكم " من قصد البر إليهما، واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ، وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا ، " إن تكونوا صالحين " قاصدين الصلاح ، " فإنه كان للأوابين " للتوابين ، " غفورا " ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير ، وفيه تشديد عظيم ، ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ، ويندرج فيه الجاني على أبويه من جنايته ، لوروده على أثره »[2]، فهذا خبر جاء لغرض التهديد ، فالله يتوعد ويهدد من أظهر لوالديه العقوق والعصيان ، وأضمر لهما البر والطاعة ، وهذا مذهب البيضاوي في تفسيره لهذه الآية الكريمة.

ومنه أيضا قوله تعالى : { وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ }[3]، يقول البيضاوي : « " ولئن اتبعت أهواءهم من بعدما جاءك من العلم " على سبيل الفرض والتقدير ، أي : ولئن اتبعتهم مثلا بعدما بان لك الحق ، وجاءك فيه الوحي " إنك لمن الظالمين " وأكد تهديده ، وبالغ فيه من سبعة أوجه»[4]، والوجوه السبعة في الآية : القسم والشرط والنفي ، والتوكيد ، والتحقيق ، والتركيب من جملة فعلية وجملة اسمية ، والقسم المضمر ،كل هذه الوجوه أدت إلى معنى التهديد والمبالغة فيه.

وغير بعيد عما جاء به البيضاوي في تفسيره لهذه الآية ، قد رأى الزمخشري في هذا الخبر شدة إنذار واستفظاع يقول في كشافه : « " إنك إذا لمن الظالمين " : المرتكبين الظلم الفاحش ، وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير ، واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ، ويتبع الهوى، وتهييج وإلهاب للثبات على الحق »[5]، فقد تضمنت الآية تهديدا ووعيدا للذين يتبعون أهواءهم، ويخالفون

---

[1]: سورة الإسراء ، الآيتان : 24 – 25.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 253.

[3]: سورة البقرة ، الآية : 145.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 112.

[5]: الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص : 344.

شريعة الإسلام ، وما هو جدير بالذكر أن البيضاوي قد ميز بين معنى الوعيد ، ومعنى التهديد ، واهتدى إلى الدقائق البلاغية التي حددت الفرق بين المعنيين واتضح هذا في تفسيره لقوله تعالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ }[1]، يقول البيضاوي : « " والله بما تعملون بصير " تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم »[2]، فمفهوم من كلامه أن التهديد يخاطب به المؤمنون ، والوعيد لكافرين.

4/ الوعد :

والوعد نقيض الوعيد كما يحمله من خير وبشرى ، وقد جاءت في كتاب الله العزيز أخبار أفادت الوعد ومنها قوله تعالى : { إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا }[3]، ففي الآية وعد بفتح مكة، والتعبير عنه بالماضي لتحققه أو بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك ، أو إخبار عن صلح الحديبية ، وقيل الفتح بمعنى القضاء ، أي قضينا لك أن تدخل مكة من قابل[4].

وقد سبقه الزمخشري في هذا المعنى للخبر إذ يقول في تفسير الآية : « هو فتح مكة ، وقد نزلت مرجع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح ، وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره ، لأنها في تحقيقها وتيقنها بمنزلة كائنة الموجودة»[5] فهذا الخبر جاء على سبيل وعد الله لنبيه بأن الفتح حاصل لا محالة ، كما أن هذا الخبر الخبر جاء مؤكدا بالضمير إن ، وجاء بصيغة الفعل الماضي.

---

[1]: سورة آل عمران ، الآية : 156.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 45.

[3]: سورة الفتح ، الآية : 01.

[4]: ينظر : تفسير البيضاوي ، ج5 ، ص : 126.

[5]: الكشاف ، الزمخشري ، ج5 ، ص : 534.

ومنه أيضا قوله تعالى : { بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ }[1]، يقول البيضاوي – رحمه الله –: « " بلى " إيجاب لما بعد لن ، أي بلى يكفيكم ، ثم وعد لهم بالزيادة على الصبر والتقوى ، حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال : " إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم " أي المشركون ، " من فورهم هذا " من ساعتهم هذا ، وهو في الأصل مصدر من فارت القدر إذ غلت ، فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخ ولا تأخير ، والمعنى إن يأتوكم في الحال . " يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة " في حال إتيانهم بلا تراخ ولا تأخير »[2].

وقد أشار أيضا ابن عاشور إلى أن في هذا الخبر وعدا للمؤمنين وتعجيلا للطمأنينة يقول : « فموقع قوله " ويأتوكم " موقع وعد ، فهو في المعنى معطوف على " يمددكم ربكم " وكان حقه أن يرد بعده ، ولكنه قدم على المعطوف عليه ، تعجيلا للطمأنينة إلى نفوس المؤمنين ، فيكون تقديمه من تقديم المعطوف على المعطوف عليه »[3]، فقد بشر الله المؤمنين – إن صبروا واتقوا – بإمدادهم بجيش من ملائكة عاجلا قدره خمسة آلاف.

ومن المواضع التي جاء فيها أيضا الخبر وعدا قوله تعالى : { قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ }[4]، يقول البيضاوي : « "قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا " ، لما سمعوا قول فرعون ، وتضجروا منه تسكينا لهم ، ، "إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده " تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله ، والتثبيت في الأمر ، " والعاقبة للمتقين " وعد لهم بالنصرة ، وتذكير لما

---

[1]: سورة آل عمران ، الآية : 125.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 37.

[3]: تفسير ابن عاشور ، ج4 ، ص : 74.

[4]: سورة الأعراف ، الآية : 128.

وعدهم من إهلاك القبط ، وتوريثهم ديارهم وتحقيق له »[1]، ففي هذا الخبر بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط ، وأن المشيئة متناولة لهم[2].

وفي آيات كثيرة من القرآن الكريم أخبار حملت دلالتي الوعد والوعيد في آن واحد كما في قوله تعالى : { وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ }[3]، يقول البيضاوي تفسيرها : « " وليمحص ما في قلوبكم " وليكشفه ويميزه أو يخلصه من الوساوس " والله عليم بذات الصدور " بخفياتها قبل إظهارها ، وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء وإنما فعل ذلك لتمرين المؤمنين ، وإظهار حال المنافقين »[4].

ومنه قوله تعالى : { فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[5]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « " والله يعلم المفسد من المصلح " وعيد ووعد لمن خالطهم لإفساد وإصلاح ، أي يعلم أمره فيجازيه عليه »[6]، أي : لا لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه على حسب مداخلته ، فاحذروه ، ولا تتحروا غير الإصلاح[7].

---

[1]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 29 – 30.

[2]: ينظر : الكشاف ، الزمخشري ، ج2 ، ص : 292.

[3]: سورة آل عمران ، الآية : 154.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 44.

[5]: سورة البقرة ، الآية : 220.

[6]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 138.

[7]: ينظر : الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص : 431.

ومنه قوله – عز وجل – : { فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ }[1]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « "فسيكفيكهم الله" تسلية وتسكين للمؤمنين ، ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناوأهم " وهو السميع العليم " إما من تمام الوعد ، بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم إخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة ، أو وعيد للمعرضين ، بمعنى أنه يسمع ما يبدون ، ويعلم ما يخفون وهو معاقبتهم عليه »[2].

وأشار الزمخشري إلى معنى الوعد والوعيد في هذا الخبر ، يقول : « " وهو السميع العليم " : وعيد لهم ، أي يسمع ما ينطقون به ، ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل ، وهو معاقبهم عليه، أو وعد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمعنى : يسمع ما تدعونه ، ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق ، وهو مستجيب لك ، وموصلك إلى مرادك »[3]، فيمكن حمل قوله تعالى " وهو السميع العليم " على الوعد والوعيد كما ذهب إلى هذا البيضاوي وكذا الزمخشري قبله.

5/ الدعاء :

وقد يجيء الخبر ليفيد معنى الدعاء ومنه قوله تعلى : { وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ }[4]، يقول البيضاوي في تفسيره : « " غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا " دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة ، أو بغل الأيدي حقيقة يغلون أسارى في الدنيا ، ومسحوبين إلى النار في الآخرة ، فتكون المطابقة من حيث اللفظ ،

---

[1]: سورة البقرة ، الآية : 137.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص : 109.

[3]: الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص : 335.

[4]: سورة المائدة ، الآية : 64.

وملاحظة الأصل كقولك : سبني سب الله دابره »[1]. وقال الزمخشري في هذا الخبر يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ، ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم[2].

ومن المواضع التي أفاد فيها الخبر معنى الدعاء قوله تعالى : { وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ }[3]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « " عليهم دائرة السوء " اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون ، أو الإخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم ، والدائرة في الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور ، وسمي به عقبة الزمان »[4].

ومنه أيضا قوله تعالى : { قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ }[5]، يقول البيضاوي : « " قتل الإنسان ما أكفره " دعاء عليه بأشنع الدعوات ، وتعجب من إفراطه في الكفران ، وهو مع قصره يدل على سخط عظيم ، وذم بليغ »[6].

وتجدر الإشارة إلى أن الدعاء بالسوء من الله تعالى مستعمل في التحقير والتهديد ، لظهور أن حقيقة الدعاء لا تناسب الإلهية لأن الله هو الذي يتوجه إليه الناس بالدعاء [7]، وجاء " قتل " مبنيا للمجهول لاستعماله في الدعاء ، وقد كثر في القرآن بناء الفعل " قتل " للمجهول كقوله تعالى : { فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ }[8]، فواضح من نص البيضاوي وابن عاشور أن الخبر الذي يفيد الدعاء أبلغ أبلغ من الدعاء المباشر مع قصره وإيجازه.

---

[1]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 135.
[2]: ينظر : الكشاف ، الزمخشري ، ج2 ، ص : 266.
[3]: سورة التوبة ، الآية : 98.
[4]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 95.
[5]: سورة عبس ، الآية : 17.
[6]: تفسير البيضاوي ، ج5 ، ص : 287.
[7]: ينظر : تفسير ابن عاشور ، ج30 ، ص : 120.
[8]: سورة المدثر ، الآية : 19.

6/ التنبيه :

ويفيد الخبر أيضا معنى التنبيه ومنه قوله تعالى : { إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ }[1]. يقول البيضاوي في تفسيرها : « " والله لا يحب الظالمين " الذين يضمرون خلاف ما يظهرون ، أو الكافرين ، وهو اعتراض ، وفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة ، وإنما يغلبهم أحيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين »[2]

7/ التهكم :

وهو لون بديع من ألوان البلاغة ، قصد الاستهزاء ، فيؤتى بعبارة ما ويقصد منها ضد معناها، كما قد يعبر بلفظ البشارة في موضع الإنذار والتحقير ، وقد يرد الخبر في القرآن الكريم والغرض البلاغي منه هو التهكم والسخرية والوعيد والذم ، وهذا كثير في كتاب الله.

ومن أمثلته قوله تعالى : { وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا }[3]، يقول البيضاوي – رحمه الله – : « " ولا تمش في الأرض مرحا مرحا " أي ذا مرح وهو الاختيال ، وقرئ " مرحا " وهو باعتبار الحكم أبلغ ، وإن كان المصدر آكدا من صريح النعت ، " إنك لن تخرق الأرض " لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ، " ولن تبلغ الجبال طولا " بتطاولك ، وهو تهكم بالمختال ، وتعليل للنهي بأن الاختيال حماقة مجردة، ولا تعود بجدوى ليس في التذلل »[4]، فالمعنى في هذه الآية لأن المتكبر بتكبره واستعلائه في الأرض لن يبلغ الجبال ، ولا يقدر أن يساويها بكبره.

---

[1]: سورة آل عمران ، الآية : 140.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج2 ، ص : 40.

[3]: سورة الإسراء ، الآية : 37.

[4]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 256.

ومنه قوله أيضا : { قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ }[1]، يقول البيضاوي – رحمة الله عليه – : « " إنك لأنت الحليم الرشيد " تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك ، أو عللوا إنكار ما سمعوا منه ، واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك »[2].

ولم يبتعد ما جاء به البيضاوي عن تفسير الزمخشري لهذا الخبر ، يقول في كشافه : " إنك لأنت الحليم الرشيد " نسبته إلى غاية السفه والغي ، فعكسوا ليتهكموا به ، كما يتهكم بالشحيح، فيقال له : لو أبصرك حاتم لسجد لك ، وقيل معناه : إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك ، يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به[3].

8/ التسلية :

ومن معانيها إدخال السرور على النفس ، وإبعاد عنها الغم ، وهي من أعراض الخبر الذي ذكرها البيضاوي في تفسيره ، ومنه قوله تعالى : { قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }[4]، يقول البيضاوي : « " قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا " لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ، " إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده " تسلية لهم ، وتقرير للأمر ، بالاستعانة بالله والتثبيت في الأمر »[5].

وقد ذهب ابن عاشور أن في هذا الخبر كناية عن ترقب زوال استعباد فرعون إياهم ، قصد منها صرف اليأس عن أنفسهم الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وسلطانه ، بأن الله الذي خوله ذلك

---

[1]: سورة هود ، الآية : 87.

[2]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 145.

[3]: ينظر : الكشاف ، الزمخشري ، ج3 ، ص : 226.

[4]: سورة الأعراف ، الآية : 128.

[5]: تفسير البيضاوي ، ج3 ، ص : 30.

السلطان ، قادر على نزعه منه ، لأن ملك الأرض كلها لله فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها ، وهو الذي يقدر نزعه[1]، فجيء بهذا الخبر تسلية للنفوس المؤمنين.

ومما تقدم ، تبين أن للخبر أغراضا بلاغية ، ومعانٍ مجازية يخرج إليها ، تستفاد من القرائن ، ومن سياق الكلام ، وهذه الأغراض قد كشف عنها المفسرون في مصنفاتهم ، ومنهم البيضاوي الذي كان ذا حس بلاغي كبير ، مكنه من الوقوف على دلالات الأساليب الخبرية في كتاب الله العزيز ، وقد تطابقت أراؤه مع المفسرين الذين سبقوه ، وأخذ منهم كالزمخشري في كشافه.

[1]: ينظر : تفسير ابن عاشور ، ج9 ، ص : 60.

خاتمة

توصَّل البحث إلى جملة من النّتائج يمكن تلخيصها فيما يأتي :

لقد كان للعرب اهتمام واضح بمبحث الدلالة و علاقاتها بالمستويات اللغويَّة، ذلك أنَّ أصل البحث فيها كان القرآن الكريم، و قد بدأت دراساتهم الدلاليَّة بالظاهرة الصوتيَّة كون الصوت اللغويّ هو العنصر الأول في تشكيل اللّغة، ذلك بضمّ الأصوات بعضها ببعض بشكل منتظم يضمن البلوغ إلى المعنى المقصود، أضف إلى هذا سمات و تنوعات صوتيَّة أخرى كالنَّبر و التنغيم التي تتميّز بوظيفة دلاليَّة و قيمة معنويَّة .

كما لم يغفل علماء الصّرف مبحث الدّلالة في دراستهم، فقد كانت لهم إشارات واضحة وعميقة بدلالة الصّيغ و الأبنية الصرفيَّة فلكلّ صيغة من الصّيغ دلالتها المعيَّنة كدلالة صيغ المبالغة ودلالة حروف الزيادة . أضف إلى هذا العمل المعجميّ الذي عرفه العرب قديما وحديثا، و الذي حفظ للغة العربيَّة أصولها و فروعها، و حوى على معاني ألفاظها.

لا ينكر أحد القيمة الدلاليَّة التي احتوتها كتب المعاني، فعدَّت –بحق– مهد الدراسات اللغويَّة ومنطلقها، فقد اتَّسع البحث في هذه المصنفات في معاني مفردات القرآن الكريم، وبحثت في مسائل دلاليَّة هامّة، منها مجاز القرآن لأبي عبيدة بن المثنى (ت 210هـ) ، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط (ت215هـ) ، ومعاني القرآن للفرّاء (ت207هـ).

الدلالة النحويَّة هي التي تستفاد من التّراكيب النحويَّة، و هي محصلّة العلاقات القائمة بين كلمات الجملة بحيث ترتبط ببعض تبعا لقواعد النّظام اللغويّ ،كما للقرينة دورها الفعّال في تحديد الدلالة النحويّة ،و من هذه القرائن ما هو لفظيّ كالعلامة الإعرابيّة و الرّتبة والصيغة و المطابقة و الرّبط والتّضام و منها ما هو معنويّ كالإسناد و التَّخصيص والنّسبة و التّبعيَّة .

من خصائص التَّنظيم التركيبيّ للغة العربيَّة التَّقديم و التَّأخير الذي فطن إلى لطائفه وأسراره علماء العربية مؤكّدين إلى أن ما من كلمة قدّمت أو أخّرت إلا كان في ذلك فائدة و مزيّة، و من أغـراض التّقـديم عند البيضاوي التّخصـيص و العناية و الاهتمام و تقوية الحكم و شرف المقـدّم و الإنكار والتّعجب .

من الظواهر التي تقع في الكثير من التّراكيب اللّغويّة الحذف الذي يعمد إليه لتحقيق غايات وفوائد دلاليّة ،وكان له عند البيضاوي أسباب متنوّعة كدلالة المذكور عليه و الاختصار و التّفخيم والتقرير.و لا يختلف اثنان في المقاصد الدلاليّة و الأغراض البلاغيّة للتّعريف و التّنكير، فهما من الظواهر النّحويّة التي تؤدي وظيفة دلاليّة في الجملة العربية و قد وقف البيضاوي عليها في تفسيره كدلالة المبالغة التخصيص و التعظيم والتحقير و التهويل.

إن دلالة الإنشاء الطلبيّ من القضايا الهامّة التي نالت حيزا كبيرا من النّحاة و البلاغيين والمفسرّين لكلام الله و قد بحث البيضاوي في الدّلالات التي تخرج إليها الأساليب الإنشائيّة لتفيد أغراضا مجازية و معان دلاليّة فقد كشف على دقائقها و أسرارها .كما بحث البيضاوي في دلالة

الأساليب الخبريّة حين تخرج عن حقيقتها لتفيد أغراضا بلاغيّة في كتاب الله العزيز حسب المعنى الذي يوحي به السياق منها الوعد و الوعيد والأمر و النهي والدّعاء والتّسلية والتّهكم والتّنبيه وغيرها.

و مما لوحظ على تفسير البيضاوي هو كثرة تأثره بتفسير الكشاف و قد نقل آراء الزمخشري كثيرا، ولخص منه ما يتعلق بالإعراب و المعاني و البيان و لم تكن للبيضاوي آراء متفردة إلا في مواضع نادرة ، و لم يختلف ما جاء به البيضاوي من آراء و دلالات لأبواب النحو عن دراسات النّحويين و البلاغيين في هذا الباب .

يعدّ تفسير البيضاوي من التّفاسير اللّغويّة الحسنة التي جعلت النّحو أداة هامة في فهم معاني كتاب الله ، فهو وسيلة من وسائل المفسر في تفسيره وكشف تأويله وقد أدرك البيضاوي بحسه الدلالي ووعيه النحوي سمات التّعبير القرآنيّ ، فالبيضاوي لم يتوقف عند الدلالة المباشرة للآيات، بل ربطها بالموقف الدلاليّ العامّ و بسياقها.

و ما يمكن قوله على تفسير البيضاوي ، أنّه تفسير عظيم النّفع و رفيع الشّأن ، و قد نال مكانة علميّة مرموقة ، فقد أقبل عليه الباحثون دراسة و شرحا و تعليقا وتحشية.و هو من أشهر كتب التّفسير قيمة و أسهلها تناولا و أبينها عبارة و إيجازا.

و الله المستعان

الفهارس العامة

1/ فهرس الآيات القرآنية

2/ قائمة المصادر والمراجع

3/ فهرس الموضوعات

1/ فهرس الآيات القرآنية :

السورة	رقم الآية	بداية الآية	رقم الصفحة
الفاتحة	6	ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ	120
البقرة	23	وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ	119
البقرة	28	كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَاكُمۡ	113
البقرة	30	وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ	117
البقرة	31	وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ	122
البقرة	43	وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ	118
البقرة	65	كُونُواْ قِرَدَةً	119
البقرة	76	وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ	114

		لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡلُونَ	
البقرة	87	أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ	117
البقرة	137	فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ	160
البقرة	220	فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ	160
البقرة	256	لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	152
البقرة	114	وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ	151

البقرة	119	« نَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ »	127
البقرة	132	« فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ »	126
البقرة	181	فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ	155
البقرة	195	وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ	144
البقرة	21	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ	129
البقرة	22	« فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ »	127
البقرة	228	وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ	150
البقرة	233	وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ	149
البقرة	286	رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ	125
البقرة	33	يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ	129
البقرة	44	أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ	153
البقرة	6	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ	138

		تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ	
البقرة	8	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ	144
آل عمران	119	« قُلۡ مُوتُوا بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ »	121
آل عمران	125	بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ	158
آل عمران	135	آل عمران 135 « وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُوا لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ »	116
آل عمران	139	« وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحۡزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ »	128
آل عمران	140	إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ	162

آل عمران	154	وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ	159
آل عمران	156	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ	157
آل عمران	28	« لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ »	123
آل عمران	4	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ	154
آل عمران	62-63	إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ	
آل عمران	8	« وَلَا تَقۡتُلُواْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ »	125

« وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ			
النساء	140	ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ	128
حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ »			
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ			
النساء	152	مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ	142
غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾			
النساء	32	وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ	133
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ			
النساء	57	جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ	147
فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا			
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ			
النساء	71	أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا	132
وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُۢنۢ			
النساء	73	بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا	131
عَظِيمٗا			
« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن			
المائدة	101	تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ »	125

المائدة	28	لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨	144
المائدة	31	فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ	131
المائدة	64	وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ	161
الأنعام	14	« قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا »	113
الأنعام	142	« كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ »	119
الأنعام	151	قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا	121
الأنعام	27	يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ	133
الأنعام	68	« وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ »	128
الأعراف	101	تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا	146

		كَذَّبُوا مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ	
الأعراف	104	وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤	139
الأعراف	128	قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ	159
الأعراف	27	« لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ »	124
الأعراف	53	فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ	133
الأعراف	59	لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ	155
الأنفال	33	وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ	145
التوبة	53	« قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ »	122
التوبة	71	وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ	142

		وَيُيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١	
التوبة	82	« فَلۡيَضۡحَكُوا قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُوا كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا يَكۡسِبُونَ »	123
التوبة	85	« وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ »	124
التوبة	98	وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ	161
يونس	44	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ	154
يونس	86	« وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ »	120
يونس	88	« وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ »	120
هود	13	« أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ »	121

هود	72	قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا ِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ	132
هود	73	قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ ِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ	132
هود	87	قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ِنَّكَ َنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ	163
إبراهيم	30	« قُل تَمَتَّعُوا »	119
الرعد	43	كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا	144
يوسف	29	يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ	133
يوسف	85	قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ	140
الإسراء	23	« وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ ِلَّآ ِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ ِحۡسَٰنًا »	118
الإسراء	24-25	وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ ِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ	156

		لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا	
الإسراء	37	وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا	162
الإسراء	88	قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا	أ
الكهف	42	وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا	134
الكهف	83	وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ	139
مريم	23	قَالَت يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا	134
مريم	75	« قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ »	122
الأنبياء	13	« لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ »	126
الأنبياء	52	« إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ	115

		لَهَا عَـٰكِفُونَ »	
الأنبياء	57	وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ	141
الأنبياء	62	« قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ »	116
الأنبياء	80	« وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ »	114
الحج	1	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ	137
الحج	73	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥٓ ۚ	130
المؤمنون	1 – 2	قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ	142
المؤمنون	15- 16	ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ	145
القصص	31	يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ	130
الشعراء	102	فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً	133
الروم	17- 18	فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ	150

الزمر	16	يَـٰعِبَاد فَٱتَّقُونِ	129
سبأ	3	وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣	141
الإنفطار	17- 18	وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ	147
يس	16	قَالُوا رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ۝١٦	139
يس	30	يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ	130
فاطر	5	« فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ »	124
الصافات	164 165 166	وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦	143
غافر	36	لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ	133
الطور	16	« فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ »	119
فصلت	40	« ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ »	118

الزخرف	77	« لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ »	118
الدخان	49	« ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ »	118
الفتح	1	إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا	158
الحجرات	1	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا	129
الرحمن	13	فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	147
الواقعة	77 78 79	إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ	153
التحريم	7	« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعۡتَذِرُوا ٱلۡيَوۡمَ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ »	125
الممتحنة	1	« لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ »	123
المنافقون	6	« أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ »	123
المدثر	19	قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ	162
الجن	1	إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا	أ
المرسلات	15	وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ	147
النبأ	2-1	« عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ »	115
النبأ	40	يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا	130

عبس	17 18 19	قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ	115
عبس	17	قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ	161
الضحى	1 – 2	وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ	140
التين	1-2- 3	وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ	141
التكاثر	1-2- 3-4	أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ	147

2/ قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

-الكتب :

- أسرار العربيّة، الأنباري، تح: محمّد بهجة البيطار، مطبعة الترقي بدمشق، سوريا،ط1،1957.
- أسماء الأسد، ابن خالويه، تح: محمد جاسم الدرويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1989.
- أثر النحاة في البحث البلاغي،عبد القادر حسين ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1988.
- أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسا عيون السود، دار الكتب لعلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- أساليب بلاغية: الفصاحة –البلاغة –المعاني، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات –الكويت، ط1980،1.
- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمّد الكوّاز، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، ج1 ، 1426هـ.
- الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1999.
- الأصول في النحو، ابن السّراج، تح:عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان،ط 3، ج2 ، 1996.
- الأصول في النّحو، ابن السرّاج، تح:محمّد عثمان، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة، مصر، ط 1، ج1 ، 2009.
- أنوال التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1.

- الإيضاح في علوم البلاغة، القزْويني ، تح:ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- البداية و النهاية ، ابن كثير ، تحقيق :رياض عبد الحميد مراد و محمد حسان عبيد ،دار ابن كثير، دمشق ،سوريا ،ط2 ،2010.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم الدمياطي ، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، دط، دت، ج3.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم الدمياطي ، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2006.
- البلاغة فنونها و أفنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر و التوزيع، الأردن ، ط 2 ، 1989.
- بناء الجملة العربيَّة، دار غريب للطّباعة و النّشر و التّوزيع، محمّد حماسة عبد اللّطيف، القاهرة، مصر،ط1 ، 2003.
- البيان والتبين، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 7، 1998.
- التتمة في التصريف، ابن القبيصي، تح: محسن ابن سالم العميري، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، السعودية، ط1، 1993.
- التحرير و التنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للتوزيع و النّشر، تونس،ط1، ج1، 1984.
- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرّائي، دار عمار، عمان، الأردن.
- تفسير البحر المحيط، أبو حيّان التوحيدي، تح:عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1،ج7 ، 1993.
- تفسير الكشّاف ، الزمخشري، تح: خليل مأمون شيما،دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 3 ، 2009.

- التّلخيص في علوم البلاغة، القزويني، تح:عبد الرّحمن البرقوقي، دار الفكر العربيّ، القاهرة،مصر،ط1 ، 1904.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1999.
- الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، مكتبة القرآن للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1991.
- الخصائص، ابن جنيّ، تح: محمد علي التجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط 2، دت، ج2.
- دراسات في الدلالة والمعجم، رجب عبد الجواد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،دت، دط.
- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 2، 1987.
- دلالة الألفاظ، ابراهيم أنس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1984.
- الدلالة الصوتية، في اللغة العربية، سليم الفاخري، مكتب العربي الحديث، الاسكندرية، مصر ، دط، دت.
- الدلالة النّحويّة في كتاب المقتصب للمبرد، سامي الماضي، مكتبة الثقافه الدّينيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد رضوان الدّاية و فايز الدّاية، دار الفكر، دمشق، سوريا،ط1 ، 2007.
- ديوان الحطيئة، رواية و شرح ابن الّسكيت، مفيد محمّد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- ديوان العلاء المعرّي، سقط الزند، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، دط،1957.

- ديوان عمر بن أبي ربيعة،تح،فايز محمّد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1996، ص:362 .
- ديوان المتنبي، المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1.
- ديوان بشار بن بر، شرح و تكميل ، محمّد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة،مصر،ج4، ط 1966.
- الرّد على النّحاة، ابن مضاء القرطبي، تح: شوقي ضيف، دار الفكر العربيّ، القاهرة، مصر، ط1، 1947.
- رسالة الحدود، الرّماني، تح: إبراهيم السّامرائي، دار الفكر،عمان، الأردن، ط1 ، 1982.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السّبع المثاني، الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط،دت، ج30.
- الشافية في علم التصريف، ابن الحاجب، تح : أحمد حسن العثمان، المكتبة المكية،السعودية، ط1، 1995.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2 ، 1982.
- شرح المفصل، ابن يعيش، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، ج1 ، 2001.
- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، سوريا، ط1، 1973.
- شعر عروة بن أذينية، يحي الجبوري، دار القلم ، الكويت، ط2 ، 1981.
- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تح: عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، مصر، ط1، ج8 ، 1964.
- ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغويّ، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعيّة- طبع-نشر- توزيع، الإسكندرية، مصر،ط1 ، 1998.

- ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، عمر عبد الهادي عتيق، عالم الكتب الحديثة، لبنان، ط 1، 2000.
- عالم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2000.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مص، ط5 ، 1998.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العرفي، محمود السعران، مكتبة الأنجلو المصرية،دت، دط.
- علم المعاني دراسة تحليل، كريمة محمود أبو زيد، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1 ، 1988.
- علم المعاني، دراسة بلاغية و نقديّة لمسائل المعاني، بِسْيونِي عبد الفتاح، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1406 هـ، ج1.
- العمد" كتاب في التصريف"، عبد القاهر الجرجاني ، تح: البدراوي زهوان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1995.
- العين، الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، وابراهيم التكرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر، ط1، 1997.
- فقه اللغة ، صالح بلعيد، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، دط، دت.
- في البلاغة العربية علم المعاني–البيان– البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، دت.
- في جماليات الكلمة "دراسة بلاغية فنّية، حسين جمعة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،ط1، 2002.
- كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، ابن سلام البغدادي، تح: امتياز علي عرشي الرامفوري، دار الرائد العرفي، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

- كتاب الأضداد، ابن القاسم الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط1، 1987.
- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانِجي، القاهرة، مصر، ط 3،ج1 ، 1988.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تح: محمد شرف الدين بالتقابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، دط، ج1.
- الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط 2، 1998.
- الكناش في النحو والصرف ، ابن الأفضل علي الأيوبي، تح رياض بن حسن الغوام، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط4، ج1، 2004.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، لبنان، دط، دت، م5.
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 1994.
- مبادئ في اللسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، حيدرة ، الجزائر، ط 2، 2006.
- المثل السّائر في أدب الكتاب والشّاعر، ابن الأثير، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع و النّشر، القاهرة، مصر ، ط2، ج2.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1997.
- معاني النّحو، السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، مصر، ط2، ج2، 2003.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، ط 2، 1984.

- المعين في البلاغة (البيان-البديع-المعاني)، قدري مايو، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 1، 2000.
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تح: محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ط1991.
- مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب، منصور مذكور شلش الحلفي، دار الأوائل للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1 ، 2012.
- المقتضب ، المبرد ، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، ج4، 1994.
- من بلاغة النظم العربيّ، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2.
- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1990.
- مناهج المفسرين، مساعد مسلم آل جعفر ومحي هلال السرحان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
- النّحو الوافي، عباس حسين، دار المعرف، القاهرة، مصر،ط15،دت.
- النحو والدلالة " مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2000.
- نقد النثر مقدمة طه حسين، قدامة ابن جعفر، تح: العبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1982.
- نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، السيوطي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط2005.

المجلات :

- أثر الترجمة في أسلوب التقدير و التأخير في القرآن الكريم، هناء محمود شهاب ، مجلّة التربية والعلم، المجلّد:17، العدد2، 2010.

- آراء ابن مضاء القرطبي في ضوء علم اللّغة الحديث، مباركة حمقاني، مجلة الآثر، العدد 18 ، 50 جوان 2013.
- أسلوب الحذف على ضوء الدّراسات القرآنية و النّحوية، ، محمد وليد سيف الدّن حلاق ، مجلة جامعة ذمار للدراسات و البحوث، العدد 12، ماي 2010.
- الإعجاز بإيجاز الحذف في القرآن الكريم، سَتْنَا محمّد علي، مجلّة العلوم و البحوث الاسلاميّة، العدد2، فيفري 2011.
- التقديم و التأخير في سورة البقرة، أحمد قاسم كسار ، المجلة العربية لبحوث القرآن، جامعة ملايا، ماليزيا، العدد:2، 2012.
- التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق، سهل ليلى، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع: 07، 2010.
- الحذف في اللغة العربية، يونس حمش خلف محمد، مجلّة أبحاث كليّة التربية الأساسيّة، المجلد 10، العدد2.
- ظاهرة الحذف في النحو العربي محاولة الفهم، بوشعيب برامو، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 34، مارس 2006.
- من أسرار نزع الخافض في القرآن الكريم، يوسف بن عبد الله الأنصاري، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربيّة، ج13، ع28، شوال 1424.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

مقدمة ..... أ

مدخل : التفكير الدلالي لدى العرب 10

1-التفكير الدلالي لدى العرب 12

أ-عند علماء الصّوت 12

ب-عند علماء الصّرف 17

ج-عند المعجميين 20

د-البحث الدلالي في كتب معاني القرآن 22

2-الدّلالة النّحويّة. 28

أ-ملامح الدّلالة النّحويّة لدى القدماء 28

ب-الدلالة النّحويّة لدى المحدثين 30

ج-القرائن و وظيفتها في تحديد الدّلالة النّحويّة 32

.القرائن المعنويّة 32

.القرائن اللّفظيّة 33

3-البيضاويّ و منهجه في أنوار التّنزيل و أسرار التّأويل 34

أ-ترجمة البيضاوي 35

ب-منهج البيضاوي في التّفسير 36

الفصل الأول : دلالة التقديم والتأخير في تفسير البيضاوي 39

أ-دلالات التّقدم و التأخير عند النحويين و البلاغيين 41

ب-المسائل النّحوية الّتي تلتزم رتبة ثابتة. 45

ج-دلالة التقديم و التأخير في تفسير البيضاوي: 46

1-التَّخصيص 46

2-العناية و الإهتمام..... 50
3-تَقْوِية الحكم و تقريره في نفس السّامع..... 52
4-شرف المقدَّمِ و تعظيمه..... 55
5-الإنكار و التعجب. 56
الفصل الثاني: دلالة الحذف في تفسير البيضاوي 58
أ-أدلة الحذف 60
ب-شروط الحذف 61
ج-أنواع الحذف وأغراضه البلاغية 63
أولا: حذف المفردات (الكلمة) 65
ثانيا: حذف الجملة 74
ثالثا:حذف الحرف 77
د-دلالة الحذف في التفسير البيضاوي 80
الفصل الثالث : دلالة بعض الظّواهر النّحويّة في تفسير البيضاوي 86
أوّلا: التّعريف 87
أ-مفهومه 87
ب-أقسامه 88
ج-أغراضه البلاغيّة للتعريف 90
د-دلالة التّعريف في تفسير البيضاويّ..... 93
ثانيا: التّنكير 96
أ-مفهومه 96
ب-مسوغات الإبتداء بالنّكرة 97
ج-دلالات التّنكير عند النّحويين و البلاغيين 98
د-دلالة التّنكير في تفسير البيضاويّ..... 99
ثالثا:الإعتراض 103

أ-مفهومه 103
ب-أسبابه الدّلاليّة 104
ج-دلالة الإعتراض في تفسير البيضاويّ 105
الفصل الرابع : دلالة الأساليب الإنشائية الطلبية في تفسير البيضاوي. 110
أولا : الاستفهام. 111
ثانيا : الأمر. 118
ثالثا : النهي. 123
رابعا : النداء. 129
خامسا : التمني. 133
الفصل الخامس : دلالة الأساليب الخبرية في تفسير البيضاوي 135
أ/ أضرب الخبر 136
ب/ مؤكدات الخبر 139
1/ القسم 140
2/ حرف الاستقبال. 141
3/ قد 142
4/ ضمير الفصل. 143
5/ الباء الزائدة. 144
6/ اللام. 145
7/ التكرار. 146
ج/ دلالة الجملة الفعلية والجملة الاسمية. 148
د/ أغراض الجمل الخبرية في تفسير البيضاوي. 149
1/ الأمر 149
2/ النهي. 151
3/ الوعيد. 153

4/ الوعد. 158
5/ الدعاء. 161
6/ التنبيه. 162
7/ التهكم. 162
8/ التسلية. 163
خاتمة 166
الفهارس العامة 169
1/ فهرس الآيات القرآنية 170
2/ قائمة المصادر والمراجع 185
3/ فهرس الموضوعات 194